

تاريخ النصرانية

مدخل لنشأتها و مراحل تطورها عبر التاريخ

تأليف

عبدالوهاب صالح الشايع

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

المقدمة

هذا مدخل لدراسة نشأة الديانة النصرانية، ومراحل تطورها عبر التاريخ، بدءاً من ولادة السيدة مريم، ومروراً بحملها وولادتها لابنها السيد المسيح عيسى عليه السلام، ونشأته ورسالته حتى رفعه الله إليه، كما جاءت في القرآن الكريم والمصادر المسيحية.

ومع الأهمية البالغة لهذا الموضوع، إلا أن كثيراً من المسلمين والمسيحيين يجهلون جهلاً يكاد يكون مطبقاً، أن رسالة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وشخصه وسيرته قد تعرضت إلى عملية واسعة النطاق من التشويه والتحريف ـ بعد أن رفعه الله إليه ـ وأنها مرت بتطورات عميقة وبالغة التأثير، شارك فيها أطراف عديدة ـ أفراد وهيئات ـ مجتمعون ومنفردون، بطرق ووسائل متعددة، منها المباشر وغير المباشر، بقصد وبغير قصد، استغرقت فترة زمنية طويلة تربو على ستة قرون، تم خلالها تكوين العقائد والشعائر والطقوس والأسرار والنظم الكنسية للديانة المسيحية الحالية، ونقلتها وحولتها ـ على مراحل ـ من رسالة سماوية مُوَحِّدَةٍ وبسيطة ومحلية، متممة ومكملة لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة إلى بني إسرائيل، إلى ديانة عالمية مشركة، ذات عقائد وشعائر وطقوس وأسرار وثنية غامضة ومعقدة. وغني عن البيان أن السيد المسيح عليه السلام، براءٌ من كل تلك العقائد والشرائع والطقوس الوثنية، ومن كل ما نسب إليه، مما لم يقله أو يفعله أو يوافق عليه.

ولتسهيل دراسة هذه التطورات والتحريفات العميقة والجذرية، التي تعرضت لها رسالة السيد المسيح بعد رفعه، فقد قمت بتقسيم تلك الفترة التي امتدت ستة قرون، إلى أربع مراحل تاريخية، كل مرحلة منها تتميز بسمات وخصائص، تختلف عن سمات وخصائص المرحلة أو المراحل التي سبقتها، والمرحلة أو المراحل التي ستليها.

وقد تمخض البحث المكثف الذي قمت به، عن هذه الدراسة التي تتميز ـ على وجازتها ـ بشمولها وغزارة محتوياتها الدينية والتاريخية، مع شروح وتعليقات وإيضاحات وافية، دون الإيغال في التفاصيل غير الضرورية، التي قد تشتت انتباه القارئ غير المتخصص، مع خلوها تماماً من الكلام العاطفي أو الحشو أو الإنشاء.

وقد اتبعت نهجاً علمياً قد لا يكون مسبوقاً ـ على حد علمي ـ وهو قيامي بعمل نقاشات متعددة، طرحت فيها أسئلة محددة عن النصرانية الحالية، وعلاقتها بالسيد المسيح على كثير من المسلمين، من شرائح عمرية مختلفة، من المستهدفين بكتابي هذا، لمعرفة وسبر مدى إحاطتهم بهذا الموضوع، مما عزز شكوكي وأفادني كثيراً في تكييف وتوجيه الكتاب الوجهة الملائمة لحاجة القارئ غير المختص، وتزويده بمعلومات مركزة وموثقة ووافية، معروضة بطريقة سهلة ومنطقية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: عمل تمهيدات كافية تسبق المواضيع، لتيسير فهم المادة على القارئ، كما حرصت على ترابط موضوعاته ووضعت لها عناوين رئيسية وأخرى فرعية، لزيادة الإيضاح وتسهيل الانتقال من موضوع إلى آخر، هذا بالإضافة إلى الإشارة إلى أرقام الصفحات والمباحث، التي سبق أن تم فيها تناول أو شرح موضوع ما، أو التي سيتم فيها بيانه وشرحه.

وقد زودت ستةً من مباحث الكتاب الثمانية، بخاتمة مركزة عن محتوياته، لتساعد القارئ على تذكر ما قرأه في ذلك المبحث بطريقة مرتبة، ولتكون عوناً له في فهم محتويات المبحث الذي يليه وهكذا،كما استحدثت أسئلة تنويرية سهلة ومباشرة في نهاية كل مبحث، لكي يتأكد القارئ الجاد من فهم واستيعاب ما قرأ،كما اهتممت اهتماماً بالغاً، برصد تواريخ الأحداث أو استنباطها بقدر المستطاع، وهذا ما لا يوليه الكتاب والمؤلفون العرب ـ في العادة ـ ما يستحقه من اهتمام.

وقد وظفت في هذه الدراسة المكثفة، قراءاتي الكثيرة والمتشعبة في مجال التاريخ، بالإضافة إلى خبرتي النظرية والعملية الطويلة، في مجال مقارنة الأديان ـ اليهودية والنصرانية والإسلام ـ والتواصل الحضاري مع غير المسلمين، مما قد لا يكون متاحاً لكثيرين ممن سبقوني في ولوج هذا الميدان ـ في الماضي والحاضر ـ مما يجعل هذا البحث، متميزاً عن غيره من البحوث الكثيرة التي خاضت غمار هذا الميدان، وجعله مرجعاً لا يُستغنى عنه في موضوعه، ليكون بإذن الله بمثابة المدخل أو المفتاح ـ للقارئ غير المختص ـ لفهم مغاليق الديانة المسيحية الحاضرة، واستيعاب كثير من الكتب والدراسات التي تناولت أو عالجت هذا الموضوع المعقد.

وأود التنويه إلى أن هذا البحث سيوضح للقارئ المسلم، البيئة والبعد التاريخي، الذي تشير إليه الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع.
كما لا تفوتني الإشارة إلى أنني لم أدخر جهداً ولا وقتاً، في مراجعة هذا البحث مرات عديدة، في سبيل إخراجه بالصورة التي تليق به وتحقق الهدف من تأليفه.
فإذا كنت ـ عزيزي القارئ ـ من المهتمين بهذا الموضوع، أو عندك تطلعات للدخول في مجال مقارنة الأديان، فهذا الكتاب هو بُغْيَتُكَ.

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل وعميق الامتنان، لكل من تفضل مشكوراً بإبداء رأي أو اقتراح أو استفسار أثناء إعداد هذا الكتاب، مما ساهم في إيضاح ما كان يبدو غامضاً بالنسبة للقارئ.

كما لا يفوتني أن أسجل عظيم شكري وتقديري لزوجتي السيدة أم سفيان، لتفهمها العميق لأهمية هذا البحث للمسلمين والنصارى على حد سواء، وتهيئتها الجو الملائم للبحث والدراسة الذي طالت مدته لعدة سنوات، ولتحملها ـ على مضض ـ فوضى انتشار الكتب والمراجع هنا وهناك،

وللاستفسارات والمناقشات القيمة والمفيدة التي كانت تدور بيننا مع الأبناء، بخصوص هذا البحث، فلهم مني جميعاً كل الشكر والتقدير.
كما أتقدم بالشكر والتقدير للسيد/ فاروق أحمد شاد، على صبره منقطع النظير، ومثابرته من دون كلل أو ملل، في طباعة مُسَوَّداتِ الكتاب، التي بدا كأن لا نهاية لها عبر سنوات إعداده.

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون في ميزان حسناتي وحسنات والديَّ، ولكل من تفضل برأي أو مشورة، تصويباً لخطأ أو استكمالاً لنقص أو سداً لخلل، ولمن قرأه واستفاد منه وبلغه إلى غيره.

إنه نعـم المولـى ونعم النصير

إهــداء

إلـى كل محب للحق، باحث عن الحقيقة المجردة من الأهواء.

إلـى كل من عنده الاستعداد والشجاعة لفتح قلبه وعقله.

أقـدم كتابـي هـذا

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

سورة الزمر آية 9

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

سورة الزمر آية 18

المبحث الأول

الإمبراطورية الرومانية، نشأتها وعقائدها الوثنية وآلهتها

تمهيد :

هذا مبحث تمهيدي مهم للغاية ـ وإن كان يبدو للوهلة الأولى أنه خارج السياق ـ . فالعلاقة بين الديانة المسيحية الحالية، التي استحدثت بعد رفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، والإمبراطورية الرومانية، علاقة عضوية وثيقة ومتشابكة لا يمكن فصم عُراها، وقد أثر كل طرف منهما في الآخر ـ بطريقة مباشرة وغير مباشرة ـ تأثيراً عميقاً بعيد المدى.

لذا فإنه من الصعوبة بمكان، تناول موضوع الديانة المسيحية الحالية، من دون التعرف على ما جرى لها من تأثيرات عميقة من قبل شعوب الإمبراطورية الرومانية من جهة ـ وخصوصاً في البيئة اليونانية ـ وعلى يد الأباطرة الرومان من جهة أخرى، والمراحل والتطورات التي مرت بها على مدى القرون، تحت سيطرة تلك الإمبراطورية. [1]
وكذلك تأثير الديانة المسيحية العميق، في الإمبراطورية الرومانية وشعوبها ـ وبخاصة الشعوب الأوروبية ـ قبل انهيار القسم الغربي من تلك الإمبراطورية وبعده.[2]

لذا رأيت أن من الضروري أن أعطي موجزاً تاريخياً مركزاً، عن نشأة هذه الإمبراطورية وعقائدها الوثنية وآلهتها.

---

(1) سيأتي تفصيلها في المبحثين الثالث والرابع.

(2) سيأتي تفصيلها في المبحثين الرابع والسادس.

روما مدينة المدن

نشأتها وسلطانها :

في وسط غرب شبه الجزيرة الإيطالية، على بعد حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً من مصب نهر التيبر في البحر، كان هناك سبعة تلال، استوطن أحدها في سنة 753 ق.م، أحد الرعاة اسمه (رومولوس) وأخذ الرعاة يتجمعون حوله، ومع مرور الزمن تكونت حول تلك التلال السبعة مستوطنة عُرفت فيما بعد باسم مدينة روما، مُستمِدةً اسمَها من ذلك الراعي (رومولوس).[3]

وكان نظام الحكم فيها ملكياً حتى سنة 510 ق. م، ثم تحول إلى النظام الجمهوري، الذي استمر لمدة 483 سنة، أي حتى سنة 27 ق. م.

وفي هذا العهد الجمهوري، سيطرت روما تدريجياً سيطرة تامة على شبه الجزيرة الإيطالية، ثم على ممتلكات الفينيقيين بدءاً من جزيرة صقلية، وغيرها من جزر الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط وإسبانيا وشمال أفريقيا، إلى تم لها احتلال قرطاجة عاصمة الدولة الفينيقية ـ في تونس حالياً ـ بعد حروب طويلة ودامية معهم.

ثم أخذت تتوسع شيئاً فشيئاً في قارة أوروبا، حتى احتلت معظمها من شمالها إلى جنوبها في مقدونيا وبلاد الإغريق ـ اليونان ـ وجزر الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، ثم آسيا الصغرى ـ تركيا ـ واستمرت بالتمدد شرقاً إلى بلاد الشام، بدءاً من سنة 64 ق. م، حتى وصلت إلى وادي الفرات، حيث حدود الإمبراطورية الفارسية.

كما مدت نفوذها إلى مصر، بقيامها بوضع قوة عسكرية رومانية في الإسكندرية في سنة 47 ق. م، لدعم ملكتها البطلمية كليوباترا، وفي سنة 30

(3) حضارة روما : دونالد. ر. ددلي. صفحة 5.

ق. م، قامت باحتلال مصر براً عن طريق بلاد الشام، مما أدى إلى انتحار ملكتها كليوباترا.[4]

وبذلك أسدل الستار على حكم الإغريق لمصر، الذي استمر لمدة 362 سنة، وأصبحت مصر منذ ذلك اليوم تحت الاحتلال الروماني الذي استمر لمدة 670 سنة، حتى تم تحريرها من قبل القوات العربية المسلمة بقيادة الصحابي عمرو بن العاص، في عهد الصحابي الخليفة عمر بن الخطاب.

وفي مطلع عام 27 ق. م، تم تغيير النظام من الجمهوري إلى الإمبراطوري، وقد واصلت الإمبراطورية الرومانية عملية التوسع، حتى وصلت إلى أقصى اتساع لها في سنة 117م، في عهد الإمبراطور تراجان، كما تبدو في الخريطة صفحة 18.

هذا ويلاحظ أن الجنسية أو المُواطَنة الرومانية، لم تكن متاحة لأبناء المستعمرات، فذلك شرف اختصوا به أنفسهم حتى سنة 212 م، عندما أصدر الإمبراطور الروماني (كاراكلا) ـ كان من أصول ليبية وسورية ـ مرسوماً منح بموجبه الجنسية الرومانية للأحرار في جميع أنحاء الإمبراطورية،[5] فأصبح جميع الأحرار من سكان الإمبراطورية الرومانية، سواسية يخضعون لقانون واحد.

تأثير روما في مستعمراتها :

وكان للجمهورية ثم الإمبراطورية الرومانية تأثير كبير في مجريات الأحداث في بلاد الشام ومصر، وحوض البحر الأبيض المتوسط، وشمال أفريقيا، وآسيا الصغرى ـ تركيا ـ وأوروبا.

---

(4) المصدر السابق : صفحة 6.

(5) الروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 69.

كما كان لها تأثير بالغ وعميق جداً في الدول الأوروبية، التي انبثقت فيما بعد من إمبراطوريتها، فقد أعطت تلك الدول القوانين والنظم السياسية، التي لا يزال تأثيرها واضحاً لغاية اليوم، كما قدمت لها : المثال العملي في التوسع والاستعمار في العالمين القديم والجديد، واستغلال خيرات البلاد المغلوبة، واستخدام مواطنيها كأجراء بأبخس الأثمان أو كعبيد.

وكانت لغتها اللاتينية، هي اللغة الرسمية ولغة التخاطب السائدة في إيطاليا والبلدان أو المناطق الأوروبية التي خضعت لحكمها المباشر، مثل فرنسا وأسبانيا والبرتغال، أما في مستعمراتها في الشام ومصر، المتقدمتين حضارياً آنذاك ـ بما لا يقاس بالبلدان الأوروبية ـ فقد كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية فقط، في حين كان الناس يتكلمون لغاتهم الوطنية. وبعد أن أصبح لكل دولة أوروبية لغتها الخاصة بها، ظل تأثير اللغة اللاتينية ومفرداتها واضحاً إلى اليوم، وخاصة في اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية.[6]

وقد اصطدمت الإمبراطورية الرومانية بثلاثة أديان، بدءاً بالمسيحية عندما بُدئ بالتبشير بها خارج فلسطين، في أنطاكيا وآسيا الصغرى واليونان حتى وصل التبشير إلى روما، فبطشت بها وبأتباعها لمدة قرنين ونصف تقريباً، ثم احتوتها وساهمت بسلطانها في إدخال ما ليس منها بها، ثم فرضتها فرضاً على الشعوب الأوروبية.[7]

وعندما ثار اليهود عليها في فلسطين سحقتهم سحقاً.[8]

وكانت على موعد مع المواجهة الحاسمة مع العرب المسلمين، ولكن إلى حين.

---

(6) للمزيد من التفاصيل، انظر قصة الحضارة : ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 415 وما بعدها.

(7) كما سيأتي تفصيله في المبحث الرابع.

(8) كما سيأتي تفصيله في صفحة 279 و280 من المبحث الثامن.

وفي سنة 394م، قُسِّمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين إداريين شرقي وغربي، ثم ما لبث هذان القسمان أن انفصلا في سنة 408 م، وكوَّنا إمبراطوريتين رومانيتين مستقلتين عن بعضهما هما :

1. الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية.
2. الإمبراطورية الرومانية الغربية. وقد سقطت في سنة 476 م، بفعل عوامل الفوضى والانحلال.(9)

وبقيت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية، التي استمرت ـ بحكم الجغرافيا ـ بالاحتكاك بالإمبراطورية الفارسية والعرب في الجاهلية والإسلام، وهي المعروفة عند العرب باسم الروم.

وهذه الإمبراطورية هي التي اصطدمت بالعرب المسلمين في بداية القرن السابع الميلادي، فكسروا شوكتها وأجلوها عن بلاد الشام ومصر، والشمال الإفريقي حتى المحيط الأطلسي.

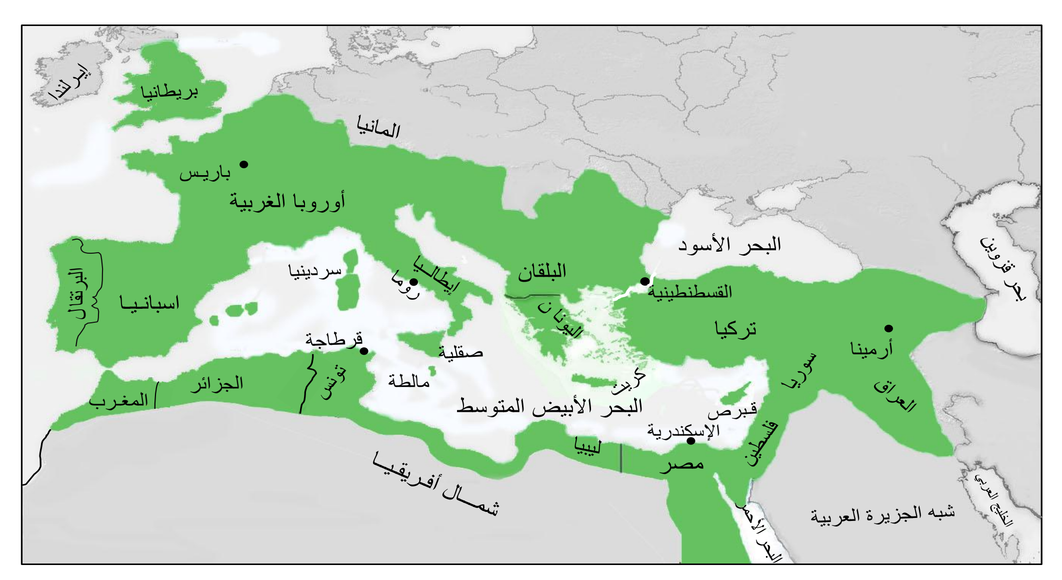
هذا وقد استمرت المصادمات بين هذه الإمبراطورية والعرب المسلمين، إبان الدولتين الأموية والعباسية، ما بين كر وفر، حتى سقطت القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية في سنة 1453م، بيد العثمانيين.

وبذلك أُسدل الستار على آخر رمز من رموز الإمبراطورية الرومانية، التي دامت بأنظمتها الثلاثة ـ الملكي والجمهوري والإمبراطوري ـ اثنين وعشرين قرناً من الزمان.(10)

---

(9) سيأتي المزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع في صفحة 223 وما بعدها في المبحث السادس.

(10) انظر الحاشية رقم 11 صفحة 224 من المبحث السادس.



الإمبراطورية الرومانية في أقصى اتساع لها سنة 117 م، في عهد الإمبراطور تراجان

العقائد والآلهة الرومانية:

كان الروماني يرى أن الكون من حوله خاضع لقوى جبارة، عظيمة القوة، أزلية الوجود، غير مرئية، يظهر نشاطها بوضوح في الظواهر الطبيعية، كهبوب العواصف والرياح، ونزول الأمطار، ولمعان البرق في الليل البهيم فيبدد ظلامه، وصوت الرعد والصواعق التي تصم الآذان، وغروب الشمس وما ينتج عنه من قدوم الليل بظلامه وسكونه الموحش، وظهور القمر والنجوم، ثم شروقها وما ينتج عنه من تبديد لذلك الظلام، حيث تنبعث الحياة وتدب الحركة في الكون من حوله، وتتابع الفصول، ونمو النبات والحيوان، ونشأة الإنسان وما يطرأ عليه من تغيرات، من قوة وضعف من مولده حتى مماته ثم تحلله.

وكان ذلك الإنسان الروماني البدائي، يطلق على هذه القوى الخارقة، اسم الأرواح النشطة أو الآلهة، وكان عددها كبيراً جداً أو لا نهائياً، فقد كان هناك على سبيل المثال، أرواح نشطة أو آلهة خاصة بحراسة المنزل والمزرعة،

وحراسة الغلال في الأرض، وتلك التي تشرف على حصاده وتحرسه في المخازن، كما كانت هناك أرواح نشطة أو آلهة للأراضي والغابات والمروج والبحار، وآلهة تمثل القوة المهيمنة على المظاهر الطبيعية الثائرة، كهياج البحار وفيضان الأنهار وهبوب العواصف ولمعان البرق وأصوات الرعد وغيرها.

كما كان لجيرانهم اليونانيين أيضاً، آلهة كثيرة جداً، مثل (أبولو) إله الفنون، و(أثينا) إلهة الحكمة، و(أفروديت) إلهة الحب والجمال، بالإضافة إلى آلهة الصيد، والحرب، والانتقام، وآلهة البحار، والزراعة، وآلهة للعالم السفلي... إلخ.[11]

اعتقاد الرومان المصلحي بالأرواح النشطة أو الآلهة:

كان اعتقاد الروماني بالأرواح النشطة أو الآلهة، اعتقاداً مادياً أو مصلحياً، فقد كان يشعر بالحاجة إلى معونتها ورعايتها وحمايتها له ولممتلكاته، ولذلك كان يحاول أن يقيم علاقة شخصية معها، بالتعبد لها والتكريم اللائق بها، وتقديم الذبائح والقرابين لها، لكي يحظى برضاها، ومعونتها في الحصول على المحاصيل الوفيرة، والصفقات الرابحة والثروة.

وعلى الرغم من عددها الكبير أو اللانهائي، إلا أنه لم يكن يهتم إلا بتلك الأرواح أو الآلهة، التي كان يعتقد أن لها تأثيراً فيه وفي أسلوب حياته ورزقه، كالتي تتحكم في المحاصيل التي يزرعها، أو الطيور والحيوانات التي يربيها، وغير ذلك من الحرف التي كان يزاولها، وكانت كل روح أو إله، ينال من العبادة والتكريم ما هو جدير به.

وكان الفلاح يقدم هداياه وقرابينه لتلك الأرواح أو الآلهة، من إنتاج حقله من الحيوانات أو الأطعمة، كاللبن أو العسل أو الجبن أو الكعك المقدس.

---

(11) الإمبراطورية الرومانية: م. ب. تشارلز ورث صفحة 160 وما بعدها.

وكانت قيمة تلك الهدايا والقرابين، تعتمد على مقدار النعمة المتوقع الحصول عليها، من تلك الأرواح النشطة أو الآلهة، وغالباً لا يكتمل تقديم الأضحية أو القربان، إلا بعد أن تقدم الروح النشطة أو الإله، الخدمة المتوقعة منه، فقد كان تقديم تلك الأضحيات أو القرابين أشبه بعملية النذر، إذا تم المطلوب وجب عندئذٍ الوفاء بالنذر، فكأن القصد من تقديم تلك الهدايا والقرابين لتلك القوى أو الأرواح النشطة، هو حثها أو تشجيعها على القيام بوظيفتها، بالطريقة التي يريدها أو يتمناها العابد، فكأنه كان يدخل في مساومة وأخذ وعطاء معها، وكانت تلك الطقوس شخصية ومباشرة، ولم يكن هناك كهنة أو وسطاء، بين الإنسان وتلك القوى أو الأرواح النشطة.

وبمضي السنين، شعر ذلك الإنسان البدائي، بالحاجة الملحة لتنظيم العلاقة بينه وبين تلك الأرواح النشطة أو الآلهة، فوضِعَتْ القوانين والنظم التي تحدد الطقوس الدينية، وَوُجِدَ الكهنة الذين كانوا يقومون بصياغة الصلوات، والقيام بالواجبات الدينية العامة، وتحديد الأعياد الدينية، إذ كان لكل إله عيدٌ خاص به، بالإضافة إلى الاحتفالات العامة في المناسبات الكبرى. ويلاحظ أنه حتى ذلك الوقت، لم يتم إقامة التماثيل أو المعابد، لتلك الأرواح أو الآلهة التي كان يُتعبد لها، ويطلب رضاها ومساعدتها.

ومع الوقت تطورت تلك العقائد، وظهر عدد من المعبودات (الآلهة) التي كانت لها صورة بشرية، خصوصاً تلك التي كانت تُعبد رسمياً من قبل الدولة الرومانية، مثل (جوبيتر) أعظم الآلهة وأفضلها، و(جونو) التي كانت إلهة قرطاجية عظيمة الشأن، وقد تم استدعاءها لتقيم في روما، و(منيرفا) إلهة العاملين بعقولهم أو أيديهم، التي تهب المهارة لهم.

وقد وُضِعَتْ تلك الآلهة في معبد كبير، شيد فوق تل (الكابيتول) المركز الديني لمدينة روما. كما بُني معبد في السوق الروماني لإله الزراعة (ساتورنوس)، ووضع بالقرب منه إله الزلازل والبراكين (فولكانوس)، وعُبد إله الزراعة

والحرب (مارس) الذي يتولى حماية الجيوش الرومانية في الحروب، فكان يحظى بالعبادة الرسمية من قبل الجيش الروماني.

أما الإلهة (فيستا)، إلهة الموقد أو اللهب المقدس الذي لا ينطفئ، ورمز حياة البيت والأسرة، ورمز خلود روما، فكانت أكثر أهمية من غيرها من الآلهة، ولم تتخذ هذه الإلهة صورة بشرية، وكان معبدها الدائري مقاماً في السوق، وفي داخله لهب مقدس يجب إبقاؤه مشتعلاً على الدوام، وكانت المحافظة على هذه الطقوس من واجبات عذارى فيستا.

لقد كان الرومان محتاجين لكل تلك الآلهة لحمايتهم وصون ملكهم، وقد نمت أهمية آلهة روما وامتد سلطانها خارج الحدود، مع نمو وتوسع الدولة الرومانية في عهديها الجمهوري والإمبراطوري، لذا أصبح (جوبيتر) كبير آلهة الرومان، سيد السماء في نظرهم.

وقد لا تداني آلهة الريف، أو الآلهة التي تحمي الصناعات والحرف، آلهة الدولة عظمة وأبهة وقوة، ولكنها كانت أوثق صلة بحياة الإنسان اليومية وأعماله، ولهذا كانت أبقى على مر الأيام، وظلت عميقة الجذور، راسخة في أذهان ووجدان الريفيين، حتى بعد أن أصبحت المسيحية بعد قرون، دين الإمبراطورية الرومانية.[12]

عبادة وتكريم الآلهة عند الرومان:

كان الرومان ينظرون إلى الآلهة كالمواطنين أو كالأبطال القوميين، وكانوا يعتقدون أنها تنتسب إلى البلد الذي ينال رضاها، وحتى ينالوا رضاها فتبقى في بلادهم ولا تغادرها إلى بلد آخر، كان عليهم إرضاؤها بالتعبد لها وتقديم القرابين لها، وتكريمها التكريم اللائق بها. كما كانوا يقومون باسترضاء

(12) المصدر السابق: صفحة 163 وما بعدها. وحضارة روما: دونالد. ر. ددلي. صفحة 26 و27.

واستدعاء الآلهة القوية، للبلدان التي يتغلبون عليها ويحتلونها، كما فعلوا بعد احتلالهم لقرطاجة، إذ قاموا باستدعاء (جونو) التي كانت إلهة قرطاجية عظيمة الشأن، واستمالوها في احتفال ديني كبير، في حوالي سنة 346 ق. م، لتغادر مدينة قرطاجة، وتسكن عندهم في روما.[13]

كما كانوا يعتقدون بحاجة آلهة البلاد المغلوبة، إلى الاسترحام والتكريم والإرضاء من جانبهم، فقد تكون تلك الآلهة، آلهة رومانية في ثياب وطنية لتلك البلاد المغلوبة، أو على الأقل فإنها آلهة، لها من غير شك سلطان داخل حدود أوطانها المغلوبة، ولذلك كانوا يكرمون آلهة البلاد المغلوبة ويقدمون لها النذور ليضمنوا حمايتها لهم.

وكانوا يعتقدون أنه كلما كثر عدد العابدين لتلك الآلهة، كانت أكثر استعداداً ورغبة في أن تكافئ الشعب الروماني وتسبغ عليه نعمها، ومن هنا جاءت الأهمية القصوى لدين الدولة الرومانية الرسمي، ووجوب مشاركة المواطنين الرومان في الطقوس الرسمية، التي كانت تقيمها الدولة في أيام الأعياد الكبرى.
وكان للجيش أيضاً أعياد مختارة من قائمة تلك الأعياد، وكان القائد الروماني المنتصر عند عودته إلى روما، يتوجه مباشرةً إلى معبد الإله (جوبيتر) ليقدم له أمجاد (جوبيتر) التي تحققت بواسطة الرومان، ثم أضيفت زيارة معبد الإله (مارس) المنتقم، في العهد الإمبراطوري.

وكانــت العبــرة والدليل على صدق إيمــان المواطنــين ومحبتهم للدولة، هــو انضمامهم إلى المواكب الدينية في أبهــى حلة، متوجين بأكاليل الزهور، واشتراكهم في أداء الطقوس وذبح الأضاحي والقرابين للآلهة، وحرق البخور لها في المعابد.[14]

---

(13) قرطاجة عاصمة الدولة الفينيقية في تونس، التي كانت تنافس روما في القوة والغنى، والتي تغلب عليها الرومان واحتلوها بعد حروب طاحنة.

(14) الإمبراطورية الرومانية : م. ب. تشارلز ورث. صفحة 163 وما بعدها.

على الآلهة القيام بما هو متوقع منها :

كان الرومان يعبدون تلك الأرواح النشطة أو الآلهة، للفائدة المرجوة منها، بجلب منفعة أو دفع ضرر، فإذا ما عجز أحد الآلهة، عن القيام بالتزاماته المتوقعة منه فالويل له، إذ سيفقد عُبَّاده أملهم فيه، وفي رغبته أو قدرته على مساعدتهم، وستُخَرَّبُ المذابح العائدة له، وتُمسح صوره، وتُرجم معابده بالحجارة !!

وقد تبلغ الحال فيهم درجة كبيرة من الخطورة، فقد يفقدون روحهم المعنوية إذا ما تزعزع إيمانهم في الإله وخاب ظنهم فيه، وتملكهم اليأس منه، عند أي كارثة أو مصيبة تحل بهم، فعندها إما أنهم سيهجرون آلهتهم وعقائدهم، ويبحثون عن آلهة وعقائد وأديان أجنبية، أو أنهم سيطرقون أبواب السحر، ولهذا السبب فرضت الدولة الرومانية عقوبات صارمة ومشددة، ضد أي شخص تؤدي آراؤه أو أقواله، إلى استثارة عقول البسطاء من الناس بمخاوف وهمية، أو استقطابهم بأي وسيلة.

ولما كانت الديانة الرومانية تخلو من الإشباع العاطفي والروحي للمتعبد، ولم تكن تقدم له أية قواعد أخلاقية، فقد كانوا في مرحلة لاحقة، مهيئين وعلى استعداد نفسي، لتقبل واعتناق أديان أو آلهة أجنبية من خارج الحدود، يمكن أن تعوض تلك الاحتياجات الإنسانية الملحة.[15]

نزول الآلهة إلى الأرض :

كان الناس في ذلك الزمان ـ ومن بينهم الرومان ـ يعتقدون بوجود عدد لا يحصى من الآلهة، ولما لم يكن في عقائدهم ـ وخصوصاً تلك القادمة من شرق البحر الأبيض المتوسط ـ حدود واضحة وفاصلة، تفصل

(15) المصدر السابق : صفحة 164 وما بعدها.

بين الإله والإنسان، فقد انتشر بينهم اعتقاد مفاده أن كثيراً من الآلهة كانت تنزل إلى الأرض، وتعيش بين الناس، وتتعامل معهم في حياتهم اليومية كأي فرد منهم، وهي على هيئة بشرية، من دون أن تطلعهم على حقيقتها الإلهية.

ولكنها كانت تثير دهشتهم واستغرابهم، بقيامها بأعمال فذة خارقة للعادة، لا يقدر عليها في نظرهم إلا الآلهة، ولذلك فقد انتشر بينهم أيضاً، اعتقاد مفاده أن الرجال المميزين، الذين خدموا بلادهم خدمات جليلة، أو قاموا بأعمال فذة غير عادية، لا يستطيع الإنسان ـ في العادة ـ القيام بها، إنما كانوا في الحقيقة آلهة في هيئة بشرية. [16]

أسطورة موت وبعث الإله :

يقول (شارل جينيبر) عن الوثنيين ـ من اليونانيين وغيرهم ـ في آسيا الصغرى وحتى بلاد ما بين النهرين : "بأنهم يؤمنون بأسطورة موت وبعث الإله، حيث يتعذب الإله تماماً كما يتعذب الإنسان، ثم يموت كما يموت الإنسان، ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت، إذ يُبعث من جديد". [17]

عقيدة تأليه وعبادة الأباطرة :

بعد وفاة الإمبراطور الروماني الذي قام بأعمال جليلة، وحقق إنجازات وانتصارات مرموقة، أنقذت البلاد من الفتن والحروب الأهلية...إلخ، كان مجلس الشيوخ الروماني، يعقد اجتماعاً لتدارس وتقييم أعمال ذلك الإمبراطور، وعما إذا كان يستحق، أو كان جديراً بشرف التأليه من عدمه،

---

(16) المصدر السابق : صفحة 167 وما بعدها.

(17) المسيحية نشأتها وتطورها : للدكتور شارل جينيبر. صفحة 95.

وفي حالة الموافقة عليه، يضاف اسمه إلى قائمة الآلهة التي تعبدها الدولة، والتي يأتي على رأسها جوبيتر، أعظم آلهتهم وأفضلها لديهم، وبذلك يصبح ذلك الإمبراطور إلهاً. وكانت قائمة الآلهة المعتمدة من قبل الدولة، تضم عدداً من الأباطرة المميزين من أمثال : قيصر، وأغسطس، وفسباسيان، وتراجان، وهادريان وغيرهم.

ويلاحظ أنه لم يحدث أن طلب أحد الأباطرة، أن تقام له شعائر العبادة وهو على قيد الحياة، ولكن لما كانت تتجسد في شخص الإمبراطور ومركزه وسلطته، قوة وهيبة روما وجبروتها، فقد أدى ذلك إلى أن يحاط الإمبراطور أثناء الاحتفالات العامة والمواكب الرسمية، بمظاهر التكريم والتعظيم، من حشود المرافقين، والمشاعل المتأججة التي تتقدمة، والبخور الذي يحرق أمامه، إلى آخر ما هناك من مظاهر الأبهة، التي كانت تأخذ نمط الطقوس الدينية وشكلها.

ولما لم يكن متاحاً للناس، عبادة الإمبراطور ـ وهو على قيد الحياة ـ علانية، فقد كان في إمكانهم فعل ذلك في حياتهم الخاصة، أما بالنسبة للقبائل والشعوب، التي كانت تعيش على أطراف الإمبراطورية، فقد كانوا يعبرون عن حبهم وولائهم وتكريمهم للإمبراطور، بعبادته حياً وميتاً، وقد سبقهم إلى ذلك الفراعنة في مصر، عندما ألّهوا أنفسهم، وتقبلهم الشعب المصري على هذا الأساس.[18]

موقف السلطات الرومانية من العقائد والديانات الأجنبية :

مع اتساع الرقعة الجغرافية التي سيطر عليها الرومان، وقدوم الأجانب من أبناء تلك المستعمرات إلى روما للعمل فيها، فقد دخلت معهم عقائدهم

(18) الإمبراطورية الرومانية : م. ب. تشارلز ورث. صفحة 164 وما بعدها.

ودياناتهم، فأخذ الرومان يعتنقونها لسد النقص الموجود في عقائدهم ودياناتهم.

وكانت السلطات الرومانية، تحت ضغط تلك الظروف المستجدة، تسمح للمواطن الروماني في اعتناق أي ديانة أجنبية يختارها، والتعبد لأي إله أجنبي، بشرط ألا تمنعه تلك الديانات أو الآلهة أو العقائد، أو تحد من مساهمته أو مشاركته بواجباته الأساسية، المتمثلة في الخضوع لديانة وآلهة الإمبراطورية الرومانية، والاشتراك في الاحتفالات والطقوس الدينية الرسمية للدولة وتعظيم آلهتها، إذ إن اشتراك الجميع في تعظيم وعبادة الآلهة الرومانية، ما هو إلا رمز ودليل على وحدة الدولة، وهو كفيل برضا الآلهة، وحمايتها لها من أي خطر يتهددها، هذا بالإضافة إلى أهمية تكريم وتعظيم الأباطرة بحرق البخور أمام تماثيلهم، والالتفاف حول نظام الدولة والدفاع عنها، وقد كان القانون الروماني صارماً جداً ضد من يخالف تلك القواعد.

وكان الرومان متسامحين أيضاً مع الشعوب والأمم المغلوبة، فيما يخص عقائدها وآلهتها، وعاداتها وتقاليدها ولغاتها، بشرط أن تظهر تلك الشعوب وأديانها تسامحاً مثله لدين الدولة الرومانية، وألا يكون لتلك الديانات الأجنبية، هيئة أو تنظيم كهنوتي مركزي، له القدرة على التأثير وقيادة أتباع تلك الديانة، وتوجيههم الوجهة التي يريدها القائمون عليها، أو أن ترتبط تلك الديانة ارتباطاً وثيقاً، بتاريخ وعادات أمة من الأمم أو شعب من الشعوب، إلى الحد الذي تصبح معه تلك العقيدة أو الديانة، عاملاً لإثارة المشاعر القومية الكامنة، لتلك الأمة أو الشعب أو إذكائها، مما يؤدي إلى القلاقل والثورات، كما حصل مع اليهود والديانة اليهودية مثلاً، التي سببت الثورات والمتاعب للسلطات الرومانية، مما حدا بها إلى البطش بهم، ومحاولة تصفيتهم مع ديانتهم في الأعوام 70 و132 حتى 135م.

كما كانت السلطات الرومانية تحظر الديانات التي تتخذ صفة السرية، أو لا تكون متاحة للجميع، بالإضافة إلى منعها الاجتماعات السرية، التي كانت تعقد خفية وفي جنح الظلام، لاعتقادها بأن من يقوم بمثل تلك الاجتماعات إنما ينوي شراً، إن لم تكن لأعمال منافية للآداب.[19]

(19) المصدر السابق: صفحة 174 وما بعدها. وقصة الحضارة : ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 370.

المبحث الثاني

قصة السيد المسيح عيسى ابن مريم ورسالته كما جاءت في القرآن الكريم، والمصادر النصرانية

القرآن الكريم

تمهيد :

لا يستغني الباحث أو الدارس الجاد، لأي من الديانتين اليهودية أو النصرانية ـ أياً كان دينه أو معتقداته ـ عن النظر بتدبر وإمعان إلى ما جاء عنهما في القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم هو المرجع أو المصدر العلمي والتاريخي الوحيد الموثوق فيه، والذي لا يتطرق إليه الشك في أي موضوع يتعرض أو يتصدى له، سواء كان الرسالات السماوية وأنبياؤها ورسلها وكتبها، أو غير ذلك من الموضوعات الكثيرة والمتنوعة.

يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) : "فليس في الوجود كله، كتاب إلهي أو بشري، له من الاحترام العلمي، القائم على التواتر والحفظ والصيانة، لرسمه وطريقة قراءته وأصوله كلها، غير القرآن الكريم".[1]

لذا وجدت من المناسب أن أُعرف بإيجاز بالقرآن الكريم، وعلاقته بالرسالات والأنبياء والكتب السماوية المُنَزَّلَة، قبل البدء بقصة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما جاءت في القرآن الكريم، وذلك خدمةً للقارئ بصفة عامة، وغير المسلم على وجه الخصوص.

---

(1) أضواء على المسيحية : صفحة 17.

تعريف بالقرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، بنصه لفظاً ومعنى، أوحاه الله سبحانه وتعالى، إلى رسوله محمد ﷺ، بواسطة المَلَك جبريل عليه السلام، مُنَجَّمَاً ـ متفرقاً وليس دفعةً واحدة ـ على حسب المناسبات والأحوال، بدءاً من حوالي سنة 610 للميلاد، واستمر بالنزول ثلاثاً وعشرين سنة قمرية تقريباً،[2] هي مدة بعثته ﷺ، منها ثلاث عشرة سنة قمرية في مكة، وعشر سنوات قمرية في المدينة.

ومن خلاله يخاطب الله سبحانه وتعالى، مخلوقه العاقل ـ الإنسان ـ لهدايته في كل زمان ومكان، مباشرة ومن دون واسطة وبخصوصية، بلغة الإنسان نفسه ـ اللغة العربية ـ.

ويتميز القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية، بميزات عديدة منها: أنه محفوظ بنصه العربي الذي أنزل به، منذ نزل إلى يومنا هذا، أي ما يزيد على أربعة عشر قرناً، لم يتغير أو يتبدل منه حرفٌ واحدٌ، لا بالزيادة ولا بالنقصان، ولا بالتقديم أو التأخير، تنفيذاً لوعد الله سبحانه وتعالى بحفظه، حيث قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ سورة الحجر آية 9.
وقال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ سورة فصلت آية 42.

والقرآن يعترف بجميع الرسالات السماوية السابقة، وبأنبياء الله ورسله السابقين، الذين أوحى الله سبحانه وتعالى إليهم تلك الرسالات، مثل: نوح

---

(2) كان العرب في الجاهلية يستخدمون السنة القمرية في تقويمهم، وهي أقل من السنة الشمسية بأحد عشر يوماً تقريباً، واستمر الحال كذلك في صدر الإسلام. وفي زمن الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تم اعتماد هجرة محمد ﷺ، من مكة إلى المدينة، بدايةً للتقويم الرسمي للدولة الإسلامية، ولذلك يسمى بالتقويم الهجري، وهو في الوقت نفسه تقويم قمري.

﴿ٱلذِّكْرَ﴾: أحد أسماء القرآن الكريم.

وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه، وأمر المسلمين بأن يؤمنوا بأولئك الأنبياء والرسل وبرسالاتهم ﴿ **قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** ﴾ سورة البقرة آية 136.

ولهذا تجد أن القرآن الكريم يضم كثيراً من القيم والمبادئ، والتعاليم والقصص عن تلك الديانات السماوية وكتبها ورسلها.

وهو يخاطب الناس كافة منذ نزوله وإلى يوم القيامة، في حين أن الكتب السماوية السابقة، نزلت على أنبياء أرسلوا إلى أقوامهم لا غير.

كما أن شريعته أتمت وأكملت جميع شرائع الأنبياء السابقين، ولذلك فالقرآن هو المهيمن على الكتب التي سبقته. جاء في سورة المائدة آية 48 ﴿ **وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ** ﴾.

الخطاب موجه إلى محمد ﷺ، والكتاب هو القرآن الكريم، المتضمن حقائق الأمور وأنه حق في نفسه، ومصدقٌ لما تقدمه من الكتب السماوية التي نزلت قبله، ولذلك فهو المهيمن والمسيطر والرقيب المؤتمن عليها، فقد بين وأثبت الحق الذي جاء فيها، وصحح ما طرأ عليها من نقص أو زيادة أو تغيير، سواء بسبب النسيان أو الضياع، أو التحريف والتزوير والتبديل، المتعمد وغير المتعمد، ثم نسخها جميعاً، أي أبطل العمل فيها وحل محلها.[3]

ومن خصائص القرآن الكريم، أنه قرآن مادام بنصه الأصلي العربي، فإذا ما تُرجم إلى لغة أخرى فإنه لا يعود قرآناً، إنما يصبح ترجمة لمعاني القرآن الكريم، حسبما فهمها المترجم، بناء على استيعابه وتمكنه من اللغتين،

---

(3) استقيت هذا التفسير ـ بتصرف ـ من المصادر التالية:

زبدة التفسير من فتح القدير: لمحمد سليمان عبد الله الأشقر. والموسوعة القرآنية الميسرة: للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي وآخرين. وصفوة البيان لمعاني القرآن: للشيخ حسنين محمد مخلوف.

وذوقه في اختيار الكلمات أو التعبيرات التي يراها مناسبة أكثر من غيرها، وبالتالي فإنه من المستحيل أن تقترب الترجمة ـ مهما كانت دقيقة ومخلصة ومتسامية ـ ولو من بعيد جداً، لأن تصبح قرآناً، بدلالاته وبجمال ودقة وعمق النص الأصلي العربي، وتأثيره في السامع أو القارئ.
ولهذا السبب لا تجوز صلاة المسلم ـ مهما كانت لغته ـ إلا بتلاوة بعض سور وآيات القرآن الكريم، بنصه الأصلي باللغة العربية التي نزل بها.

ومن جهة أخرى، إن المسلمين من غير الناطقين باللغة العربية ـ متعلمهم وجاهلهم ـ يحفظون القرآن الكريم غيباً، كاملاً أو أجزاء منه، أو بعض سور منه، على الرغم من أنهم لا يفقهون ما يقرؤن، إذ إنه من المستحيل أن يحفظ الإنسان كتاباً كاملاً عن ظهر قلب، وهو لا يعرف لغة ذلك الكتاب، وهذا من إعجازات القرآن الكريم.

هذا بالإضافة إلى أن آيات القرآن الكريم، تحتوي على إعجازات علمية، تشمل مختلف نواحي الحياة والكون، وهي مصوغة بأسلوب معجز، فهي لا تتصادم مع معلومات الإنسان، بغض النظر عن مبلغ علمه، أو المستوى الحضاري الذي بلغته الإنسانية في أي عصر ومصر، منذ أن نزل قبل أكثر من أربعة عشر قرناً وإلى اليوم.
ولذلك فلا يمكن لآيات القرآن الكريم أن تفشي بأسرارها أو أن تبوح بمكنوناتها، أو تسمح لأحدٍ بسبر أغوارها، وكشف ما تحتويه من إعجازات علمية، قبل أن يحين وقت كشفها، وهو تقدم الإنسان في مضمار العلم والحضارة، عندها فقط يكشف القرآن عن بعض مكنوناته، التي كانت مبهمة وعصية على الفهم الصحيح لمعانيها، بمقدار التقدم العلمي الذي وصل إليه الإنسان، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية، والله أعلم.

قصة السيد المسيح في القرآن الكريم

ينتمي السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، عن طريق أمه مريم بنت عمران، إلى عائلة من بني إسرائيل، اشتهرت بالتقوى والصلاح والنسك. وقد خلقه الله سبحانه وتعالى ـ القادر على كل شيء ـ من أم عذراء بلا أب، كما خلق من قبله آدم عليه السلام، من دون أب ولا أم، وخلق حواء من آدم. فقدرة الله سبحانه وتعالى، لا تحدها حدود ولا قيود النواميس والزمان والمكان، فالخضوع والتسليم للقدرة الإلهية القاهرة للخالق، وليس للمخلوق. جاء في القرآن الكريم ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ سورة آل عمران آية 59.

وقد ذكره القرآن الكريم وأمه، بكل تقدير وتبجيل في أكثر من آية، ودافع عنه وعن أمه ضد اتهامات اليهود لهما، الذين أشاعوا أنه وُلِدَ سفاحاً، وأن أباه يوسف النجار، كما دافع عنه بنفي زعمهم أنه قُتِلَ على الصليب، وأنه إله أو ابن إله.

وإليك قصته منذ البداية، بدءاً بجدته لأمه، ثم أمه مريم، كما جاءت بالقرآن الكريم.

ولادة ونشأة السيدة مريم واصطفاؤها :

ذكر القرآن الكريم في سورة آل عمران آية 35 إلى 37 قصة ولادة السيدة مريم ونشأتها ﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا**

سورة آل عمران آية 35 ﴿ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ : هي حنة أم السيدة مريم ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ وجدة عيسى عليه السلام، وقد توفي عمران قبل ولادة ابنته مريم.

مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

وجاء أيضاً في سورة آل عمران آية 42 و43 ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

بشارة الملائكة للسيدة مريم، بالسيد المسيح عليه السلام، وردها عليهم :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ سورة آل عمران آية 45 إلى 47.

ظهور الملَك جبريل للسيدة مريم، وإبلاغها بأنها ستحمل بالسيد المسيح :

جاء في سورة مريم آية 16 إلى 21 ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾.

سورة آل عمران آية 37 ﴿ زَكَرِيَّا ﴾: هو أبو يحيى عليهما السلام، وزوجته ـ اسمها اليصابات بالأناجيل العربية، وإليزابيث في الأناجيل الإنجليزية ـ خالة السيدة مريم أم السيد المسيح عيسى (المصدر السابق) .

سورة مريم آية 17 ﴿رُوحَنَا﴾ : هو الملَك جبريل عليه السلام. (زبدة التفسير من فتح القدير: لمحمد سليمان عبد الله الأشقر).

قصة حمل السيدة مريم بالمسيح وولادته، ورد فعلها على ما حدث :

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ سورة مريم آية 22 إلى 23.

الدعم المعنوي للسيدة مريم فور ولادتها :

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ سورة مريم آية 24 إلى 26.

تصور حالتها النفسية، وهي راجعة إلى أهلها تحمل طفلاً بالمهد، إنه لأمر مهول بالنسبة لأي امرأة عادية، مما يدفعها إلى التفكير في التخلي عن فلذة كبدها بأي وسيلة درءاً للفضيحة، فما بالك بمريم الطاهرة العابدة الناسكة، إنه امتحان رهيب ولا شك.

رد فعل قومها لما أتتهم وهي تحمل طفلها عيسى :

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ سورة مريم آية 27 إلى 29.

سورة مريم آية 24 ﴿فَنَادَىٰهَا﴾: جبريل أو عيسى عليهما السلام (زبدة التفسير من فتح القدير. وصفوة البيان لمعاني القرآن).

﴿سَرِيًّا﴾: نهر صغير، أو ابنها عيسى (زبدة التفسير، وصفوة البيان).

سورة آل عمران آية 27 ﴿فَرِيًّا﴾: شيئاً غريباً منكراً (الموسوعة القرآنية الميسرة).

سورة آل عمران أية 28 ﴿هَٰرُونَ﴾: قيل إنه أخ موسى عليه السلام، وكانت مريم من نسله.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾: يا شبيهة هارون في العفة والعبادة، كقولهم يا أخا العرب، أو يا أخا تميم (صفوة =

دفاع الطفل عيسى عن أمه وهو في المهد :

فأنطق الله سبحانه وتعالى، عيسى وهو في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ سورة مريم آية 30 إلى 33.

إن مجرد نطق الطفل عيسى وهو في المهد، يمثل إعجازاً بحد ذاته، من الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء، وكان برهاناً دامغاً لا يمكن نقضه، ببراءة أمه مريم في ذلك الموقف العصيب، ولو لم يتكلم ويدافع عن أمه وهو في المهد، لرجمها قومها حتى الموت حسب شريعة التوراة. ومن جهة أخرى، كان نطقه تعريفاً بشخصه الكريم : إنه عبدالله، وإن الله سبحانه وتعالى، قرر وقضى في الأزل بإعطائه الكتاب ـ الإنجيل ـ وجعله نبياً.

تقرير القرآن الكريم عن حقيقة السيد المسيح :

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سورة مريم آية 34 و35.

كانت تلك قصة ولادة السيدة مريم، وكفالة النبي زكريا لها، وقصة حملها وولادتها السيد المسيح عليه السلام، من واقع ما جاء في القرآن الكريم.

= البيان والموسوعة القرآنية). وجاء في سورة الأعراف آية 65 ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾. وجاء في الآية 85 في السورة نفسها ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

سورة مريم آية 34 ﴿يَمْتَرُونَ﴾ : يَشِكّون، يختصمون ويختلفون.

ملاحظات:

1. أطلق القرآن الكريم على أتباع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، اسم النصارى في أكثر من آية، منها :

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ سورة آل عمران آية 52.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ سورة البقرة آية 62.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ سورة البقرة آية 113.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ سورة البقرة آية 120.

2. لم يُطلق القرآن الكريم على رسالة السيد المسيح، اسم النصرانية، ولكن المسلمين اشتقوا هذا الاسم ـ النصرانية ـ من كلمة النصارى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

3. لا يوجد في القرآن الكريم، ذكر لكلمتي مسيحيين ولا مسيحية، كما أنهما لم تردا في السُنَّةِ النبوية المطهرة.

4. كما يلاحظ أن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، التي بيد النصارى اليوم، لم تُطلق على رسالة السيد المسيح اسم المسيحية، ولا على أتباعه اسم المسيحيين قبل رفعه.

إذ إن هذين الاسمين ـ المسيحية والمسيحيين ـ لم يكونا معروفين ولا متداولين طيلة فترة حياة السيد المسيح على الأرض، وقد استحدثا بعد رفعه عليه السلام، بحوالي خمس عشرة إلى خمس وعشرين سنة على وجه التقريب، في المرحلة الأولى من مراحل تحريف رسالته.

من هذا يتضح أن إطلاق اسم المسيحية على رسالة السيد المسيح، واسم المسيحيين على أتباعه أثناء حياته، يعد بكل تأكيد خطأً دينياً وتاريخياً، بالإضافة إلى أنه يساهم في خلط المراحل التي مرت بها هذه الديانة، ويشوه الصورة ويعقدها بالنسبة للقارئ أو المستمع.(4)

لذا أود توجيه انتباه القارئ إلى أنني سأتقيد في ذلك، وساستخدم عبارة: رسالة السيد المسيح، أو ديانته، أو النصرانية، وعلى الذين صدقوه وآمنوا برسالته، على أنهم أتباعه أو أطلق عليهم النصارى، وذلك حتى يتم إطلاق اسم المسيحيين عليهم ـ نسبة إلى السيد المسيح ـ من قبل الوثنيين من أهالي مدينة أنطاكية وغيرهم، كما جاء في أعمال الرسل 26/11 "وفي أنطاكية، أطلق على تلاميذ الرب* أول مرة اسم المسيحيين".
وذلك بعد رفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بحوالي خمس عشرة إلى خمس وعشرين سنة على وجه التقريب، وعندها ساستخدم كلمة المسيحية والمسيحيين، بالإضافة إلى النصرانية والنصارى.

(4) سيأتي تفصيل ذلك في صفحة 113 وما بعدها من المبحث الثالث.

* الرب : يقصدون به السيد المسيح عليه السلام.

قصة السيد المسيح في المصادر المسيحية

التمهيد الأول ـ الإنجيل الذي أُوحِيَ إلى عيسى ابن مريم :[5]

أوحى الله سبحانه وتعالى، على عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كتاباً اسمه الإنجيل، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من آية، قال الله تعالى : مخاطباً عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ سورة المائدة آية 110.

وجاء في سورة آل عمران آية 48 عن السيد المسيح ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾.

وجاء في سورة المائدة آية 46 عن السيد المسيح ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾.

ولكننا لا نعلم، هل كتب السيد المسيح الإنجيل الذي أوحي إليه من ربه، أو أمر أحداً من أتباعه بكتابته، أم أنه كان يدعو قومه به شفاهة ؟

ولكن من المؤكد أن هذا الإنجيل قد ضاع أو اختفى، أو تم إخفاؤه عن عمد، فضاعت آثاره ولم يعد له ذكر، ولا تتحدث المصادر المسيحية عنه، فالقساوسة والـمُنَصّرون لا يقرون ولا يعترفون، بل ينكرون أن إنجيلاً قد أُنْـزِلَ على السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، لأنه باعتقادهم إله و ابن إله، فكيف يَنْـزِلُ كتابٌ على الإله ؟ أو هل يُنَـزِّلُ الإله كتاباً على نفسه ؟

ومن المؤكد أيضاً أن السيد المسيح عليه السلام، وتلاميذه وأتباعه ـ حتى بعد رفعه ـ كانوا يتعبدون بالإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى، على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، لأن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ـ التي بيد النصارى اليوم ـ لم تكن قد أُلفت بعد.

---

(5) سأتناول موضوع الأناجيل والرسائل الملحقة بها بالتفصيل، في المبحث الخامس.

التمهيد الثاني ـ لا توجد عند النصارى معلومات يقينية ومؤكدة عن السيد المسيح عيسى ابن مريم :

أرجو لفت انتباه القارئ إلى أنه ـ للأسف الشديد ـ لا توجد معلومات مؤكدة ومسلَّمٌ بها، وغير قابلة للنقاش أو الجدل أو النقض عند النصارى، في كل ما يتعلق بالسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، في المصادر النصرانية قديمها وحديثها.

ومن تلك الأمور المجهولة، أو غير المتيقن من صحتها ـ على الرغم من أهميتها البالغة ـ المتعلقة بالسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ما يلي :

1. لا يُعرف بالتحديد سنة ميلاده، علماً أن التقويم الميلادي الحالي، ينسب إلى تاريخ ميلاده، كما كان يعتقد واضعوا هذا التقويم. إلا أن هناك من الباحثين، من يقدم تاريخ ميلاده أربع سنوات قبل التقويم الميلادي الحالي، مستشهدين بإنجيل متى 1/2 الذي أفاد أن يسوع ولد في عهد الملك هيرودس، وهيرودس مات قبل أربع سنوات من بدء التقويم الميلادي الحالي، كما يعتمد آخرون على شواهد أخرى، تقدم تاريخ ميلاده ما بين خمس إلى ست سنوات، قبل التقويم الميلادي الحالي. (6)

وتفسير ذلك أن التقويم عند الرومان، كان يبدأ من تاريخ تأسيس مدينة روما سنة 753 ق. م. وفي سنة 45 ق. م، أمر الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر بتعديله ـ بالاستعانة بأحد الفلكيين المصريين ـ وسمي ذلك التعديل بالتقويم اليولياني ـ نسبة إلى الإمبراطور يوليوس قيصر* ـ .

---

(6) المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جنيبر. صفحة 32. وحياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث : عباس محمود العقاد. صفحة 82 و85. والعقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل : حسن الباش. الجزء الأول، صفحة 60 وما بعدها.

* لاحظ أن اسم الشهر الميلادي السابع (يوليو) مستمد من اسم الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر، كما أن اسم الشهر الميلادي الثامن (أغسطس) مستمد أيضاً من اسم الإمبراطور الروماني أغسطس.

وفي سنة 532م، قام راهب أرمني (ديونيسيوس الصغير) بتعديل التقويم اليولياني، لكي يبدأ من ميلاد السيد المسيح، ويبدو أنه أخطأ في تحديد تاريخ ميلاد السيد المسيح، فقدمه ما بين أربع إلى ست سنوات ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ. وفي سنة 1582م، أمر بابا روما (جريجوريوس الثالث عشر) بإجراء تعديل على التقويم الميلادي، الذي وضعه الراهب الأرمني (ديونيسوس الصغير) ـ الفرق بينه وبين التقويم الجريجوري 13 يوماً ـ وأصبح يطلق عليه منذ ذلك اليوم التقويم الجريجوري.

ولكن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية في اليونان والبلقان وروسيا، والكنيسة القبطية بمصر والكنائس التابعة لها في أثيوبيا وغيرها، لم تقبل بتعديل البابا جريجوريوس، واستمرت باستخدام التقويم الذي وضعه الراهب ديونيسيوس، ولذلك يحتفل المسيحيون الشرقيون بعيد الميلاد أو الكرسماس في 6 يناير، في حين أن أتباع التقويم الجريجوري يحتفلون به في 25 ديسمبر.

2. لا يُعرف تاريخ حياته أو سيرته منذ ولادته حتى بدء بعثته، أي إن ثلاثين عاماً من عمره الشريف مجهولة تماماً، باستثناء ختانه لما صار له ثمانية أيام وتسميته يسوع (إنجيل لوقا 21/2)، وذهاب أمه به وهو رضيع إلى مصر، ثم عودته منها (إنجيل متى 13/2 و14).
وأنه لما بلغ الثانية عشرة من عمره، أخذته أمه إلى الهيكل في بيت المقدس، فأخذ يحاور المعلمين اليهود (إنجيل لوقا 41/2 ـ 47).

3. لا نعرف هل تلقى تعليماً على يد معلم خاص، أم ذهب إلى المدرسة مع أقرانه، أم كان أمياً ؟

4. لا يُعرف هل تزوج أم لا ؟ وإذا كان قد تزوج، هل تم ذلك قبل بعثته أم بعدها ؟ وهل أنجب أم لم ينجب ؟

5. لا يُعرف ماذا كان يعمل قبل بعثته ؟ وما هي مصادر دخله ؟

6. لا يوجد وصف لهيئته : طوله وعرضه، ولون بشرته، ولون عينيه، ولون شعره وطوله، ولحيته وشواربه، وطريقة جلوسه ومشيته ... إلخ، وما يحب من الطعام وما لا يحب، وما يحب من الشراب وما لا يحب.

إلا أننا كمسلمين نجزم أن السيد المسيح عليه السلام، كنبي من أنبياء الله، لم يأكل لحم الخنزير ولم يصرّح بأكله، ولم يشرب الخمر ولم يصرّح بشربها، ولم يجلس في مجلس تدار فيه كؤوسها، ولم يتدنس بأي عمل لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

ولكن جاء في إنجيل يوحنا 1/2 ــ 11، أن السيد المسيح وأمه مريم، كانا مدعوين إلى حفلة عرس، فلما نفد الخمر أبلغته أمه بنفادها، فحول السيد المسيح الماء إلى خمر من نوع جيد، وكانت تلك أولى معجزاته حسب ما جاء في ذلك الإنجيل !

7. لا يُعرف كيف كان يقضي حاجته، وكيف كان يستنجي من الحدثين الأكبر والأصغر، وكيف كان يغتسل من الجنابة، وكيف كان يتوضأ للصلاة، وكيف كانت صلاته، وهل كان يصلي منفرداً فقط، أم كان يؤم المصلين ؟ وكيف كان صيامه ومدته ... إلخ.

8. لا يُعرف على وجه الدقة، كم كان عمره حين بدأ دعوته، فأناجيل متى ومرقص ويوحنا، لم تتطرق إلى هذا الموضوع، والوحيد الذي أشار إليه بعبارة تقريبية، هو إنجيل لوقا 23/3 "ولما ابتدأ يسوع* كان له نحو ثلاثين سنة".

9. لا يُعرف على وجه الدقة مدة بعثته، فلم تذكر الأناجيل الأربعة ولا الرسائل الملحقة بها، أي شيء عن هذا الموضوع، ولكن يمكننا أن نستخلص من أناجيل

---

* يسوع : وبالآرامية يشوع : يقصدون به عيسى ابن مريم عليه السلام.

متى ومرقص ولوقا، أن مدة بعثته لم تتجاوز سنة واحدة وربما أقل، وذلك من ملاحظة حضوره عيد الفصح (الإيستر) مرة واحدة.
كما يمكننا أن نستنتج من إنجيل يوحنا، أن مدة بعثته تصل إلى ثلاث سنوات، وذلك من ملاحظة حضوره عيد الفصح ثلاث مرات.

10. لا يُعرف على وجه الدقة، كم كان عمره عند رفعه، ولكننا يمكن أن نستنتجه، إذا اعتبرنا أن مدة بعثته كانت ما بين سنة واحدة إلى ثلاث سنوات، وإذا افترضنا أن عمره حين بدأ دعوته كان حوالي ثلاثين سنة،[7] فيمكننا أن نستنتج أن عمره عند رفعه كان ما بين واحدٍ وثلاثين، وثلاثٍ وثلاثين عاماً تقريباً، حسب التقويم الميلادي الحالي.

11. ضياع الإنجيل الذي أنزله الله عليه، ولم يعد له ذكر.

12. يضاف إلى ما سبق، خلو سجلات الإمبراطورية الرومانية الحاكمة لفلسطين آنذاك، من أي ذكر لشخص اسمه يسوع ـ المسيح عيسى ابن مريم ـ لذلك فليس من المستغرب، إذا أنكر بعض الباحثين الغربيين وجود شخص بهذا الاسم.

وفي هذا السياق، يقول (شارل جينيبير) : "لا أعتقد أنه يمكننا التشكيك في وجوده ـ المسيح ـ على غرار ما يحاول البعض حتى أيامنا هذه، ولكننا متى ما أثبتنا وجوده التاريخي، فإننا بذلك نضع أنفسنا مباشرة في تيه من التاريخ، كله ظلمات وشكوك، ولا أدل على ذلك من أن البحث الدقيق الذي دار في السنوات الأخيرة، على أساس من الوثائق الأصلية، لم يثبت سوى استحالة تصوير حياة يسوع، في شيء من اليقين والتثبت".[8]

---

(7) حسب ما جاء في إنجيل لوقا 23/3.

(8) المسيحية نشأتها وتطورها : صفحة 34.

ويقول (جوستاف لوبون) : "وعلى ما نراه من معرفتنا بما فيه الكفاية لحياة كثير من مؤسسي الأديان كحياة محمد ـ ﷺ ـ مثلاً، نرى حياة مؤسس النصرانية مجهولة تقريباً".[9]

ويقول (إميل لودفنج) : "من الصعب وصف رجل كيسوع، لا نكاد نعلم شيئاً عن حياته، وأوصافه وسيرته قبل بلوغه الثلاثين من عمره، وليس لدينا غير معارف متناقضة عن عامي سِنّه الأخيرين ـ عن العامين الأخيرين من عمره ـ".[10]

وعن خلو الأناجيل من المعلومات عن حياة السيد المسيح، منذ ولادته وحتى بدء دعوته، يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) : "أغفلت الأناجيل ثلاثين عاماً من حياة المسيح، دون أن يذكروا شيئاً، إلا ما اختص بالسنين الثلاث الأخيرة ـ سني دعوته ـ ".[11]

يقول الشيخ (محمد أبو زهرة) : "إذا تصدينا للمسيحية التي جاء بها المسيح، نجد التاريخ لا يسعفنا بها، إذ بَعُدَ العهد، واضطربت روايات التاريخ بالأحداث التي نزلت بالمسيحيين،[12] ويجوز أن تكون قد عملت يد المحو والإثبات عملها، حتى اختلط الحابل بالنابل، وصار من العسير أن نميز الطيب من الخبيث، والحق من الباطل، والصحيح من غير الصحيح ".[13]

أسباب عدم وجود معلومات يقينية ومؤكدة عن السيد المسيح :

يبدو أن ذلك راجع إلى ما يلي :

1. قصر مدة دعوته عليه السلام، التي تقدر ما بين سنة واحدة إلى ثلاث سنوات على أبعد تقدير.

---

(9) حياة الحقائق : صفحة 62.

(10) ابن الإنسان (حياة نبي) : صفحة 9.

(11) أضواء على المسيحية : صفحة 53.

(12) فيما يتعلق بعبارة : المسيحية التي جاء بها المسيح، انظر الملاحظات في صفحة 39 و40 من هذا المبحث. أما عن الأحداث التي نزلت بالمسيحيين المشار إليها، سيأتي تفصيلها في المبحث الرابع.

(13) محاضرات في النصرانية : صفحة 15.

2. اعتقاد تلاميذه برجعته الوشيكة بعد رفعه ـ أو بعد صلبه حسب اعتقادهم ـ وقرب انتهاء الحياة على الأرض بيوم القيامة، لذا لم يشعروا بالحاجة إلى الكتابة عنه، وتسجيل ذكرياتهم معه.

3. المصائب والاضطهادات التي تعرض لها تلاميذه وأتباعه، من قومهم اليهود والرومان على حد سواء، فشغلتهم بأنفسهم، والله أعلم.

حمل السيدة مريم وولادتها المسيح، كما جاءت في إنجيل متى :[14]

جاء في إنجيل متّى 18/1 ـ 25 "أما يسوع المسيح فقد تمت ولادته هكذا : كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا معاً، وجدت حبلى من الروح القدس*. وإذ كان يوسف خطيبها بارا، ولم يرد أن يُشَهّر بها، قرر أن يتركها سرا. وبينما كان يفكر في الأمر، إذا ملاك من الرب قد ظهر له في حلم يقول : يا يوسف بن داود! لا تخف أن تأتي بمريم عروسك إلى بيتك، لأن الذي هي حبلى به إنما هو من الروح القدس. فستلد ابنا، وأنت تسميه يسوع، لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم. حدث هذا كله ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل: ها إن العذراء تحبل، وتلد ابناً، ويدعى عمانوئيل! أي الله معنا**، ولما نهض يوسف من نومه، فعل ما أمره به الملاك الذي من الرب، فأتى بعروسه إلى بيته. ولكنه لم يدخل بها حتى ولدت ابناً، فسماه يسوع".

---

(14) أولاً : يرجى ملاحظة أن نصوص الأناجيل غير موحدة بين طبعات الأناجيل، لذا نسترعي انتباه القارئ غير الملم بهذه الخاصية، فيما لو تصفح أحد الأناجيل، وقارن بينه وبين النصوص المذكورة في هذا الكتاب.

ثانياً : لمعرفة كيفية التعرف على الإصحاحات والجمل في الأناجيل والرسائل الملحقة بها، انظر صفحة 204 في المبحث الخامس.

* الروح القدس : تم اعتماد الروح القدس كإله، وأضيف إلى الآب والإبن في مجمع القسطنطينية الأول سنة 381 م، وبذلك تكونت عقيدة التثليث (الآب والابن والروح القدس) بعد رفع السيد المسيح بحوالي 350 سنة على وجه التقريب، وسيأتي بحث هذا الموضوع بالتفصيل في صفحة 215 وما بعدها في المبحث السادس.

** ويدعى عمانوئيل: لم تتم تسمية عيسى ابن مريم، باسم عمانوئيل.

ويمضي متى في سرد القصة في إنجيله 1/2 ـ 20، أُوردها باختصار كما يلي:
بعد ولادة يسوع في بيت لحم في عهد الملك هيرودس، جاء المجوس قادمين من الشرق، يسألون أين هو المولود ملك اليهود* ؟ فقد رأينا نجمه طالعاً في الشرق فجئنا لنسجد له، فدلهم النجم على مكانه، فوجدوه مع أمه، فجثوا وسجدوا له وقدموا له هدايا، ذهباً وبخوراً ومراً. ثم ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم، وأمره بالهرب بالصبي وأمه إلى مصر، خوفاً من الملك هيرودس الذي ينوي قتله. ولما مات هيرودس ظهر ملاك الرب في الحلم ليوسف، وأمره بالرجوع بالصبي وأمه إلى أرض إسرائيل.

حمل السيدة مريم وولادتها المسيح، كما جاءت في إنجيل لوقا :

جاء في إنجيل لوقا 26/1 ـ 35
"أُرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة بالجليل اسمها الناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف، من بيت داود، واسم العذراء مريم. فدخل الملاك وقال لها : سلام أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت بين النساء، فاضطربت لكلام الملاك، وساءلت نفسها، ما عسى أن تكون هذه التحية، فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم، فإنك قد نلت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع، إنه يكون عظيماً، وابن العلي يدعى، ويمنحه


صورة للسيدة مريم مع ابنها عيسى في المذود

* لم يملك عيسى ابن مريم أو يحكم اليهود.

الرب عرش داود أبيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه نهاية*. فقالت مريم للملاك : كيف يحدث هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجابها الملاك: الروح القدس يأتي عليك، وقدرة العلي تظلك. لذلك أيضاً فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله". ويتابع لوقا القصة في 38/1 "فقالت مريم : ها أنا عبدة الرب، ليكن كما تقول، ثم انصرف الملاك من عندها".

وجاء أيضاً في إنجيل لوقا 1/2 ــ 6 فيما معناه : أن يوسف ذهب مع خطيبته مريم وكانت حاملاً إلى بيت لحم، ليسجل اسمه في إحصاء السكان بناء على أمر السلطات الرومانية، وبينما كانا هناك جاءها المخاض.
ويتابع لوقا في إنجيله 7/2 "فولدت ابنها البكر، ولفته بقماط**، وأنامته في مذود***، إذ لم يكن لهما متسع في المنـزل".

بمقارنة هذا النص بالنص الإنجليزي، نجد أنه قد استبدل كلمة (Inn) التي تعني نُزُلٌ أو خان ــ وهو نوع من الفنادق رخيص ومتواضع جداً ــ بكلمة المنـزل في النص العربي. وعليه تكون ترجمة النص الإنجليزي لتلك الجملة هو "وولدت ابنها البكر، ولفته بقماط، ووضعته في المذود، لأنهما لم يجدا مكاناً في النـُزُل".
أي أنهما ــ مريم ويوسف ــ ذهبا إلى نُزُل أو خان، فلم يجدا مكاناً للإقامة فيه، سوى حظيرة أو زريبة الحيوانات، حيث ولدت مريم ابنها هناك، فقمطته وأضجعته في مذود البقر وغيرها من المواشي.

وهذا سبب وضعهم المجسمات في الأسواق وغيرها، لامرأة مع طفلٍ نائمٍ في المذود، في حظيرة أو زريبة الحيوانات، في الخامس والعشرين من شهرٍ ديسمبر من كل سنة احتفالاً بميلاد السيد المسيح.

---

* لم يُمنح يسوع عرش أبيه داود، ولم يملك على بيت يعقوب، كما جاء في إنجيل لوقا.

** القماط : ما يلف به المولود بعد ولادته.

*** المذود : هو المعلف، أي الوعاء الذي يوضع فيه الطعام للحيوانات الأليفة، كالغنم والبقر والحمير لتأكل منه، وكان يصنع من الخشب.

ملاحظات:

1. لم يذكر مرقص ولا يوحنا في إنجيليهما، أي شيء عن قصة حمل السيدة مريم وولادتها السيد المسيح.
2. لم تذكر أناجيل النصارى الأربعة التي بيدهم اليوم، أن السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قد تكلم بالمهد، وقد يكون سبب ذلك أنهم نسوا ذكر تلك الحادثة المهمة، أو أنهم قد ذكروها في بعض أناجيلهم أو كلها حين تأليفها، ولكنها أزيلت منها فيما بعد، فتركوا تهمة الزنا لاصقة بأمه تلاحقها إلى يومنا هذا.
3. هناك إنجيل اسمه إنجيل توما أو إنجيل الطفولية ـ وهو أحد الأناجيل الكثيرة المرفوضة، التي لا تعترف بها الكنائس المسيحية ـ يقال إنه ذكر فيه أن السيد المسيح قد تكلم في طفولته.

ويبدو لي أن السبب في عدم تطرق الأناجيل الأربعة التي بيد النصارى اليوم، لكلام الطفل عيسى وهو في المهد، سواء كان ذلك من مؤلفيها، أو أنه أزيل منها بعد ذلك بواسطة محرفيها، هو قول الطفل عيسى وهو في المهد ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ سورة مريم آية 30. وهذه العناصر الثلاثة التي جاءت في هذه الآية، من أنه عبد الله، وأن الله آتاه الكتاب، وجعله نبيا، مما يتناقض مع عقائدهم، التي وضعوها بعد رفع السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله أعلم.

أي النصين أوثق وأليق:

بعد هذا العرض الموجز عن قصة السيدة مريم، وحملها وولادتها لابنها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، على القارئ المسيحي، النظر بتدبر وإمعان فيما جاء في القرآن الكريم، ومقارنته فيما جاء بإنجيلي متى ولوقا، وتقرير أي من نصوص المصدرين، أوثق وأليق بمقام الألوهية، ثم بمقام السيدة مريم وابنها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قصة نشأة السيد المسيح عيسى ابن مريم ورسالته، كما جاءت في القرآن الكريم، والمصادر النصرانية



خريطة فلسطين

وُلِدَ السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، في أسرة من بني إسرائيل سنة واحد ميلادية،[15] في إقليم الجليل في شمال فلسطين في بيئة يهودية، في عهد الإمبراطور الروماني تيبيريوس (42 ق. م ــ 37م). وعاش وترعرع في فلسطين التي كانت تحت الاحتلال الروماني آنذاك. ولما بلغ حوالي ثلاثين سنة ــ حسب ما جاء في إنجيل لوقا 3/23 ــ أرسله الله سبحانه وتعالى، إلى قومه بني إسرائيل برسالة سماوية مُوَحِّدَة وبسيطة ومحلية، متممة ومكملة لرسالة موسى عليه السلام.

جاء في القرآن الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم

(15) انظر البند 1 صفحة 42 من هذا المبحث.

سورة الصف آية 6 : ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ أحمد اسم لمحمد ﷺ، ومعناه : الذي يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر مما يحمد غيره (عن زبدة التفسير : لمحمد سليمان الأشقر). أو كثير الحمد لربه (عن الموسوعة القرآنية : للدكتور وهبة الزحيلي وآخرين). أو أحمد الحامدين لربه (عن صفوة البيان لمعاني القرآن : للشيخ حسنين محمد مخلوف).

بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ سورة الصف آية 6،
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ سورة آل عمران آية 49.

ولكي يردهم إلى تطبيق شريعة التوراة بنصها وروحها، وليصحح ما أدخلوه على الدين من إضافات وانحرافات، وليخفف عنهم بعض ما فرض عليهم في التوراة من تشديد وعنت، مثل تحليل فعل الخير في يوم السبت.
جاء في القرآن الكريم عن السيد المسيح ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ سورة آل عمران آية 50.
فلما حلل السيد المسيح عمل الخير في يوم السبت، ثار عليه قومه بنو إسرائيل.(16)

وقد أيده الله تعالى، بالمعجزات التي أجراها على يديه ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ سورة المائدة آية 110.

وجاء في سورة آل عمران آية 49، أن السيد المسيح عليه السلام، قال لقومه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾، مما يعتبر من الأسرار.(17)

---

(16) انظر إنجيل متى 1/12 ـ 13، وإنجيل لوقا 10/13 ـ 17، و1/14 ـ 6).
سورة المائدة آية 110 : ﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾ هو الملَك جبريل عليه السلام، ويجيء أيضاً بلفظ ﴿الروح الأمين﴾ كما في سورة الشعراء آية 193.

(17) لم تذكر أناجيل النصارى الأربعة التي بيدهم اليوم، أن السيد المسيح عليه السلام، كان يخلق من الطين كهيئة الطير فتطير، كما أنها لم تذكر أنه كان ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

تعليل معجزات السيد المسيح :

1. كانت معجزات الأنبياء والرسل، تتماشى مع ما برع أو اشتهر به قومهم الذين بعثوا إليهم. فقد اشتهر السحر في مصر وبرع السحرة به، لذا كانت معجزات موسى عليه السلام، في ظاهرها كأنها سحر، فتحدى السحرة في فنهم، فبهرتهم معجزاته وعلموا أنها ليست سحراً، فأذعنوا لها وآمنوا بموسى وبرسالته.
2. وكان العرب بلغاء وفصحاء، في زمن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، لذا فقد تحداهم بالقرآن الكريم الذي بهرتهم وأعجزتهم بلاغته.
3. أما بنو إسرائيل الذين بُعِثَ إليهم عيسى ابن مريم عليه السلام، فلم يكونوا على معرفة غير عادية بالطب وعلومه، ولم يُعرَف عنهم نُبُوغ فيه. ولكن أكثرهم قد أنكر الروح، فجاءت معجزات السيد المسيح تلفت انظارهم إلى الروح، وإقامة الدليل على وجودها، بدءاً بولادته من غير أب، وشفائه الأكمه والأبرص، مما ليس بمقدور الأطباء فعله، وخلقه من الطين كهيئة الطير، فتطير بعدما ينفخ فيها، وكذلك إحيائه الموتى الذي ليس له علاقة بالطب في أي زمان ومكان.(18)

عيسى ابن مريم لم يبشر غير قومه بني إسرائيل :

تأكيداً لما جاء في القرآن الكريم، من أن السيد المسيح أُرسل إلى قومه بني إسرائيل، يلاحظ المتتبع لما جاء في الأناجيل والرسائل الملحقة بها، أن السيد المسيح عليه السلام، لم يدع أو يبشر أحداً من غير قومه بني إسرائيل، وكان كل تلاميذه ـ حوارييه ـ وأتباعه بلا استثناء من بني إسرائيل، الذين كانوا يعيشون كأقلية في فلسطين، حتى أنه امتنع عن الاستجابة لطلب امرأة غير

---

(18) انظر محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة. صفحة 23 و24. ومقارنة الأديان : الدكتور أحمد شلبي صفحة 52.

يهودية ــ كنعانية ــ لشفاء ابنتها المجنونة، قائلاً لتلاميذه: عندما انزعجوا من إلحاحها، كما جاء في إنجيل متى 24/15 : "لم أُرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة".

وحذر تلاميذه من التبشير لليهود السامريين*. جاء في إنجيل متى 5/10 ــ 6، أن المسيح أرسل تلاميذه الاثني عشر للتبشير وأوصاهم قائلاً: " لا تسلكوا طريقا إلى الأمم، ولا تدخلوا مدينة سامرية. بل اذهبو ا بالأحرى إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل".

وجاء في إنجيل يوحنا 11/1 عن السيد المسيح "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله". أي أنه جاء إلى قومه بني إسرائيل ولكنهم رفضوه، وقد آمن به عدد قليل منهم.

تعاليم السيد المسيح:

كان السيد المسيح يحث قومه بني إسرائيل، على الزهد والإيثار والتواضع والرحمة والتسامح حتى مع أعدائهم، جاء في إنجيل متى 38/5 ــ 40، أن السيد المسيح قال : "وسمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بمثله، بل من لطمك على خدك الأيمن، فأدر له الخد الآخر. ومن أراد محاكمتك ليأخذ ثوبك، فاترك له رداءك أيضاً".

ويستكمل متى في إنجيله 43/5 و44، أن المسيح قال : "وسمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم".

وحثهم على ألا يحملوا هَمَّ رزقهم، وأن يوفوا بحقوق الغير، وحذّرهم من القتل والسرقة وشهادة الزور.

* السامريون : فرقة منشقة عن بني إسرائيل، يؤمنون بالتوراة فقط، ولا يؤمنون بالأسفار التي أضافها اليهود إليها فيما بعد. عن حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث : عباس محمود العقاد. صفحة 44 و45.

وجاء في إنجيل متى 27/5 ـ 29 أنه أمرهم أمراً جازماً، بغض أبصارهم، وتحذيرهم من الزنى.

التبشير بقرب حلول ملكوت السماوات أو ملكوت الله :

كان أحد أهم المبادئ الرئيسية، التي بشر بها كل من يوحنا* المعمدان** ومن بعده السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، حسب ما يفهم من إنجيلي متى ومرقص، هو اقتراب ملكوت السماوات، وأحياناً تأتي بعبارة ملكوت الله. وكان المؤمنون بالسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ينتظرون بشغف بالغ، قرب حلول ملكوت السماوات، أو ملكوت الله.

1. جاء في إنجيل متى 1/3 ـ 3 "وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز*** في برية اليهودية قائلاً : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات".
2. وجاء في إنجيل متى 17/4 "من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات".
3. وجاء في إنجيل متى 23/4 "وكان يسوع يتنقل في منطقة الجليل كلها، يعلم في مجامع اليهود، وينادي ببشارة الملكوت".

---

* يوحنا : النبي يحيى بن النبي زكريا عليهما السلام، ويسميه النصارى العرب (حنا)، والغربيون يسمونه جون، وهو أكبر من السيد المسيح بستة أشهر، حسب ما يُفهم من إنجيل لوقا 26/1.

** المعمدان : نسبة إلى التعميد، وهو التغطيس بنهر الأردن، فقد كان يوحنا (النبي يحيى) يُعَمِّد الناس في نهر الأردن، حسب ما جاء في إنجيل مرقص 4/1 و 5، وأنه عَمَّد أيضاً السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما جاء في إنجيل متى 13/3 ـ 15، وإنجيل مرقص 9/1. ولذلك أطلق عليه لقب المعمدان.

وفي المرحلة التي تلت رفع السيد المسيح، أخذ القساوسة يقومون بتعميد الأطفال وغيرهم، وذلك بتغطيسهم بالماء أو بسكب الماء على الجبين، يصاحبه عبارات التعميد: باسم الآب والابن والروح القدس. لمحو آثار الخطيئة الأولى، وذلك إيذاناً بدخولهم إلى المسيحية.

*** يكرز: يُبَشِّرَ

4. وجاء في إنجيل متى 14/24 أن يسوع تنبأ قائلاً : "فسوف ينادى ببشارة الملكوت هذه في العالم كله، شهادة لي لدى الأمم جميعاً، وبعد ذلك تأتي النهاية".
5. وجاء في إنجيل متى 9/6 و10، أن يسوع علم تلاميذه عندما يُصَلّون قائلاً: "فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك".
6. وجاء في إنجيل مرقص 14/1 و15 "وبعدما ألقي القبض على يوحنا، انطلق يسوع إلى منطقة الجليل، يبشر بإنجيل الله قائلاً : قد اكتمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل".[19]
7. وجاء في إنجيل لوقا 43/4، أن المسيح قال للجموع الذين طلبوا منه البقاء معهم : "لا بد لي من أن أبشر المدن الأخرى أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أرسلت".

يقول (جوستاف لوبون) : "كان يسوع معتقداً أنه نبي، خَلَفٌ لمن ظهر قبله من الأنبياء، فتقوم دعواه الوحيدة على القول : باقتراب ملكوت الرب، الذي حَدَّثَ اليهود عنه منذ زمن طويل، وما كانت هذه البشرى الطيبة لتخص غير بني إسرائيل".[20]

فما المقصود بعبارة "ملكوت السماوات" أو "ملكوت الله" الذي اقترب ؟ والذي بشر به كل من يوحنا المعمدان، والسيد المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، والذي سيستمر إلى النهاية، والتي تكررت خمس مرات في إنجيل متى، ومرة واحدة في كل من إنجيل مرقص وإنجيل لوقا.

قد يكون المقصود بعبارة : "قرب حلول ملكوت السماوات، أو ملكوت الله" هو بعثة سيدنا محمد ﷺ، والله أعلم.

---

(19) تم قطع رأس يوحنا المعمدان في السجن، حسب ما جاء في إنجيل متى 1/14 ـ 12، وإنجيل مرقص 14/6 ـ 29، وإنجيل لوقا 7/9 ـ 9. ويقال أن رأسه مدفونه في المسجد الأموي بدمشق.

(20) حياة الحقائق: صفحة 63.

ما يجمع بين السيد المسيح وأتباعه، وقومه بني إسرائيل :

بالإطلاع على أناجيل النصارى والرسائل الملحقة بها، نجد أن السيد المسيح عليه السلام، وأتباعه الذين صدقوه وآمنوا به واتبعوه، كانوا يتعبدون في معابد قومهم بني إسرائيل ـ الذين كذبوه ولم يؤمنوا برسالته ـ ولا نجد أي إشارة في تلك الأناجيل، إلى أن السيد المسيح قد بنى كنيسةً للعبادة خاصةً به ولأتباعه، أياً كان حجمها أو مسماها، ويتبع ذلك أنه لم يكن هناك نواقيس تدق للدعوة للصلاة، ولا صلبان تعلق على الرقاب والجدران، كما لم يكن هناك أديرة يتعبدون فيها، ولا قساوسة ولا نظام كنسي معقد مثل : الباباوات والبطارقة والرهبان والراهبات... إلخ، أثناء حياة السيد المسيح.

كما كان السيد المسيح وأتباعه، يحترمون يوم السبت مثل قومهم بني إسرائيل، وهو يوم عطلة وراحة أسبوعية لهم جميعاً، وليس يوم الأحد كما هو حاصل اليوم. يقول (ول ديورانت) : "وانتقل إلى يوم الأحد المسيحي، ما كان يراعى في السبت اليهودي من جد ووقار، حين حل أولهما (يوم الأحد) محل الثاني (يوم السبت) في القرن الثاني الميلادي".[21]
ويقول الدكتور (أسد رستم) : "وقَدَّس المسيحيون في عهدهم الأول السبت لا الأحد، ولم يصبح الأحد، يوم الرب قبل القرن الثاني".[22]

هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن للسيد المسيح عليه السلام، ولا لأتباعه أعياد خاصة بهم، فقد كانت أعيادهم هي أعياد قومهم اليهود نفسها، والتي كان من أهمها عيد الفصح أو عيد الفطير (الإيستر)، كما لم يحتفل السيد المسيح عليه السلام ولا أتباعه، بما سُمي بأعياد الميلاد أو الكريسماس، ولم يعرفوا ما يسمى بشجرة عيد الميلاد، أو بابا نويل، ولم يكونوا يتبادلون الهدايا في تلك المناسبة.

---

(21) قصة الحضارة: الجزء 11، صفحة 283.

(22) الروم: الجزء الأول، صفحة 38.

ويُفهم مما قاله الأستاذ (عباس محمود العقاد) : أن أول احتفال بعيد ميلاد السيد المسيح، كان بعد ثلاثمائة سنة من ميلاده.[23]

ويقول الدكتور (أسد رستم) : عن تلاميذ السيد المسيح وأتباعه بعد رفعه "وتابع أتباعه الطقوس الإسرائيلية الشائعة آنئذٍ، فتعبدوا في هيكل سليمان، وتجمعوا في أروقته .... ولم يعتبروا أنفسهم في هذه المرحلة الأولى مذهباً خاصاً من مذاهب اليهود، ولا كنيسة من كنائسهم، والكنيسة في عرف اليهود آنئذٍ، جماعة قليلة من اليهود، يتعبدون مستقلين عن الجماعة الكبرى".[24]

ومن تتبع ما جاء في الأناجيل والرسائل الملحقة بها، نلاحظ أن اليهود الذين كذبوا السيد المسيح وعادوه، وخصوصاً رؤسائهم وأحبارهم، كانوا ينظرون إليه على أنه مدعي نبوة، وإلى من صَدَّقَهُ وآمن به واتبعه من اليهود، على أنهم فئة أو أتباع مذهب من المذاهب اليهودية الضالة، ضللها وغرر بها يسوع ـ السيد المسيح ـ ولكنهم لم يكونوا ينظرون إلى ما جاء به عيسى ابن مريم عليه السلام ـ مع تكذيبهم له ـ على أنه دين مستقل عن دينهم اليهودي.

القُبلة المقدسة :

كان المسيحيون في عهدهم الأول ـ بعد رفع السيد المسيح ـ يتناولون عشاءً مشتركاً، مرة واحدة في الاسبوع على الأقل، وبعد العشاء يتبادلون قبلة المحبة أو القبلة المقدسة، وكان على المسيحي أن يمتنع عن التقبيل إذا شعر باللذة، وقد أوصت الكنيسة بعدم فتح الشفاه أثناء التقبيل، وألا تتكرر القبلة إذا أعقبها لذة.[25]

(23) حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث: صفحة 91.

(24) الروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 24.

(25) الروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 38. وقصة الحضارة: ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 280.

هذا وقد ورد ذكر القبلة المقدسة، في رسالة بولس إلى أهل روما 16/16. وفي رسالته الأولى لأهل كورنثوس 20/16. ورسالته الثانية لأهل كورنثوس 12/13. ورسالته الأولى لأهل تسالونيكي 26/5. وفي رسالة بطرس الأولى 14/5.

كان الناس في فلسطين ينظرون إلى السيد المسيح أنه نبي مرسل من الله :

كان الناس في فلسطين ـ يهود ووثنيون ـ ينظرون إلى السيد المسيح عليه السلام، قبل أن يبدأ دعوته، على أنه إنسان عادي مثلهم، ولما بدأ دعوته لقومه بني إسرائيل، عرفه من صدقه وآمن برسالته، أنه نبي مرسل إليهم من الله سبحانه وتعالى، ومن لم يؤمن منهم برسالته، اتهموه بأنه مُدَّعٍ للنبوة.

جاء في إنجيل متى 10/21 و11 "ولما دخل يسوع أورشليم ضجت المدينة كلها، وتساءل أهلها : من هو هذا ؟ فأجابت الجموع : هذا هو يسوع النبي الذي من الناصرة بالجليل". وجاء في إنجيل يوحنا 19/4، أن امرأة قالت ليسوع، لما أخبرها عن أمر يخصها : "يا سيد أرى أنك نبي". وجاء في إنجيل لوقا 16/7 عن يسوع لما أحيا ميتاً ـ بإذن الله ـ "فاستولى الخوف على الجميع، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبي عظيم". وجاء في إنجيل يوحنا 14/6 "فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا : حقاً هذا هو النبي الآتي إلى العالم". وجاء في إنجيل متى 46/21 عن رؤساء الكهنة والفريسيين* "ومع أنهم كانوا يسعون إلى القبض عليه، فقد كانوا خائفين من الجموع، لأنهم كانوا يعتبرونه نبياً".

---

* الفريسيون: طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل : الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يعتبرونهم نجسين، وقد آذوا السيد المسيح عليه السلام.

وجاء في إنجيل مرقص 27/8 ـ 29، أن المسيح سأل تلاميذه : "من يقول الناس إني أنا؟ فأجابوه: يقول بعضهم إنك يوحنا المعمدان، وغيرهم إنك إليا، وآخرون إنك واحد من الأنبياء". وجاء في إنجيل لوقا 19/24، أن اثنين من تلاميذ المسيح كانا يسيران ـ بعد صلبه حسب زعمهم ـ عندما سُئِلا عما يتحدثان به فقالا : "ما حدث ليسوع الناصري الذي كان نبياً مقتدراً في الفعل والقول".

السيد المسيح يعترف أنه نبي مرسل من الله :

جاء في إنجيل مرقص 4/6 أن يسوع قال : "لا يكون النبي بلا كرامة إلا في بلدته، وبين أقربائه، وفي بيته". وجاء في إنجيل لوقا 34/13 عن المسيح أنه قال : "يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها". وجاء في إنجيل يوحنا 16/7 أن المسيح قال : "ليس تعليمي من عندي، بل من عند الذي أرسلني". وجاء في إنجيل يوحنا 40/8 أن المسيح قال لليهود: "ولكنكم تسعون إلى قتلي، وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله". وجاء في إنجيل يوحنا 3/17 أن المسيح قال : "وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته".

موقف اليهود من السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام :

كان موقف اليهود من السيد المسيح وأمه ـ منذ البداية ـ موقفاً عدائياً حتى قبل أن يبدأ دعوته، فقد اتهموا أمه السيدة مريم ابنة عمران بعفافها، وأن ولدها عيسى ثمرة علاقة غير شرعية، بينها وبين خطيبها يوسف النجار.

وقد دافع القرآن الكريم عن السيدة مريم بإنطاق وليدها عيسى وهو في المهد،[26] وما جاء في سورة النساء آية 156 ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾.

كان اليهود ينتظرون ـ ومازالوا ينتظرون إلى اليوم ـ ظهور مسيح (نبي) منهم، يقودهم إلى إعـادة ملكهـم الضائع، زمن سيدنا سليمان عليه السلام.[27] فلما بدأ المسيح دعوته بينهم، كذبوه ولم يصدقوا أنه رسول الله إليهم، أو أنه المسيح الذي كانوا ينتظرونه، فرفضوه رفضاً تاماً، وناصبوه العداء وآذوه واضطهدوه هو وأتباعه، ولم يقر لهم قرار، حتى قبضوا عليه وحاكموه محاكمة سريعة، قضت بإعدامه على الصليب ـ كما يعتقدون ـ إلا قلة قليلة منهم صدقته وآمنت به.

جاء في إنجيل يوحنا 11/1 عن السيد المسيح "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله". أي أنه جاء إلى قومه بني إسرائيل ولكنهم رفضوه، وذلك لتناقض دعوته وتنافرها مع طبائعهم المادية الشرهة، وقلوبهم القاسية المتحجرة، وقد رأوا فيه رجلاً مدعياً للنبوة، وفوضوياً مثيراً للمشاكل والقلاقل بين اليهود وقادتهم الدينيين، فكرهوه وحاربوه، وعزوا المعجزات التي أجراها الله سبحانه وتعالى على يديه، بأنها مساعدة له من الشيطان.

موقف السيد المسيح من اليهود المكذبين :

وقد رد السيد المسيح عليه السلام، على الكتبة* والفريسيين رداً مقنعاً، في الكلام المنسوب إليه في إنجيل متى 1/23 ـ 37: فقد وصفهم بالقادة

---

(26) انظر صفحة 37 و 38 من هذا المبحث.

(27) حسب تصورهم أو تفسيرهم للنبوءات المذكورة في التوراة، وغيرها من الكتب الملحقة بها ـ التي يسميها النصارى العهد القديم ـ ولكن تلك النبوءات، لا تنطبق إلا على سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثامن.

* الكتبة: جمع كاتب، هم علماء الشريعة ونساخ التوراة ومفسروها، ويفتون في المسائل لـ ك لهم مراكز الشرف في المجامع اليهودية، وقد آذوا السيد المسيح عليه السلام.

العميان والجهال العميان، وأنهم مراؤون وفاسقون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، وأنهم يتقيدون بالأمور البسيطة، في حين أنهم أهملوا أهم ما جاء في الشريعة، وهو العدل والرحمة والأمانة، وأنهم يُصَفّون الماء من البعوضة، ولكنهم يبلعون الجمل، وأنهم أبناء قتلة الأنبياء، وبأنهم حيات وأبناء الأفاعي، وتساءل قائلاً: كيف سيفلتون من عقاب جهنم ؟

بعض نصوص ما نسب إليه في إنجيل متى :

جاء في إنجيل متى 1/23 ــ 7 "عندئذٍ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه، فقال: اعتلى الكتبة والفريسيون كرسي موسى، فافعلوا كل ما يقولونه لكم واعملوا به، ولكن لا تعملوا مثل ما يعملون، لأنهم يقولون ولا يفعلون، بل يحزمون أحمالاً ثقيلة لا تطاق ويضعونها على أكتاف الناس، ولكنهم لا يريدون أن يحركوها بطرف الإصبع. وكل ما يعملونه فإنما يعملونه لكي يلفتوا نظر الناس إليهم. فهم يُعَرِّضون عصائبهم، ويطيلون أطراف أثوابهم، ويحبون أماكن الصدارة في الولائم وصدور المجالس في المجامع، وأن تلقى عليهم التحيات في الساحات، وأن يدعوهم الناس، يا معلم يا معلم".

وجاء أيضاً في إنجيل متى 13/23 و 14، منسوباً إلى السيد المسيح: "لكن الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، فإنكم تغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون. الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتتذرعون بإطالة صلواتكم، لذلك ستنزل بكم دينونة أقسى".
وجاء في إنجيل متى 37/23 منسوباً إلى السيد المسيح أنه قال : "يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها".

ويُنسب إليه أيضاً في إنجيل متى 38/12 و39، أن بعض الكتبة والفريسيين طلبوا منه آية ـ أي معجزة ـ فأجابهم : "جيل شرير خائن يطلب آية".

جاء في القرآن الكريم ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ سورة المائدة آية 78.

المسيح والرومان :

لم يتعرض السيد المسيح عليه السلام، للرومان المحتلين لبلاد الشام ولا لحكمهم لا من بعيد ولا من قريب، فتلك المهمة شبه المستحيلة، والتي تنوء بحملها الجبال، محجوزة لسيد البشر محمد ﷺ، وصحابته الغر الميامين، بعد حوالي ستة قرون.

كما أن الرومان لم يتعرضوا للسيد المسيح ولا لدعوته، لأنهم لم يكونوا يهتمون بأديان وعقائد البلدان التي يحتلونها.[28] ولكنهم تصدوا للمسيحيين بحزم وشدة، عندما أخذوا ينشرون دينهم خارج فلسطين.[29]

وقد حاول أعداؤه من اليهود الفريسيين، توريطه مع السلطات الرومانية الحاكمة لفلسطين آن ذاك، لعلهم يصطادونه بكلمه يقولها ضد تلك السلطات، فأرسلوا إليه بعض تلاميذهم يسألونه عن حكم دفع الجزية للقيصر؟ فعرف قصدهم فطلب منهم ديناراً، وسألهم لمن الصورة والكتابة ؟ فقالوا : لقيصر، فقال لهم : إذاً أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.[30]

(28) انظر موقف السلطات الرومانية، من العقائد والديانات الأجنبية، في المبحث الأول صفحة 25 وما بعدها.

(29) سيأتي تفصيل ذلك في صفحة 129 وما بعدها من المبحث الرابع.

(30) انظر إنجيل متى 15/22 ـ 22، وإنجيل لوقا 20/20 ـ 26.

العشاء الأخير أو الرباني :

يحتفل اليهود في اليوم الخامس عشر من شهر أبريل ــ ولا يزالون إلى اليوم يحتفلون ــ في عيد يعتبر من أهم أعيادهم، يسمونه عيد الفصح (الإيستر Easter) أو الفطير، وذلك إحياء لذكرى خروج اليهود من مصر، بقيادة موسى عليه السلام، فراراً من بطش فرعون. حيث يأكلون في وجبة عشاء ذلك العيد، خروفاً صغيراً وخبزاً فطيراً ــ أي غير مخمر ــ ويشربون خمراً.

وكان السيد المسيح يحتفل مع تلاميذه في هذا العيد من كل سنة مثل كل اليهود (حسب ما جاء في أناجيلهم). وقد تم اعتقاله ومحاكمته ثم صلبه ــ حسب اعتقادهم ــ أثناء احتفاله مع تلاميذه بتناول وجبة العشاء في ذلك العيد، الذي كان آخر عشاء تناوله السيد المسيح، ومن هنا جاءت تسمية ذلك العشاء، بالعشاء الأخير.

المسيحيون يأكلون لحم يسوع ويشربون دمه، في العشاء الأخير :

جاء في إنجيل متى 26/26 ــ 29 عن المسيح في ذلك العشاء الأخير في عيد الفصح "وبينما كانوا يأكلون، أخذ يسوع رغيفاً وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، والذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، على أني أقول لكم : إني لا أشرب بعد اليوم من نتاج الكرمة هذا، حتى يأتي اليوم الذي أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي".[31]

وجاء في إنجيل يوحنا 48/6 ــ 51، أن يسوع قال لليهود: (في مناسبة أخرى غير عيد الفصح) "أنا هو خبز الحياة. أكل آباؤكم المن في البرية ثم

(31) انظر أيضاً في هذا المعنى، إنجيل مرقص 22/14 ــ 24، وإنجيل لوقا 19/22 و20.

ماتوا، ولكن هاهنا الخبز النازل من السماء، ليأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أقدمه أنا، هو جسدي، أبذله من أجل أن يحيا العالم".

وجاء في إنجيل يوحنا 53/6 ــ 59، عندما استنكر اليهود ما سمعوا من يسوع "فأجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي هو الطعام الحقيقي، ودمي هو الشراب الحقيقي. وكل من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت في وأنا فيه. وكما أني أحيا بالآب الحي الذي أرسلني، فكذلك يحيا بي من يأكلني".

قصة الاعتقال والمحاكمة والصلب، كما جاءت في أناجيلهم :

ولما عجز رؤساء الكهنة اليهود عن إيقافه عن دعوته، قرروا التخلص منه بقتله، وفي هذه الأثناء جاءهم أحد تلاميذه واسمه (يهوذا الإسخريوطي) واتفق معهم على أن يدلهم على مكانه، في مقابل ثلاثين قطعة من الفضة، وأخذ يهوذا يتحين الفرصة للإيقاع بيسوع.
وبينما كان يسوع يحتفل بعشاء عيد الفصح أو الفطير، مع تلاميذه الاثني عشر، انسل يهوذا الإسخريوطي وذهب إلى رؤساء الكهنة اليهود، وأخبرهم عن المكان الذي يوجد فيه يسوع، فأرسلوا جماعة مسلحة ألقت القبض عليه ليلاً ــ كما يتوهمون ــ.[32]

وقد تخلى تلاميذه عنه وهربوا كلهم عندما تم القبض عليه ــ كما يتوهمون ــ وذلك طبقاً لما جاء في إنجيل متى 56/26 "عندئذٍ تركه التلاميذ كلهم وهربوا".

---

(32) انظر إنجيل متى 3/26 و4، و14 ــ 16، و47 ــ 50. وإنجيل يوحنا 3/18.

وجاء في إنجيل مرقص 50/14 ـ 52 "عندئذٍ تركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لا يلبس غير إزار على عريه فامسكوه، فترك الإزار وهرب منهم عرياناً".

ويذكر متى في إنجيله 57/26 ـ 75 ما ملخصه : أن بطرس ـ كبير التلاميذ ـ تبع المسيح بعد القبض عليه (حسب اعتقادهم) من بعيد، إلى دار (قيافا) رئيس الكهنة، حيث انعقد المجلس اليهودي الأعلى، بحضور كافة رؤساء الكهنة والشيوخ لمحاكمته، ودخل بطرس إلى فناء الدار ليرى ما سيحل بيسوع، حيث تم التعرف عليه كأحد أتباع يسوع، فأنكر معرفته به ثلاث مرات. وفي دار (قيافا) رئيس الكهنة، حوكم محاكمة سريعة ومستعجلة، قضت بإعدامه، فبصقوا في وجهه وضربوه.

وفي صباح اليوم التالي، سلموا الرجل الذي اعتقلوه، وحكموا عليه بالإعدام ـ والذي كانوا يظنون أنه عيسى ابن مريم عليه السلام ـ إلى بيلاطس البنطي، الحاكم الروماني على المنطقة، للتصديق على الحكم وتنفيذه، ودفعوه دفعاً لقتله على الصليب، بحجة إثارته للمشاكل بادعائه أنه ملك اليهود، وهذه تهمة خطيرة للغاية، وتعتبر من الخطوط الحمراء بالنسبة للسلطات الرومانية، التي لا تقبل بأي حال من الأحوال، أن يكون هناك شخص له القدرة على تجميع وقيادة الناس وتوجيههم الوجهة التي يريدها، مما يثير المشاعر القومية الكامنة أو إذكائها، فيؤدي إلى القلاقل والثورات، واضطراب الأمن في المناطق المحتلة. مما يشير إلى الدهاء من جانبهم، حيث رموه بتهمة قاتلة، لا نجاة له منها أمام السلطات الرومانية.[33]

وتحت ضغط اليهود بالتهديد بإثارة المشاكل، إن لم يقتله على الصليب، قام بيلاطس بعد تردد بصلبه.[34] وهم ـ اليهود ـ لا زالوا يعتقدون إلى

---

(33) انظر موقف السلطات الرومانية من العقائد والديانات الأجنبية صفحة 25 وما بعدها من المبحث الأول.

(34) انظر إنجيل متى 1/27 و2، و11 ـ 38.

اليوم، أنهم ظفروا بعيسى ابن مريم عليه السلام، وقتلوه على الصليب بواسطة السلطات الرومانية، ويوافقهم النصارى على ذلك، ويزيدون عليهم في أنه بقي في قبره ثلاثة أيام، ثم قام من الموت، وظل أربعين يوما قبل أن يرتفع إلى السماء.[35]

قصة الاعتقال والمحاكمة والصلب، كما جاءت في إنجيل برنابا:[36]

جاء في إنجيل برنابا ـ أحد تلاميذ السيد المسيح عليه السلام، والذي كان شاهد عيان لتلك الأحداث ـ أن الذي اعتقل وحوكم وقتل على الصليب، هو (يهوذا الاسخريوطي) أحد تلاميذ السيد المسيح الاثني عشر، الذي خانه ودل رؤساء الكهنة اليهود على مكانه لاعتقاله، بعد أن أصبح يشبه يسوع تماماً في الصوت والصورة كما يلي :

1. جاء في فصل 213 من إنجيل برنابا، أنه بينما كان يسوع يحتفل مع تلاميذه بتناول عشاء عيد الفصح، قال لتلاميذه : "الحق أقول لكم أن واحدا منكم سيسلمني فأباع كخروف، ولكن ويل له، لأنه سيتم كل ما قال داود أبونا عنه: إنه سيسقط في الهوة التي أعدها للآخرين"... "فلما أكل الحمل (خروف صغير) ركب الشيطان ظهر يهوذا، فخرج من البيت، ويسوع يقول أيضاً: أسرع بفعل ما أنت فاعل".
2. وجاء في فصل 214 من إنجيل برنابا "وخرج يسوع من البيت، ومال إلى البستان ليصلي، فجثا على ركبتيه مئة مرة، معفراً وجهه كعادته في الصلاة،

(35) انظر إنجيل مرقص 19/16، وإنجيل لوقا 51/24، وأعمال الرسل 2/1 و3 و9.

(36) إنجيل برنابا: تحقيق سيف الله أحمد فاضل. صفحة 287 وما بعدها. وهذا الإنجيل واحد من الأناجيل الكثيرة، التي رفضها القساوسة واعتبروها من الأناجيل المزورة. وسيأتي المزيد من التفاصيل عنه في صفحة 199 و200 من المبحث الخامس.

ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يسوع مع تلاميذه، ذهب لرئيس الكهنة وقال : إذا أعطيتني ما وعدت به، أُسَلِّم هذه الليلة ليدك يسوع الذي تطلبونه، لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقاً، فأجاب رئيس الكهنة : كم تطلب ؟ قال يهوذا : ثلاثين قطعة من الذهب، فحينئذ عدَّ له رئيس الكهنة النقود فوراً، وأرسل فريسياً* إلى الوالي و هيرودوس ليحضر جنوداً، فأعطياه كتيبة منها لأنهما خافا الشعب، فأخذوا من ثم اسلحتهم وخرجوا من أورشليم بالمشاعل والمصابيح على العصي".

3. وجاء في فصل 215 من إنجيل برنابا "ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر (تلميذاً) نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل ـ عزرائيل ـ سفراءه، أن يأخذو يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد".

4. وجاء في فصل 216 من إنجيل برنابا "ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي صعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبهاً بيسوع، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو (يهوذا) فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن ؟ أما هو (يهوذا) فقال مبتسماً : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي، وبينما كان يقول هذا، دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه، أما نحن، فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود

* فريسياً : تم تعريف الفريسيين، في حاشية صفحة 59 من هذا المبحث.

هربنا كالمجانين، ويوحنا الذي كان ملتفاً بملحفة من الكتان استيقظ وهرب، ولما أمسكه جندي بملحفة الكتان، ترك ملحفة الكتان وهرب عريانا". (انتهى النقل عن إنجيل برنابا).

جاء في القرآن الكريم، أن الله سبحانه وتعالى أنقذه منهم ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء آية 157 و158.

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي أُلقي شبهه على رجل آخر، فقاموا بصلب ذلك الرجل وقتله، وهم يظنون أنهم صلبوا المسيح وقتلوه،[37] ولكن الله سبحانه وتعالى، رفع عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام إليه، قبل أن يصل أعداؤه من اليهود إليه.

ولما كانت مدة بعثته عليه السلام، تتراوح ما بين سنة واحدة إلى ثلاث سنوات على أقصى تقدير، فيكون رفعه قد تم ما بين سنتي واحدٍ وثلاثين، وثلاثٍ وثلاثين ميلادية (على فرض أنه وُلِدَ سنة واحد ميلادية) والله أعلم.

يلاحظ أن المؤرخ المسيحي (أسد رستم) ذكر أن وفاة السيد المسيح كانت في سنة 30م، مما يشير إلى أنه اعتبر أن مدة بعثته عليه السلام، كانت سنة واحدة أو أقل.[38]

وبرفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ـ أو قتله على الصليب حسب اعتقادهم ـ تكون رسالته إلى قومه بني إسرائيل قد انتهت، ويكون دوره قد انتهى تماماً، ولم يعد لديه لا الصلاحية ولا القدرة، للقيام بأي شيء يتعلق برسالته أو تطويرها، أو أن يوحي إلى أحد برسالةٍ أو توجيهٍ مهما كان.

---

(37) زبدة التفسير من فتح القدير. والموسوعة القرآنية الميسرة.

(38) انظر بند 9 و10 صفحة 44 و45 من هذا المبحث. والروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 24.

ويبدو مما يُستشَف من الأناجيل والرسائل الملحقة بها، أن انتهاء حياة السيد المسيح عليه السلام، فجأة وبأسلوب عنيف ـ بالقتل على الصليب حسب اعتقادهم ـ قد سبب صدمة نفسية عنيفة وعميقة، في نفوس تلاميذه وغيرهم من أتباعه، الذين حاولوا السير على خطاه، ولكنهم واجهوا ظلماً وعنفاً وتنكيلاً، على أيدي اليهود المكذبين له، لمنعهم من نشر دعوته، ولذلك فقد كان نجاحهم في سعيهم لنشر رسالته محدوداً للغاية.

تغيير الهدف من الاحتفال بعيد الفصح :

استمر تلاميذ وأتباع السيد المسيح ـ بعد رفعه ـ بالاحتفال بعيد الفصح مع قومهم بني إسرائيل، في اليوم الخامس عشر من شهر أبريل، حتى تم تكوين الديانة التي عُرِفت فيما بعد باسم المسيحية، وانفصالها عن الديانة اليهودية.[39] حيث تحول الهدف من احتفال المسيحيين بعيد الفصح، من الذكرى بخروج اليهود من مصر ونجاتهم من فرعون ـ كما سبق القول ـ إلى الاحتفال بمناسبة قيام يسوع من قبره، بعد ثلاثة أيام من قتله على الصليب ـ حسب زعمهم ـ فيما بين 22 من شهر مارس، إلى 25 من شهر أبريل من كل سنة، وهو تاريخ متقارب مع احتفالات اليهود بعيد الفصح.

هذا ويعتبر الاحتفال بالعشاء الأخير في عيد الفصح (الإيستر Easter)، من أكبر المناسبات الدينية في المسيحية الحالية، حيث يتناول المسيحيون في عيد الفصح خبزاً فطيراً ـ غير مخمر ـ يعده ويقدمه لهم القساوسة، ويشربون خمراً. فالخبز يشير إلى جسد السيد المسيح، والخمر يشير إلى دمه المسفوك على الصليب، وهم يعتقدون أن من أكل من ذلك الخبز، وشرب

(39) سيأتي تفصيل ذلك في صفحة 115 من المبحث الثالث.

من ذلك الخمر في ذلك العيد، استحال في بطنه إلى جسد ودم المسيح، فيمتزجون به وبتعاليمه، وبذلك يأكل المسيحي في عيد الفصح، لحم إلهه السيد المسيح، ويشرب دمه.

نوعية ومستوى تلاميذ وأتباع السيد المسيح :

حسب ما يستشف مما تعرضه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، أنه لم يكن بين تلاميذ (حواريي) السيد المسيح الاثني عشر، وأتباعه في أثناء حياته، عالِمٌ واحدٌ من علماء الدين اليهود، الذين كانت تعج بهم فلسطين آنذاك، والمناطق التي استوطن بها اليهود خارجها، ولا حتى مثقفٌ أو متعلمٌ واحدٌ، في أي ميدان من ميادين العلم والمعرفة، أو أحد أصحاب الثروة أو الجاه، أو أي نوع من الرجال أو النساء، ممن يمكن أن يلاذ بفكرهم أو رأيهم، أو مالهم أو مكانتهم عند الحاجة على الإطلاق.

وكان العامل المشترك بين تلاميذ وأتباع السيد المسيح، هو الضعف والفقر المادي والنفسي معاً، وكانت مهن كبار التلاميذ بسيطة جداً، مثل صيادي أسماك، وجابي ضرائب، وكانوا أيضاً ـ ومن دون استثناء ـ بسطاء وضعفاء جداً، خذ مثلاً موقفهم المخزي أو الانهزامي، عندما تخلوا عن رسولهم السيد المسيح، ليلة القبض عليه ـ حسب اعتقادهم ـ بالإضافة إلى أن الذي خانه ودل أعداءه عليه، كان أحد تلاميذه.[40]

يقول (شارل جينيبر) عن تلاميذ السيد المسيح وأتباعه أنهم : "كانوا يهوداً سذج بسطاء، ليس لهم شأن في قومهم، ولا يمتازون بثقافة كبيرة".[41]

---

(40) انظر ما جاء في صفحة 65 وما بعدها من هذا المبحث.

(41) المسيحية نشأتها وتطورها : صفحة 55.

ويقول الدكتور (أسد رستم) عن تلاميذ السيد المسيح وأتباعه أنهم : "كانوا جميعهم يهوداً من الطبقات الوضيعة، تجمعوا من أورشليم ومن الجليل ومن سائر انحاء فلسطين".[42]

طلبات اليهود المادية من أنبيائهم :

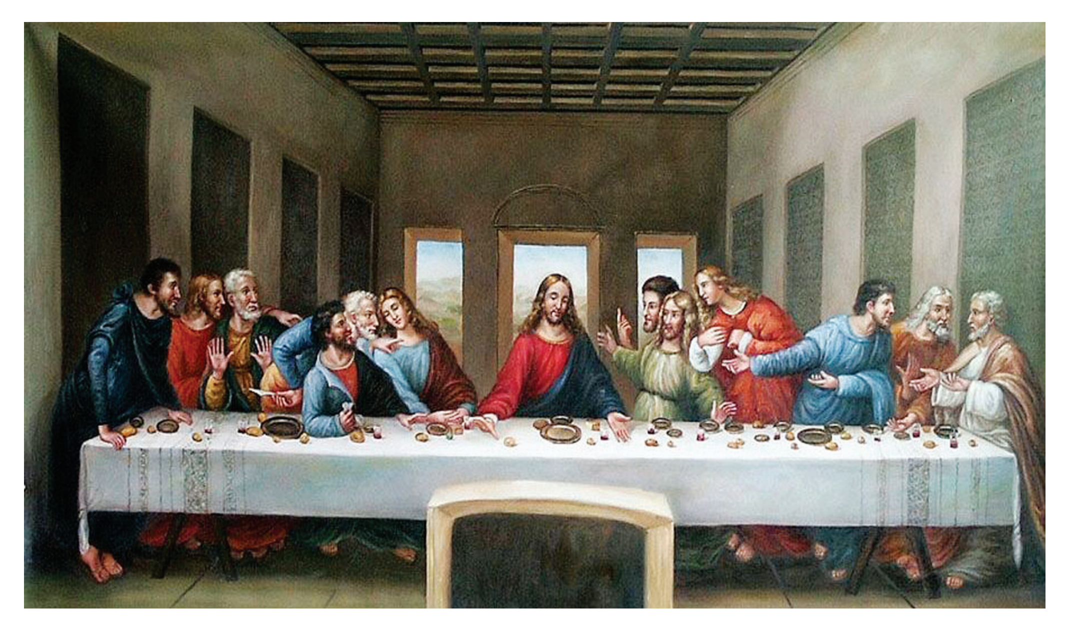
لليهود طلبات مادية متدنية من أنبيائهم، كطلبهم من نبيهم موسى عليه السلام، طعاماً غير الذي عندهم، كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ﴾ سورة البقرة آية 61.

وجاء في القرآن الكريم أن حواريي السيد المسيح، سألوه إن كان ربه يستطيع أن ينزل عليهم مائدة من السماء، فلما استغرب طلبهم، أجابوه بأنهم يريدون أن تطمئن قلوبهم، ويتأكدوا أنه صادق بادعائه أنه رسول من الله ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة المائدة الآيات 112 إلى 115.

وكانت تلك إحدى المعجزات التي أيد الله سبحانه وتعالى بها، عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام.[43]

(42) الروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 24.

(43) يلاحظ أن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، لم تذكر شيئاً مما ورد في تلك الآيات القرآنية.



صورة العشاء الأخير، للفنان ليوناردو دافنشي

وللدكتور أحمد شلبي، تعليق طريف على طلب الحواريين من نبيهم عيسى ابن مريم مائدة من السماء، إذ يقول : "ولست أدري كيف يتشكك الحواريون في رسالة عيسى، مع براهينه الماضية، وهم الذين اتبعوه من دون بني إسرائيل؟ وإذا كان هذا شأن الحواريين، فكيف يكون شأن العامة ؟ ثم لماذا كانت المائدة هي الوسيلة الوحيدة ليصدقوا، مع أنها ليست أقوى من إحياء الموتى ولا إبراء الأكمه والأبرص؟ [44]

وقد اشتُهِر عند المسيحيين، صورة رسمها ليوناردو دافنشي (1452 ـ 1519م) أحد أشهر الرسامين الإيطاليين في عصر النهضة الأوروبية، يَظْهرُ فيها رجالٌ يجلسون حول مائدة للطعام، يقولون إنها للسيد المسيح عليه السلام وتلاميذه، عرفت عندهم باسم العشاء الأخير.

(44) مقارنه الأديان ـ المسيحية ـ صفحة 51.

خاتمة المبحث

أولاً: كان السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، رسولاً من الله سبحانه وتعالى، إلى قومه بني إسرائيل، كما ورد في القرآن الكريم، ولذلك لم يدع أحداً غيرهم، بل إنه حذر تلاميذه، من التبشير لغير بني إسرائيل، كما جاء في بعض الأناجيل.

ثانياً: إن الناس في فلسطين، كانوا ينظرون إلى السيد المسيح عليه السلام، قبل أن يبدأ في دعوته، على أنه إنسان مثلهم، ولما بدأ دعوته لقومه اليهود، عرفه من صدَّقه وآمن برسالته، أنه نبي مرسل من الله سبحانه وتعالى إليهم ـ وليس إلهاً أو ابناً لله ـ ومن كذَّبه ولم يؤمن به، اتهمه بأنه مُدَّعٍ للنبوة.

ثالثاً: منذ أن بدأ السيد المسيح عليه السلام دعوته، وحتى رفعه، لم يكن هناك إلا إنجيلٌ واحدٌ، هو الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إليه، والذي ورد ذكره في أكثر من آية في القرآن الكريم، وهو الذي كان يستند إليه في دعوته لقومه بني إسرائيل.

لكن هذا الإنجيل ضاع أو اختفى، أو تم إخفاؤه عن عمد، فضاعت آثاره، ولم يعد له ذكر، ولا تتحدث عنه المصادر المسيحية، والموجود بيد المسيحيين اليوم، أربعة أناجيل وليس إنجيلاً واحداً، وكلها ـ بلا استثناء، بما فيها الرسائل الملحقة بها ـ قد ألفت بعد رفع السيد المسيح عليه السلام، بسنوات طويلة.

رابعاً: كانت رسالة السيد المسيح عليه السلام، مكملة ومتممة لرسالة موسى عليه السلام، وما جاء في التوراة. ولذلك لم يكن أتباع السيد المسيح، يختلفون عن بقية قومهم من اليهود، إلا بتصديقهم واتباعهم للسيد المسيح عليه السلام، كنبي بعثه الله إليهم.

وكان السيد المسيح وأتباعه، يتعبدون في معابد قومهم اليهود، ولذلك لم يبن السيد المسيح معبداً أو كنيسة خاصة به ولأتباعه، أياً كان حجمها أو مسماها، ويتبع ذلك أنه لم يكن هناك نواقيس تدق للدعوة للصلاة، ولا صلبان تعلق على الرقاب والجدران، كما لم يكن هناك أديرة يتعبدون فيها، ولا قساوسة ولا رهبان ولا راهبات، ولا بطارقة ولا بابوات، ولا نظام كهنوتي أثناء حياة السيد المسيح، كما هو حاصل اليوم.

وكانت عطلتهم الأسبوعية هي يوم السبت وليس يوم الأحد كما هو حاصل اليوم، كما لم يكن لهم أعياد خاصة بهم، فقد كانوا يحتفلون مع قومهم اليهود بأعيادهم، ولم يحتفل السيد المسيح ولا أتباعه بأعياد الميلاد أو الكريسماس، ولم يعرفوا ما يسمى بشجرة عيد الميلاد، ولا بابا نويل، ولا تبادل الهدايا في تلك المناسبة.

خامساً: كان موقف غالبية اليهود من السيد المسيح عليه السلام، معادياً منذ ولادته، فقد ادعوا أنه ابن سفاح، وأن أباه يوسف النجار، وعندما بدأ دعوته بينهم كذَّبوه، وكانوا ينظرون إليه على أنه مُدَّعٍ للنبوة، وإلى من صدقه وآمن به واتبعه من اليهود، على أنهم فئة أو أتباع مذهب من المذاهب اليهودية الضالة، ضللها وغرر بها السيد المسيح.

كما آذوه بشتى الطرق، ومنها محاولة توريطه مع السلطات الرومانية المحتلة لفلسطين آنذاك، لعلهم يصطادونه بكلمة يقولها ضد تلك السلطات، ولما عجزوا عن إيقافه عن دعوته، قاموا باعتقال ومحاكمة شخص ظنوا أنه المسيح، ودفعوا السلطات الرومانية لقتله على الصليب.

سادساً: لا توجد معلومات يقينية ومؤكدة عن حياة وسيرة المسيح في المصادر النصرانية، والمعلومات المتوفرة عنه شحيحة للغاية، مما حدا ببعض الباحثين الغربيين، إلى نفي وجود شخص باسم يسوع المسيح.

سابعاً: يبدو مما يُستشَف من الأناجيل والرسائل الملحقة بها، أن انتهاء حياة السيد المسيح فجأة وبأسلوب عنيف ـ بالقتل على الصليب حسب اعتقادهم ـ قد سبب صدمة نفسية عميقة في نفوس تلاميذه وغيرهم من أتباعه، الضعفاء والفقراء مادياً ونفسياً وعلمياً، الذين حاولوا السير على خطاه، ولكنهم واجهوا اضطهاداً ومصاعب من قبل قومهم اليهود، الذين لم يؤمنوا به، فضاعت جهودهم سدى.

أسئلة على ما ورد في المبحث الثاني

1. ما رأي اليهود في ولادة السيد المسيح بدون أب ؟

2. من هو يسوع ؟

3. هل وُلِدَ السيد المسيح سنة واحد للميلاد ؟

4. في أي بلد وُلِدَ وعاش السيد المسيح ؟

5. هل أُرسِلَ السيد المسيح ـ حسب ما جاء في القرآن الكريم ـ للعالم كافة، أم لقوم بعينهم، ومن هم ؟

6. ما معنى التعميد ؟

7. من هو يوحنا المعمدان ؟

8. أ. هل الديانة المسيحية، كانت معروفة بهذا الاسم، أثناء حياة السيد المسيح عليه السلام ؟

ب. إذا كان الجواب بالنفي، متى أُطلِقَ عليها اسم المسيحية ؟

9. كم كانت مدة بعثة السيد المسيح، على وجه التقريب ؟

10. أين كان السيد المسيح وتلاميذه يُصلون ويتعبدون ؟

11. ماذا كان موقف اليهود المكذبين من السيد المسيح ؟

12. ماذا كانت نظرة اليهود الذين كذبوا السيد المسيح ؟
أشر على الجواب الصحيح من الأجوبة التالية :

أ. أنه إله أو ابن إله.

ب. أنه يدعي الألوهية.

ج. أنه نبي.

د. أنه يدعي النبوة.

هـ. ليس واحداً من الأوصاف السابقة.

13. ماذا كان موقف السيد المسيح من اليهود المكذبين له ؟

14. أ. من كان يحكم البلد والمنطقة التي عاش فيها السيد المسيح ؟

ب. هل تَعَرَّضَ السيد المسيح لهم ؟

15. لماذا سُمَّي العشاء الأخير بهذا الاسم ؟

16. أ. ماذا يأكل ويشرب المسيحيون في العشاء الأخير ؟

ب. وماذا يعتقدون بما يأكلون ويشربون ؟

17. ما دور اليهود في موضوع صلب وقتل المسيح على الصليب، حسب اعتقاد المسيحيين؟

18. ماذا كان مستوى ونوعية أتباع السيد المسيح ؟

19. ما نوع طلبات اليهود من أنبيائهم ؟

المبحث الثالث

المرحلة الأولى من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح

تمهيد :

اشرت في المقدمة، أن رسالة السيد المسيح عليه السلام، وشخصه وسيرته، قد تعرضت بعد رفعه، إلى عملية تشويه وتحريف عميقة وواسعة وبالغة التأثير، نقلتها من رسالة سماوية موحدة وبسيطة ومحلية، متممة ومكملة لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة إلى بني إسرائيل لا غير، إلى ديانة عالمية مشركة، ذات عقائد وشعائر وطقوس وثنية، وأسرار غامضة ومعقدة. تحول فيها السيد المسيح عليه السلام، من عبد الله ورسوله إلى ابنٍ لله، وأنه تجسد بهيئة بشرية ونزل إلى الأرض، لكي يهان ويُعَذَّبَ ويُقتل على الصليب وهو راضٍ، ليفدي الناس بنفسه من خطيئة أبويهم آدم وحواء، ويصالحهم مع الله لكي يرضى عنهم.

وقد استغرقت هذه العملية ـ تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح بعد رفعه ـ فترة زمنية طويلة تربو على ستة قرون، مرت خلالها بأربع مراحل رئيسية ومهمة، تم خلالها تأليف عشرات من الأناجيل التي تم استبعادها وفرض أربعة منها، كما تم تكوين العقائد والشعائر والطقوس والأسرار والنظم الكنسية للديانة المسيحية الحالية.

ويلاحظ أن كل مرحلة من تلك المراحل الأربع، تتميز بسمات وخصائص، تختلف عن سمات وخصائص المرحلة التي سبقتها، والمرحلة أو المراحل التي ستليها.

وفي هذا المبحث سأتناول المرحلة الأولى من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح، التي بدأت بعد رفعه فيما بين ثلاث إلى خمس سنوات تقريباً، بالانقلاب المفاجئ لليهودي (شاول)، الذي سُمي فيما بعد (بولس الرسول) من عدو متطرف في عداوته لرسالة السيد المسيح وأتباعه، إلى رسول مرسل من قِبَلِ السيد المسيح نفسه !

وقد استمرت هذه المرحلة إلى أن تم إعدام شاول (بولس الرسول) على الصليب في روما سنة سبع وستين ميلادية، أي أنها استغرقت مابين اثنتين وستين إلى أربع وستين سنة ميلادية.

حالة تلاميذ السيد المسيح وأتباعه بعد رفعه:

أولاً: يبدو مما يُستشف من الأناجيل والرسائل الملحقة بها، أن انتهاء حياة السيد المسيح عليه السلام، فجأة وبأسلوب عنيف ـ بالقتل على الصليب حسب اعتقادهم ـ قد سبب صدمة نفسية عنيفة وعميقة، في نفوس تلاميذه وغيرهم من أتباعه.[1]

كما أن أعداء السيد المسيح من اليهود، لا بد أنهم قد انتشوا بنصرهم بقتله على الصليب ـ حسب اعتقادهم ـ فركزوا جهودهم للقضاء على تلاميذه، لاجتثاث دعوته من جذورها وإيقاف انتشارها.[2]

وقد ساعدهم على ذلك ـ كما سبق القول ـ أنه لم يكن بين تلاميذ السيد المسيح أو أتباعه عالم واحد من علماء الدين، أو مثقف واحد، أو واحد من أصحاب الثروة أو الجاه، ممن يمكن أن يلاذ بهم في الملمات، فقد كان العامل المشترك بينهم، هو الضعف والفقر المادي والنفسي، فكانوا كالغنم التي فقدت راعيها في أرض مسبعة، لذا فقد كانت قدرتهم في الدفاع عن رسالته، أو نشرها بعد رفعه، محدودة للغاية.

ولهذه الأسباب مجتمعة، فقد أصبحت الفرصة سانحة ومواتيه، والباب مفتوحاً على مصراعيه، للبدء في تحريف وتشويه رسالة السيد المسيح وشخصه الكريم.

ثانياً: برفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ـ أو قتله على الصليب حسب زعمهم ـ تكون رسالته إلى قومه بني إسرائيل قد انتهت كما سبق بيانه، ولم يعد لديه لا الصلاحية ولا القدرة، أن يُعيِّن أو يوحي إلى أحد برسالة ولا بإنجيل، فالوحي يأتي من الله سبحانه وتعالى، وليس من أيٍ من رُسُلِه، وإن أي ادعاء من أي كان يخالف هذا، فهو محض اختلاق.

---

(1) على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في صفحة 65 وما بعدها من المبحث الثاني.

(2) انظر أعمال الرسل 1/8، و1/12 ـ 3.

تحريف الدين من الداخل، بالانضمام إليه وتولي زمام قيادته :

لقد أثبتت الأيام أن تحريف وتخريب الدين ـ أي دين ـ من الداخل بالانضمام إليه، أجدى وأمضى وأشد فتكاً به، من المقاومة الخارجية له ولأتباعه، فما بالك بتولي زمام قيادته!

الانقلاب المفاجئ :

بعد رفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بحوالي ثلاث إلى خمس سنوات، أي ما بين عامي ثلاثة وثلاثين، وثمانية وثلاثين للميلاد على وجه التقريب،[3] شمرت عوامل تحريف رسالته عن ساعدها، عندما ظهر على مسرح الأحداث يهودي اسمه (شاؤل أو شاول) انقلب فجأة ومن دون مقدمات، من عدو مجرم متطرف وشرس، ضد السيد المسيح ورسالته وأتباعه، إلى رسول معين من قبل السيد المسيح ـ بعد رفعه ـ وأنه أوحى إليه إنجيل، ليبشر به الناس كافة، حسب زعمه. وكان تحوله نقطة البداية في تحريف وتشويه رسالة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وشخصه الكريم.

من هو شاول ؟

شاول يهودي أصولي داهية، ولد ما بين سنة خمس إلى عشر للميلاد، في مدينة طرسوس[4] في مقاطعة كيليكية، جنوب وسط آسيا الصغرى ـ تركيا ـ وكان يحمل الجنسية الرومانية، مما سهل عليه التنقل بحرية بين أقاليم الإمبراطورية الرومانية.

---

(3) على فرض أن السيد المسيح قد وُلِدَ في السنة الأولى للميلاد. انظر بند 1 صفحة 42 من المبحث الثاني.

(4) الروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 28.

وكان ينتمي إلى طائفة اليهود الفريسيين* وكان متطرفاً وشرساً في معاداته لأتباع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فقد كان يدخل إلى بيوتهم، ويخرج منها الرجال والنساء ويدخلهم إلى السجن، ويعذبهم ويفتري عليهم، حسب ما قاله هو عن نفسه.

1. جاء في أعمال الرسل 9/26 ـ 11 على لسان شاول : "وكنت أعتقد أنه يجب أن أبذل غاية جهدي لأقاوم اسم يسوع الناصري. وقد عملت على تنفيذ خطتي في أورشليم بتفويض خاص من رؤساء الكهنة، فألقيت في السجن عدداً كبيراً من القديسين. وكنت أعطي صوتي بالموافقة عندما كان المجلس يحكم بإعدامهم. وكم عذبتهم في المجامع كلها لأجبرهم على التجديف**، وقد بلغ حقدي عليهم درجة جعلتني أطاردهم في المدن التي خارج البلاد".
2. جاء في رسالة شاول إلى أهل غلاطية 13/1 متحدثاً عن نفسه : "فإنكم قد سمعتم بسيرتي الماضية في الديانة اليهودية، كيف كنت اضطهد كنيسة الله***، متطرفاً إلى أقصى حد، ساعياً إلى تخريبها".
3. وجاء عنه في أعمال الرسل 3/8 "أما شاول فكان يحاول إبادة الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت ويجر الرجال والنساء ويلقيهم في السجن".

---

* الفريسيون: سبق تعريفهم في حاشية صفحة 59 من المبحث الثاني، بأنهم: طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل : الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يعتبرونهم نجسين، وقد آذوا السيد المسيح عليه السلام.

** التجديف: الكذب والبهتان وقول الكفر.

*** كنيسة الله أو الكنيسة : تعني ـ في الأناجيل ـ مذهب، أو مجموعة من الناس يشتركون بمذهب واحد، أو الإيمان بعقيدة أو عقائد واحدة، ولا تعني المبنى الذي يصلون ويتعبدون فيه، والمعروفة اليوم بالاسم نفسه.
يُعَرِّفُ الدكتور أسد رستم. الكنيسة : بأنها في عرف اليهود آنئذٍ، تعني جماعة قليلة من اليهود، يتعبدون مستقلين عن الجماعة الكبرى. انظر الروم : الجزء الأول، صفحة 24.

يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) عن شاول : "وأما بولس : فهو أخطر رجل في حياة المسيحية، إذ إن بدء حياته لا ينبئ بمستقبل شريف طيب مع المسيحية". [5]

كيفية انقلاب شاول المفاجئة :

جاء في أعمال الرسل 1/9 ـ 29 "أما شاول فكان لا يزال يفور بالتهديد والقتل على تلاميذ الرب*. فذهب إلى رئيس الكهنة**، وطلب منه رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق، لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق*** من الرجال والنساء حيثما يجدهم، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم. وفيما هو منطلق إلى دمشق، وقد اقترب منها، لمع حوله فجأة نور من السماء، فوقع على الأرض وسمع صوتاً يقول له: شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فسأل : من أنت يا سيد ؟ فجاءه الجواب : أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس المناخس****، فقال وهو مرتعد ومتحير، يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ما يجب أن تفعله، وأما مرافقو شاول فوقفوا مذهولين لا ينطقون، فقد سمعوا الصوت ولكنهم لم يروا أحداً. وعندما نهض شاول عن الأرض، فتح عينيه فوجد أنه لا يبصر، فاقتادوه بيده وأدخلوه دمشق، حيث بقي ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب. وكان في دمشق تلميذ للرب اسمه حنانيا، ناداه الرب في رؤيا :

---

(5) أضواء على المسيحية: صفحة 84 و85.

* تلاميذ الرب : يقصد بالتلاميذ، الحواريين، ويقصد بالرب في عقيدتهم، عيسى ابن مريم عليه السلام.

** الكهنة : جمع كاهن، ويقصد بهم كهنة اليهود.

*** اتباع هذا الطريق : يقصد بهم أتباع السيد المسيح عيسى ابن مريم. لاحظ أنه لم يقل عنهم المسيحيين، لأن هذا الاسم لم يكن قد أُطلق بعد على أتباع السيد المسيح، ولا اسم المسيحية على رسالته. انظر صفحة 112 وما بعدها في هذا المبحث.

**** المناخس : جمع منخس، وهو المهماز أو المخراز.

يا حنانيا! فقال : لبيك يا رب، فقال له الرب: اذهب إلى الشارع المعروف بالمستقيم واسأل في بيت يهوذا، عن رجل من طرسوس اسمه شاول، إنه يصلي هناك الآن. وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا يدخل إليه ويضع يده عليه فيبصر. فقال حنانيا للرب : ولكني يا رب قد سمعت من كثيرين بالفظائع التي ارتكبها هذا الرجل بقديسيك في أورشليم، وقد خوله رؤساء الكهنة السلطة ليلقي القبض على الداعين باسمك، فأمره الرب: اذهب فقد اخترت لي هذا الرجل إناء يحمل اسمي إلى الأمم والملوك وبني إسرائيل. وسأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي. فذهب حنانيا ودخل بيت يهوذا ووضع يديه على شاول وقال : أيها الأخ شاول، إن الرب يسوع* الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، ارسلني إليك لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس. وفي الحال تساقط عن عيني شاول ما يشبه القشور فأبصر، ثم قام وتعمد**. وتناول طعاماً فاستعاد قوته، وبقي بضعة أيام مع التلاميذ في دمشق. وفي الحال بدأ يبشر في المجامع بأن يسوع هو ابن الله. وأثار كلامه دهشة السامعين فتساءلوا : أليس هذا هو الذي كان يبيد جميع الداعين بهذا الاسم في أورشليم ؟ أما جاء إلى هنا ليلقي القبض عليهم ويسوقهم مقيدين إلى رؤساء الكهنة ؟ وأما شاول فقد صار أكثر حماسة في وعظه، فكان يفحم اليهود الساكنين في دمشق ببراهينه، التي كان يبين بها أن يسوع هو المسيح. وبعد عدة أيام، حاك اليهود في دمشق مؤامرة لقتل شاول فعلم بها، وكانوا يراقبون أبواب المدينة نهاراً وليلاً ليقتلوه وهو يخرج منها. فأخذه بعض التلاميذ ليلاً ووضعوه في سل***، وأنزلوه بالحبال

---

* يسوع، وبالآرامية يشوع : يقصدون به عيسى ابن مريم عليه السلام.

** تعمد : التعميد عادة يهودية، وهي تغطيس الإنسان بنهر الأردن، ولمن لا يتمكن من ذلك، يمكن تغسيله بالماء. انظر المعمدان في حاشية صفحة 55 من المبحث الثاني.

*** سل : سلة.

من على سور المدينة. ولما وصل شاول إلى أورشليم، حاول أن ينضم إلى التلاميذ هناك، فخافوا منه إذ لم يصدقوا أنه صار تلميذاً للرب. فتولى برنابا* أمره وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف ظهر الرب له في الطريق وكلمه، وكيف بشر بجرأة باسم يسوع في دمشق. فأخذ يذهب ويجيء معهم في أورشليم، مبشراً باسم الرب بجرأة. وكان يخاطب اليهود اليونانيين ويجادلهم، فحاولوا أن يقتلوه". (6)

وهو بهذه النقلة المفاجئة والمتضادة مع نهجه وسلوكه السابق،لم يسبقه أحد في التاريخ، لقد كان هناك كثير من البشر لم يصدقوا رسل الله وأنبياءه، فبعضهم خاصم وعادى وقاتل أولئك الرسل، ثم آمن برسالة أولئك الرسل، كل ذلك طبيعي، ولنا من أمثال هؤلاء في تاريخ الإسلام كثيرون.

ولكن الغريب في موضوع شاول (بولس الرسول)، والذي لم يسبقه إليه أحد في تاريخ الأديان، هو تحوله من عدو إلى رسول للرسالة نفسها، فهذه الظاهرة الشاذة، لم يكن لها مثيل في تاريخ البشرية أبداً.

يقول الشيخ (محمد أبو زهرة) عن شاول : "وإنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها. ولكن بولس أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه". (7)

---

* برنابا : صاحب الإنجيل الذي يحمل اسمه، والذي لا يعترف به المسيحيون. سيأتي المزيد من التفاصيل عنه في صفحة 199 و200 في المبحث الخامس.

(6) إن قصة تحول شاول، من عدو للمسيح وأتباعه، إلى رسول معين من قبل السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ــ بعد رفعه ــ قصة مريبة تجافي حقائق الأشياء، وينتابها الاضطراب والتناقض من كل جانب، وهي غير مؤهله للصمود عند مناقشتها منطقياً، كما أن من الصعب تصور قيام شاول (بولس الرسول) بكل ذلك لوحده من دون مساعدة أو دعم.

(7) محاضرات في النصرانية : صفحة 73.

ويقول الشيخ (محمد أبو زهرة) أيضاً عن شاول، مستشهداً بما جاء في بداية الإصحاح التاسع من أعمال الرسل "إن ذلك الرجل الذي كاد للمسيحية هذا الكيد، وآذى أهلها ذلك الإيذاء، قد انتقل من الجبت* والطاغوت** إلى المسيحية فجأة، من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال، ولا تمهيدات مهدت له".[8]

يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) عن شاول : "وهنا يجد القارئ فجوة، ذلك أن بولس انتقل فجأة من عدو إلى نبي، ومن مبغض إلى مصدر لما أبغضه، فهل الله يختار أنبياءه من الأشرار أو الخصوم لدينه ؟ وهل يمكن من الناحية النفسية، أن ينتقل رجل من حالة عداوة شيء، إلى حالة الإيمان به طفرة واحدة، فضلاً عن أن يكون أحد أعمدة وأسس العقيدة التي كان يكفر بها، ويقتل أصحابها ويزرع الفزع في قلوب معتنقيها ؟".[9]

صفات شاول البدنية والعقلية والنفسية :

كان شاول يتمتع بصفات ومواصفات بدنية وعقلية ونفسية غير عادية، أهلته للنجاح في القيام في مهامه التي قام بها مثل :

1. كان عالماً بالتوراة وشرائعها، فقد تعلم الديانة اليهودية على يد معلم الشريعة (غمالائيل) وكان متفوقاً في دراسته حتى إنه بز أقرانه. جاء في رسالته إلى أهل غلاطية 14/1 : "وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي". أي أنه كان أكثر تعصباً لمذهبه منهم.

---

* الجبت : الظلم.

** الطاغوت : المبالغة في الطغيان.

(8) محاضرات في النصرانية : صفحة 71.

(9) أضواء على المسيحية : صفحة 86.

2. كان يجيد اللغة اليونانية بالإضافة إلى لغته العبرية، لغة اليهود.

3. كان يحمل الجنسية الرومانية، مما ساعده في تحركاته وفي أسفاره العديدة في أقطار الإمبراطورية.

4. كان جريئاً حاد الطبع، ذا شخصية قوية، واسع الحيلة، قوي الحجة، ذا قدرة على الإقناع.

5. كان يتمتع بطاقة وقدرة بدنية عجيبة، ساعدته على تحمل مشاق ومتاعب وأخطار السجون والأسفار في البر والبحر، فقد كان دائم السفر والترحال لا يقر له قرار، لا يكل ولا يمل، فقد تجول في مناطق سوريا وفلسطين وآسيا الصغرى ـ تركيا ـ واليونان والبلقان وإيطاليا وجزر شرقي البحر الأبيض المتوسط مثل قبرص وكريت ومالطا وغيرها.

6. كان ذا نشاط ذهني كبير سخره في دعوته، فقد كان يكتب الرسائل التعليمية، ويلقي الخطب، ومن بين الثلاث والعشرين رسالة الملحقة في الأناجيل، يوجد أربع عشرة رسالة منسوبة إليه، أي ما يعادل حوالي 61 % من تلك الرسائل.

7. كان فظاً في معاملته ومخاطبته لمن لا يوافقه على رأيه، أو لا يثبت على تعاليمه، ولم يكن يتورع عن استخدام كلمات جارحة ضد مخالفيه مثل : الكذابين، الجواسيس، الأغبياء.[10]

8. كان يجمع التبرعات من أتباعه، بل يفرضها عليهم فرضاً إذا اضطر إلى ذلك، وكان يضعهم تحت ضغوط نفسية شديدة، ولا يترك لهم مجالاً سوى الاستجابة إلى طلبه، وكان يستخدم معهم لهجة آمرة ومتعجرفة، إذا لم يُجْدِ معهم التلميح والترغيب والحث على التبرع.

---

(10) انظر رسالته إلى أهل غلاطية 4/2، و1/3 في الرسالة نفسها.

9. كانت الغاية عنده تبرر الوسيلة، اسمعه وهو يتحدث عن نفسه في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 9/20 ـ 22 : "استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس* كأني تحت الناموس، لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس المسيح، لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء".

هل هذا كلام يصدر عن صاحب دعوة دينية ؟ أم أنه يعبر عن شخصية سياسي انتهازي من الطراز الأول! لا يحفل ولا يضع للوسائل الخلقية والدينية أي اعتبار، في سبيل الوصول إلى غايته ؟

يقول الشيخ (محمد أبو زهرة) عن شاول (بولس) بعد أن يعدد صفاته: "وبهذه الصفات الممتازة، وبهذه القدرة البارعة، استطاع أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية وقطبهم، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين فيعتنقوه ديناً، ويتخذوا قوله حجة، زاعمين أنه رسالة أرسل بها. وبهذه الصفات الباهرة، استطاع أن يحمل صديقه برنابا، على أن يصدقه في رؤيته المسيح، واستطاع أن يحتل المنزلة الأولى بين التلاميذ، وقد كان بلاءهم وكيد الشيطان لهم. وبهذه الصفات القوية استطاع أن يحملهم على نسيان ماضيه، وأن يندغموا** في شخصه، حتى يصير هو كل شيء، وهم لا يستطيعون رد قوله في الجماهير، وحتى لقد صارت المسيحية الحاضرة، مطبوعة بطابعه منسوبة إليه".[11]

---

* الناموس: التوراة وشرائعها.

** يندغموا : يندمجوا، يذوبوا.

(11) محاضرات في النصرانية : صفحة 73.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

سورة البقرة آية 79

المرحلة الأولى من عملية تحريف رسالة السيد المسيح والافتراء على شخصه

بدأت هذه المرحلة بدخول شاول (بولس الرسول) إلى ما سُمّي فيما بعد بالمسيحية، وذلك بعد رفع السيد المسيح عليه السلام، بحوالي ثلاث إلى خمس سنوات، أي ما بين عامي ثلاثة وثلاثين، وثمانية وثلاثين للميلاد على وجه التقريب، واستمرت حتى سنة سبعه وستين للميلاد، حين تم إعدام شاول (بولس الرسول) في روما.[12]

شاول (بولس الرسول)

أي أن المرحلة الأولى من عملية تحريف رسالة السيد المسيح، قد استغرقت ما بين اثنتين وستين إلى أربع وستين سنة ميلادية على وجه التقريب، وكان مسرحها مدن أنطاكية وآسيا الصغرى، واليونان وروما، وجزر شرق البحر الأبيض المتوسط.

مزاعم وادعاءات بالجملة :

لا شك أن شاول (بولس الرسول) قد أعد لكل شيء عدته، فقد ادعى مقدماً أن يسوع ـ السيد المسيح عيسى ابن مريم ـ هو ابن الله، كما زعم

(12) سيأتي تفصيل ذلك في صفحة 132 من المبحث الرابع.

أن يسوع قد عينه رسولاً إلى الأمم ـ غير اليهود ـ وأنه أوحى إليه إنجيلاً لكي يبشرهم به، وتغير اسمه منذ ذلك اليوم، من شاول إلى بولس الرسول ـ ويلفظ أحياناً بولص ـ كما جاء في النصوص التالية :

1. جاء في أعمال الرسل 20/9 عن شاول (بولس الرسول) أنه "وفي الحال بدأ يبشر في المجامع بأن يسوع هو ابن الله".
2. وجاء في رساله شاول إلى أهل غلاطية 1/1 : "من بولس، وهو رسول لا من قبل الناس، ولا بسلطة إنسان، بل بسلطة يسوع المسيح، والله الآب الذي أقامه من بين الأموات".
3. وجاء في رسالته نفسها إلى أهل غلاطية 11/1 و 12 : "وأعلمكم أيها الأخوة، أن الإنجيل الذي بشرتكم به ليس إنجيلاً بشرياً. فلا أنا تسلمته من إنسان ولا تلقنته، بل جاءني بإعلان من يسوع المسيح".
4. وجاء في الرسالة نفسها إلى أهل غلاطية 7/2 : "أنه عُهِدَ إلي بالإنجيل لأهل عدم الختان".[13]
5. ويقول بولس عن نفسه، في رسالته إلى أهل غلاطية 15/1 ـ 17 : "ولكن لما سُرَّ الله، الذي كان قد أفرزني وأنا في بطن أمي ثم دعاني بنعمته، أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم، في الحال لم استشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم لأقابل الذين كانوا رسلاً قبلي".

وبهذه المزاعم والادعاءات، استحوذ شاول (بولس الرسول) في فترة وجيزة، على كل السلطات التشريعية والتنفيذية، في كل ما يخص رسالة السيد المسيح عليه السلام ـ بعد رفعه ـ وتمكن من أخذ زمام المبادرة من تلاميذ

---

(13) يقصد بأهل عدم الختان، الوثنيين الذين لا يختتنون. كما أن مجرد الدعوة ـ أو التبشير ـ إلى ديانة السيد المسيح عليه السلام، بين الشعوب الأخرى غير اليهود، حتى لو تمت كما جاء بها من دون تحريف، هو مخالفة فاضحة وصريحة، لرسالة وتعاليم السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما سبق إيضاحه في صفحة 53 و54 في المبحث الثاني.

السيد المسيح، حتى طغى دوره القيادي والتشريعي ليس عليهم فقط، إنما على دور السيد المسيح نفسه.

وقد وضع شاول (بولس الرسول) منذ البداية، عينه على الوثنيين في البيئة اليونانية بشكل خاص، لكي يبدأ نشاطه معهم وفي ساحتهم.

رسالة السيد المسيح لا تصلح ولا تناسب الوثنيين:

نظراً إلى أن رسالة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وكتابها الإنجيل، موجهان إلى بني إسرائيل، وهي في الوقت نفسه تابعة ومتممة ومكملة لرسالة موسى عليه السلام، وكتابها التوراة، الذي يخص بني إسرائيل وتاريخهم، ويخاطبهم وحدهم، ولا يخاطب أحداً غيرهم من الوثنيين، كما أن الوثنيين لا يربطهم ببني إسرائيل أية رابطة، لا من حيث العادات ولا التقاليد، ولا العقائد أو التاريخ، ولذلك فرسالة السيد المسيح، لا تصلح ولا تناسب الوثنيين من شعوب الإمبراطورية الرومانية، ولا تهمهم لا من قريب ولا من بعيد.

كما أن صرامة شرائع التوراة، لا تصلح ولا تناسب تلك الشعوب الوثنية، ومنها ختان الذكور، وهو واجب مقدس على اليهود في التوراة، يحرصون عليه كل الحرص إلى اليوم، في حين أن الختان غير معروف عند الوثنيين، كما أن أكل لحم الخنزير محرم على اليهود في التوراة، وهم يتقيدون بذلك ولا يأكلونه حتى اليوم، في حين أن الوثنيين يأكلون لحم الخنزير ويتلذذون بأكله، والتوراة تحرم أكل ذبائح الوثنيين، واليهود يتقيدون بذلك، ولا يأكلون من لحوم ذبائح غيرهم إلى اليوم، والتوراة تتشدد في موضوع طهارة الجسد والملبس والمسكن، وهذا لا يناسب الوثنيين الوسخين ولا يطيقونه.

وكان اليهود ـ في ذلك الوقت ـ يعتبرون الوثنيين نجساً، ولذلك لا يزوجون بناتهم للوثنيين ولا يتزوجون بنات الوثنيين، تطبيقاً لما جاء في سفر التثنية 3/7 "لا تصاهرهم، بنتك لا تعطِ لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك".

كما أنهم لا يأكلون طعامهم ولا يأكلون معهم، ولا يزورونهم في بيوتهم، ولا يسمحون للوثنيين بدخول بيوتهم أو معابدهم.

جاء في أعمال الرسل 2/1 و3 عن بطرس كبير التلاميذ "فما إن عاد بطرس إلى أورشليم حتى جادله دعاة الختان ـ اليهود ـ وعارضوه قائلين : كيف دخلت بيت رجال غير مختونين وأكلت معهم".

وجاء في أعمال الرسل 28/10 عن بطرس أنه قال للوثنيين : "أنتم تعلمون أنه محرم على اليهودي أن يتعامل مع الأجنبي ـ الوثني ـ أو يزوره في بيته".

واليهود يقدسون يوم السبت، ويحرمون القيام بأي عمل أو نشاط فيه، حتى النار لا يشعلونها في هذا اليوم، ويعتبرون من يخالف ذلك من اليهود، خارجاً على العقيدة اليهودية، وهم لا يزالون يحافظون على ذلك إلى اليوم، وهذا ما لا يناسب الوثنيين إطلاقاً.(14) كل ذلك يعرفه بولس تمام المعرفة، كونه كان عالماً بالتوراة وشرائعها.(15)

---

(14) يرجى ملاحظة أنني أتكلم عما جاء من شرائع وقوانين منقولة عن التوراة ـ العهد القديم ـ ومن الطبيعي أن هناك من اليهود من لا يتقيد بها أو ببعضها.

(15) انظر بند رقم 1 صفحة 88 من هذا المبحث.

عوامل هدم رسالة السيد المسيح

أخذ بولس ينقض ويهدم رسالة السيد المسيح عليه السلام، عُروة عُروة أو خطوة خطوة، ويأتي بعقائد وشرائع تقترب وتتناسب مع ذهنية وثقافة وعقائد وعادات وتقاليد أولئك الوثنيين، لكي يسهل عليهم تقبلها، والدخول في الدين الذي أخذ ينشئه خطوه خطوة، على أنقاض رسالة السيد المسيح عليه السلام، آخذاً بعين الاعتبار، ومعتمداً على العوامل الأربعة التالية :

العامل الأول ـ الخرافات والأساطير :

كانت الخرافات والأساطير المتعلقة بتعدد الآلهة، وتزاوجها وتوالدها ونزولها إلى الأرض على هيئة بشرية، واختلاطها وتعاملها مع الناس من دون أن تفصح لهم عن هويتها الإلهية، منتشرة بين الوثنيين من شعوب الإمبراطورية الرومانية، وكانت تلك الآلهة تلفت الأنظار إليها، بقيامها بأعمال معجزة تثير الدهشة والاستغراب، ولا يقدر على أدائها في نظرهم إلا الآلهة، مما أدى إلى الاعتقاد، بأن الرجال الذين يتميزون بقدرات غير عادية أو خارقة، إنما هم في الحقيقة آلهة في هيئة بشرية، وفيما يلي مثالان على ذلك :

1. بعد شفاء (بولس) لكسيح، هتف الحاضرون من الوثنيين : بأن الآلهة اتخذت صورة بشر ونزلت بينهم! ثم اطلقوا على برنابا وبولس اسمي إلهين من آلهتهم، وجاؤا بثيران ليقدموها ذبائح للإلهين برنابا وبولس (أعمال الرسل 8/14 ـ 18).
2. بعد نجاة بولس من الموت، بعد غرق السفينة التي كان يستقلها أمام سواحل جزيرة مالطة، ونجاحه في الوصول سباحة إلى الشاطئ سالماً، ولما أشعل النار للتدفئة، خرجت أفعى من بين الخشب وتعلقت بيده، فنفضها ولم

يصبه مكروه، فقال الحاضرون من أهل الجزيرة : لا بد أنه إله (أعمال الرسل 28/3 ـ 6).[16]

العامل الثاني ـ معجزات السيد المسيح :

نظراً للمعجزات التي رافقت الحمل بالسيد المسيح عليه السلام، من دون أب، وتكلمه بعد ولادته مباشرة، وخلقه من الطين طيوراً تطير، وإبرائه للأكمه والأبرص، وإحيائه للموتى بإذن الله، كما جاء في سورة المائدة آية 110 ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وإنبائهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون، كما جاء في سورة آل عمران آية 49 ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾.

فقد كان الناس في فلسطين من يهود ووثنيين، مبهورين بما كان يقوم به السيد المسيح عليه السلام، من أعمال معجزة لا يستطيعها البشر.

فمن السهولة في هذه الحال، تصور اعتقاد أو تصديق أولئك الوثنيين الذين احتكوا بالسيد المسيح أو سمعوا بالأعمال المعجزة التي كان يقوم بها، أنه واحد من تلك الآلهة، التي كانت تعيش بين الناس وهي على هيئة بشرية.

---

(16) انظر نزول الآلهة إلى الأرض، في صفحة 23 و24 من المبحث الأول.

العامل الثالث ـ إشاعة صلب السيد المسيح :

مما عُرِفَ وشاع أن اليهود قد قتلوا السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، على الصليب.

العامل الرابع ـ موضوع مخالفة آدم وحواء لأمر ربهما :

جاء في العهد القديم ما معناه: أن الرب أوصى آدم وهو في الجنة، بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وأنه سيموت إذا أكل منها، وأن الحية أغرت حواء لتأكل من ثمر تلك الشجرة، فأخذت حواء من ثمرها وأكلت، وأعطت زوجها آدم فأكل أيضاً (سفر التكوين 16/2 ــ 22، و1/3 ــ 6).

"فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر، وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة، عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله وقال له: أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي، هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة : الحية غرتني فأكلت. فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة : تكثير أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك. وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً : لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى

تراب تعود. ودعا آدم اسم امرأته حواء، لأنها أم كل حي. وصنع الرب الإله لآدم وامرأته اقمصة من جلد والبسهما" (سفر التكوين 3/7 ــ 21).

خوف الرب من آدم وحواء:

وهنا أخذ الخوف والقلق يساور الله منهما ــ جل وعلا عما يقولون ــ بعد أن أصبحا يعرفان الخير والشر، بعد أكلهما من ثمر تلك الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها، ومن يدري فقد يمدان أيديهما ويأكلان من شجرة الحياة فيعيشا إلى الأبد، فطردهما الله من الجنة.

"وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيوم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" (سفر التكوين 3/22 ــ 24).[17]

وبناء على تلك العوامل الأربعة:

1. الخرافات والأساطير عن تعدد الآلهة، وتزاوجها وتوالدها، ونزولها إلى الأرض في هيئة بشرية، دون أن تفصح عن هويتها الإلهية.
2. المعجزات التي ارتبطت بالسيد المسيح.
3. إشاعة صلب السيد المسيح.
4. موضوع مخالفة آدم وحواء لأمر ربهما.

فقد قام بولس بانتهاج سياسة ذات محاور عديدة، لهدم رسالة السيد المسيح ومسخها.

---

(17) للمقارنة بين ما جاء في العهد القديم والقرآن الكريم، حول هذا الموضوع، انظر سورة البقرة، الآيات 35 إلى 37. وسورة الأعراف، الآيات 19 إلى 25. وسورة طه، الآيات 115 إلى 123 من القرآن الكريم.

محاور هدم رسالة المسيح،
وابتداع عقائد للديانة المسيحية

المحور الأول :

1. **عقيدة الخطيئة أو المعصية الأولى :**

ابتدع شاول (بولس الرسول) من مخالفة آدم وحواء لأمر ربهما ـ بأكلهما من ثمر شجرة معرفة الخير والشر ـ عقيدة عرفت باسم عقيدة الخطيئة أو المعصية الأولى، فقد زعم بولس أنهما قد ارتكبا خطيئة أو معصية كبيرة، وبالتالي أصبحا ملوثين بها، وليس هذا فحسب، بل زعم أنهما قد أورثا تلك الخطيئة إلى ذريتهما، فأصبحوا ملوثين بها أيضاً، وإن الله قد غضب عليهما وعلى ذريتهما.

2. **عقيدة تأليه السيد المسيح وبنوته لله :**

وبناء على عقيدة الخطيئة أو المعصية الأولى، ابتدع شاول (بولس الرسول) عقيدة أخرى، تعد أهم عقيدة في الديانة المسيحية الحالية، وهي تأليه السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وبنوته لله، فأصبح عندهم إلهان الآب والابن، وإن كان بشكل غير رسمي أو غير ملزم، واستمر الوضع هكذا ما بين مؤيد ومعارض، حتى تم تثبيت وفرض عقيدة تأليه السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وبنوته لله في مجمع نيقية سنة 325 م، وذلك بعد رفع السيد المسيح بحوالي 320 سنة. وعليه فعندما يقول المسيحي : الله، أو الرب، أو يا إلهي، فإنه يعني السيد المسيح عليه السلام.

3. عقيدة صلب وقتل السيد المسيح على الصليب :

وبناء على ما عرف وشاع من قتل اليهود للسيد المسيح على الصليب، فقد جعل شاول (بولس الرسول) من تلك الحادثة، إحدى أهم العقائد في الديانة التي أخذ ينشئها ويشكلها بتؤدة، على أنقاض ديانة ورسالة السيد المسيح عليه السلام، مرتكزاً على العقيدتين السابقتين اللتين أنشأهما (عقيدة الخطيئة أو المعصية الأولى، وعقيدة تأليه السيد المسيح وبنوته لله).

حيث زعم بولس أن من صفات الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ العدل والرحمة، فبمقتضى عدله، كان عليه أن يعاقب البشرية كلها على تلك الخطيئة أو المعصية الأولى، التي توارثوها عن أبويهم آدم وحواء، وبمقتضى رحمته كان عليه أن يغفر للبشرية تلك الخطيئة.

ولما كانت تلك الخطيئة أو المعصية كبيرة جداً، ولا يمكن لأية أضحية من الأغنام أو الأبقار أو غيرها من الحيوانات مهما بلغ عددها أن تكفر عنها. فلم تكن هناك من وسيلة أو سبيل أمام الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون ـ لتكفير تلك الخطيئة عن البشرية، والجمع بين عدله ورحمته، ومصالحته مع البشرية، إلا أن يرسل الله ـ تعالى عما يقولون ـ ابنه الوحيد يسوع ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ـ الذي تجسد بهيئة بشرية ونزل إلى الأرض، لكي يُهان ويُعذب ويصلب ويُقتل على الصليب وهو راضٍ، ليكون هو الأضحية أو الفادي أو المُخَلّص، الذي يفدي ويُخَلّص كل من يؤمن بأن يسوع هو ابن الله الوحيد، وأنه قُتل على الصليب ليفديهم بنفسه من تلك الخطيئة، ويصالحهم مع أبيه ـ الله سبحانه وتعالى عما يصفون ـ الذي كان غضبان عليهم.[18]

(18) وهذا سبب إطلاقهم على السيد المسيح ألقاباً مثل : الفادي والمُخَلِّص، لأنه قد فداهم وخلصهم ـ حسب اعتقادهم ـ من الخطيئة الأولى أو الأصلية.

وإنه بعد أن دُفن لمدة ثلاثة أيام بلياليها، قام من الموت وظهر لتلاميذه وغيرهم، وبعد أربعين يوماً رُفِعَ إلى السماء وجلس على يمين الله، وإنه سيعود إلى الأرض مرة ثانيةً، ليحاسب الأحياء والأموات.[19]

وهذا هو التكييف أو التعليل، الذي اعتمد عليه بولس الرسول، لتأليه السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وقدمه إلى الوثنيين الأوروبيين وغيرهم من شعوب الإمبراطورية الرومانية، لا كرسول من الله سبحانه وتعالى، إلى بني إسرائيل، وإنما ابنٌ لله، نزل إلى الأرض لكي يهان ويقتل على الصليب، لكي يفديهم بنفسه وينقذهم من غضب أبيه الإله، لكي يغفر لهم خطيئة أبيهم آدم وأمهم حواء، التي توارثوها منهما، فيما عرف عندهم باسم، الخطيئة أو المعصية الأولى.

وبهذه العقائد الوثنية، ازدادت أعداد الوثنيين الأوروبيين وغيرهم، الداخلين إلى هذه الديانة الجديدة، القريبة من أفهامهم ومعتقداتهم وما اعتادوا عليه، والتي سَتُعْرَفُ فيما بعد باسم المسيحية.

ويلاحظ أنه مع ابتداع شاول (بولس الرسول) لعقيدة بنوة السيد المسيح لله ــ سبحانه وتعالى عما يقولون ــ وإنها سبب نزوله إلى الأرض لكي يصلب ويقتل على الصليب، إلا أن المسيحيين لم يتخذوا الصليب رمزاً أو شعاراً لدينهم، إلا بعد مجمع نيقية.[20]

ولقد جَرَّت هذه العقيدة الوثنية ــ تأليه السيد المسيح عليه السلام ــ إشكالات ومشاكل عديدة بين كبار رجال الدين المسيحي.[21]

---

(19) انظر رسالة بولس إلى أهل روما 24/3 و25، و8/5 ــ 11، و9/10. ورسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 3/15 و4 .

وأعمال الرسل 3/1 و9. و40/10 ــ 43. وإنجيل مرقص 19/16. وإنجيل لوقا 51/24.

(20) سيأتي تفصيل الكلام عن مجمع نيقية، في المبحث الرابع، صفحة 148 وما بعدها.

(21) سيأتي تفصيله في صفحة 214 وما بعدها من المبحث السادس.

وعلى أساس عقيدة تأليه السيد المسيح وبنوته لله، فقد وُضِعت عقيدة وثنية أخرى مبنية عليها، هي عقيدة التثليث (الله والابن والروح القدس) في مجمع القسطنطينية الأول في سنة 381م،[22] وذلك بعد أكثر من ثلاثة قرون، من إعدام شاول (بولس الرسول) في مدينة روما.

ما جاء في القرآن الكريم عن هذا الموضوع:

1. ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ سورة البقرة آية 35 إلى 37.

2. وجاء في سورة الأعراف آية 19 إلى 25 ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾.

---

(22) سيأتي تفصيله في صفحة 216 و217 من المبحث السادس.

3. وجاء في سورة طه آية 115 إلى 124 ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾.

نفهم من تلك الآيات القرآنية الكريمة : أن الشيطان قد أزل آدم وحواء، فأكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الاقتراب منها، وأنهما ندما على فعلتهما وتابا وطلبا المغفرة من الله تعالى، فغفر لهما زلتهما وأمرهما بالهبوط إلى الأرض، وانتهى الموضوع عند هذا الحد.

فالقرآن الكريم[23] هو المرجع الأول والوحيد الموثوق به، في أي موضوع يتعرض أو يتصدى له، وهو المهيمن على كل ما سبقه من الرسالات السماوية وكتبها التي نزلت قبله. جاء في سورة المائدة آية 48 ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.[24]

وجاء في سورة الكهف الآية 4 و5 ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

---

(23) سبق تعريفه في صفحة 31 وما بعدها من المبحث الثاني.

(24) سبق شرح هذه الآية في صفحة 33 من المبحث الثاني.

فلم تكن هناك خطيئة أو معصية، وبالتالي لم يورث آدم وحواء تلك الخطيئة إلى نسلهما من البشر، ولم يكن هناك ابنٌ لله ـ كما زعم شاول (بولس الرسول) ـ لكي ينزل إلى الأرض ويصلب ويقتل على الصليب، لكي يغفر الله تعالى، تلك الخطيئة أو المعصية للبشر، ولم تُعاقَبْ حواء ونسلها من الإناث، بزيادة آلام الحمل والولادة، فذلك أمر طبيعي تعاني منه جميع النساء بمن فيهن المسيحيات.

يقول العلامة (شارل جنيبير) : "تسربت آثار الأسطورة الشرقية القديمة، التي تدور حول فكرة إله يموت ثم يبعث، ليسير بأتباعه نحو حياة الخلود، تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية ـ أو على الأقل تلك المتأثرة بالفكر اليوناني ـ فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودي وشخصية محلية، لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان، إلى عيسى المسيح، السيد والمنقذ، ابن الله وخليفته على الأرض، الذي يهتف باسمه سائر المؤمنين، وتنحني له الخليقة كلها إكباراً وإجلالاً ـ على حد تعبير القديس بولس ـ" .[25]

ويقول المؤرخ (ول ديورانت) : "لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح. وكانت العوامل التي أوحت إليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت، هي انقباض نفسه وندمه، والصورة التي استحال إليها المسيح في خياله، ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شراً وخبثاً، ولعله تذكر السنّة اليهودية والوثنية، سنّة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس" .[26]

ويقول (ول ديورانت) أيضاً: "وما هو أهم من هذا كله، هو التضحية الرمزية بِحَمَلِ الله ـ خروف صغير ـ للتكفير عن الخطايا، وهي التضحية

(25) المسيحية نشأتها وتطورها: صفحة 66 و67.

(26) قصة الحضارة: الجزء 11، صفحة 263.

التي حلت في المسيحية، محل القرابين الدموية في الأديـان القديمة. واستحال الخبز والخمر، اللذان كانا يعدّان في الطقوس القديمة، هدايا توضع على المذبح أمام الإله، بفضل تدشين القساوسة له، إلى جسم المسيح ودمه، وأصبحا يقدمان لله، بوصفهما تكراراً لتضحية يسوع بنفسه على خشبة الصليب، ويلي هذا موكب مؤثر رهيب، يشترك فيه العابدون في حياة منقذهم ومادته نفسيهما، وكانت هذه فكرة خلع عليها طول الزمن قداسة، فلم يكن العقل الوثني في حاجة إلى شيء من التدريب لاستقبالها، وإدماجها في طقوس القداس الخفية، وبها أضحت المسيحية آخر الأديان الغامضة وأعظمها". [27]

انظر وتأمل إلى ما جاء في كلام اثنين من العلماء الغربيين المسيحيين (شارل جنيبر) و(ول ديورانت) وقارنه بما جاء في القرآن الكريم، قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ سورة التوبة آية 30.

---

(27) المصدر السابق صفحة 283 و284.

﴿يُضَـٰهِـُٔونَ ﴾ : يشابهون، يوافقون، يقلدون.

المحور الثاني ـ إجراء تنزيلات دينية :

يرمي هذا المحور إلى قيام بولس بإجراء تنزيلات دينية عديدة، وذلك بإلغاء شرائع التوراة عُروة عُروة أو خطوة خطوة، بادئاً بالشرائع التي تمس الحياة اليومية المباشرة، للمدعوين الوثنيين إلى هذا الدين الجديد الذي أخذ ينشئه.

فبدأ بإلغاء شريعة الختان عن الوثنيين الذكور،[28] وحلل لليهود أكل ذبائح الوثنيين، وأكل لحم الخنزير، والزواج المختلط بين اليهود والوثنيين، وألغى جميع أنواع الطهارة الجسدية، وفي الملبس والمسكن ... إلخ، التي تتشدد بها التوراة، وصولاً إلى إلغاء كل الروابط والصِلات، بين رسالة السيد المسيح عليه السلام، وأصولها في الديانة اليهودية. مما أحدث مشاكل دينية في مدينة أنطاكية*، بين اليهود الذين اتبعوا السيد المسيح ويتمسكون بالختان، والوثنيين الذين أعفاهم بولس من الختان.

ووصل الأمر إلى الرسل والمشايخ والجماعة في بيت المقدس، فعقدوا اجتماعاً[29] تداولوا فيه الأمر، بحضور بولس الرسول، وأرسلوا بعد هذا الاجتماع رسالة إلى الوثنيين في أنطاكية، كما جاء في أعمال الرسل 28/15 و29 قائلين : "فقد رأى الروح القدس ونحن، ألا نحملكم أي عبء فوق ما يتوجب عليكم. إنما عليكم أن تمتنعوا عن الأكل من الذبائح

---

(28) انظر رسالة بولس إلى أهل غلاطية 15/6.

* أنطاكية : مدينة تاريخية مهمة، ومركز للحكم في بلاد الشام، وتأتي بعد مدينة روما والإسكندرية في الأهمية في الإمبراطورية الرومانية، وتقع حالياً في لواء الإسكندرون تحت السيادة التركية.

(29) يعد هذا الاجتماع، أول مجمع في تاريخ المسيحية. سيأتي بحث المجامع في صفحة 212 وما بعدها من المبحث السادس.

المقربة للأصنام، وعن تناول الدم ولحوم الحيوانات المخنوقة، وعن ارتكاب الزنا". [30]

ومعنى ذلك أنه قد تم تحليل وإباحة كل ما لم يرد بتلك الرسالة، ومنها عدم ختان الذكور، وأكل لحم الخنزير، وأكل ذبائح الوثنيين ـ غير المقدمة للأصنام ـ وتحليل الزواج بين اليهود والوثنيين، وإلغاء جميع أنواع الطهارة التي تتشدد التوراة بشأنها.

ويبدو أن بولس وغيره من الرسل والمشايخ الذين عقدوا ذلك الاجتماع، قد حصلوا على دعم قوي لقراراتهم تلك، من رؤيا بطرس كبير التلاميذ ـ إن كانت تلك الرؤيا قد سبقت ذلك الاجتماع، أو أنها قد عززت قراراتهم إن كانت قد أتت بعد ذلك الاجتماع ـ حسب ما جاء في أعمال الرسل 5/11 ـ 10 على لسان بطرس أنه قال :"كنت أصلي في مدينة يافا، فوقعت علي غيبوبة، فرأيت في رؤيا، وعاء يشبه قطعة كبيرة من القماش مربوطة بأطرافها الأربعة، وقد تدلى إلي من السماء، وعندما تأملته ملياً، وجدت فيه أنواع الحيوانات الدابة على الأرض، والوحوش والزواحف وطيور السماء جميعاً، وسمعت صوتا يقول لي: يا بطرس، قم اذبح وكل! فأجبت: كلا يا رب، فلم يدخل فمي قط شيء محرم أو نجس. فقال لي الصوت السماوي أيضاً: ما طهره الله لا تحسبه أنت نجساً، وتكرر هذا ثلاث مرات، ثم سحب الوعاء بما فيه إلى السماء".

---

(30) لم يبين لنا كاتب أعمال الرسل، عن كيفية اشتراك الروح القدس، مع الرسل والمشايخ والجماعة في هذا الاجتماع.

وقد سبق تعريف الروح القدس عند المسلمين، بأنه الملك جبريل عليه السلام، انظر الحاشية في صفحة 52 في المبحث الثاني.

المحور الثالث ـ إلغاء التوراة وشرائعها :

وأخيراً حان الوقت لقيام بولس، بإلغاء ما تبقى من التوراة وشرائعها جملةً واحدةً، لكي يزيل هذه العقبة الكؤود وإلى الأبد، أمام دخول الوثنيين إلى الدين الذي أخذ ينشئه على أنقاض رسالة ودين السيد المسيح عليه السلام، والذي أخذ يسوقه باسم السيد المسيح ـ المسيحية ـ وهو منه براء، وانظر إلى الأعذار التي ساقها لتسويغ إلغاء التوراة، كما جاءت في رسالته إلى أهل غلاطية 4/4 و 5 "ولكن لما جاء تمام الزمان، أرسل الله ابنه وقد ولد من امرأةٍ ليحرر بالفداء* أولئك الخاضعين للشريعة".**
وكما جاء في رسالته إلى أهل روما 6/7 "وأما الآن فقد تحررنا من الناموس***، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه، حتى نعبده بجدة الروح**** لا بعتق الحرف*****".

يريد أن يقول أنه بموت المسيح على الصليب ـ حسب اعتقادهم ـ ثم قيامه من قبره بعد صلبه، فقد تمت ولادة جديدة لأتباعه والمؤمنين به، وتم تحريرهم من التقيد بالتوراة وشرائعها، التي أصبحت ملغية ولا تصلح للعهد الجديد، الذي انبثق بعد صلب المسيح ثم قيامه من القبر. وجاء في رسالته إلى أهل غلاطية 13/3 "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً لأجلنا، لأنه مكتوب : ملعونٌ كل من عُلّقَ على خشبة".

---

* ليحرر بالفداء: يقصد بقتل المسيح على الصليب.

** الشريعة : التوراة.

*** الناموس: التوراة وشرائعها.

**** جدة الروح: يقصد العبادة حسب الدين الذي أخذ ينشئه، ومن هنا ـ فيما يبدو ـ استحدث النصارى فيما بعد، اسم العهد الجديد، لأناجيلهم الأربعة والرسائل الملحقة بها.

*****عتق الحرف: يقصد بها التوراة والكتب الملحقة بها، ومن هنا ـ فيما يبدو ـ استحدث النصارى فيما بعد، اسم العهد القديم أو العتيق، للتوراة والأسفار الملحقة بها، والتي ضموها إلى العهد الجديد.

يقول (جوستاف لوبون) : "كانت جهود القديس بولس، تهدف إلى تجريد النصرانية من عناصرها اليهودية على قدر الاستطاعة، فتجعل النصرانية ديناً عاماً، وهذا ما تم للنصرانية ولكن ببطء كبير".[31]

ما جئت لأنقض بل لأكمل :

جاء في إنجيل متى 17/5 ـ 19 أن السيد المسيح قال : "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء*، ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل**، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات وأما من عمل وعلَّم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات".

ومن كتاب الحياة ـ نسخة عالمية معدلة للأناجيل ـ جاء في إنجيل متى 17/5 ـ 19 عن السيد المسيح أنه قال : "لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لألغي، بل لأكمل. فالحق أقول لكم : إلى أن تزول الأرض والسماء، لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة، حتى يتم كل شيء، فأي من خالف واحدة من هذه الوصايا الصغرى، وعلَّم الناس أن يفعلوا فعله، يدعي الأصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل بها وعلمها، فيدعي عظيماً في ملكوت السماوات".[32]

---

(31) حياة الحقائق: صفحة 64.

* الأنبياء : ما جاء به الأنبياء.

** حتى يكون الكل : أو حتى يتم كل شيء. من المحتمل جداً أن هذه العبارة تدل على بزوغ فجر الإسلام حيث تكتمل به رسالات الله سبحانه وتعالى إلى البشر كافة، والله أعلم.

(32) ملاحظة مهمة : مع أن النصين السابقين منقولان من الإنجيل نفسه ـ إنجيل متى ـ ومن أرقام الإصحاحات والفقرات نفسها، إلا أنهما من نسختين مختلفين من كتبهم المقدسة. لذا يجد القارئ في هذين النصين، ثلاثة عشر اختلافاً في الكلمات، أو التقديم والتأخير، ومع ذلك فلا زال رجال =

وجاء في إنجيل لوقا 17/16، أن السيد المسيح قال : "ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس".

التحذير من مدعي النبوة :

جاء في إنجيل متى 15/7 و16، أن السيد المسيح حذر تلاميذه قائلاً: "احذروا الأنبياء الدجالين الذين يأتون إليكم لابسين ثياب الحملان، ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة".

وجاء في إنجيل متى 11/24، أن السيد المسيح قال لتلاميذه : "ويظهر كثيرون من الأنبياء الدجالين ويضللون كثيرين".

وجاء في إنجيل متى 4/24 و5، أن السيد المسيح قال لتلاميذه : "انتبهوا لا يضللكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو المسيح، فيضلون كثيرين".

ديانة خاصة ببني إسرائيل :

نظراً إلى أن رسالة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كانت موجهة إلى قومه بني إسرائيل، وكانت متممة ومكملة لرسالة موسى عليه السلام، لذا لم يدع السيد المسيح أو يبشر غير قومه بني إسرائيل.[33]

ولهذا السبب ، لم يكن لرسالته اسم علم تُعرف به أثناء حياته، وحتى بعد رفعه لمدة خمس وعشرين سنة تقريباً، كما يبدو ذلك جلياً في النصوص التالية:

1. جاء في أعمال الرسل 1/11 "وسمع الرسل والإخوة في (منطقة) اليهودية، أن غير اليهود أيضا، قبلوا كلمة الله". لاحظ عبارة : غير اليهود قبلوا كلمة الله، ولم يقل عنهم، أنهم دخلوا في المسيحية.

= الدين المسيحي، يتمسكون بمقولة أن مؤلفي الأناجيل الأُربعة، قد كتبوها بوحي وإلهام من الروح القدس، وأنه لم يطرأ عليها أي تغيير أو تحريف، منذ أن أُلفت وإلى يومنا هذا !!!.

(33) انظر صفحة 53 وما بعدها من المبحث الثاني.

2. وجاء في أعمال الرسل 45/10 "فدهش المؤمنون اليهود الذين جاؤا برفقة بطرس (كبير تلاميذ المسيح)." لاحظ عبارة : المؤمنون اليهود، أي اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح عليه السلام، ولم يقل عنهم المسيحيين.

3. وجاء في أعمال الرسل 1/15 "وجاء بعض اليهود الذين كانوا قد آمنوا بالمسيح ، من منطقة اليهودية إلى أنطاكية، وأخذوا يُعلمون الإخوة قائلين: لا يمكنكم أن تخلصوا ما لم تختتنوا حسب شريعة موسى".

لاحظ عبارة: اليهودالذين كانوا قد آمنوا بالمسيح، ولم يقل عنهم المسيحيين.

4. جاء في أعمال الرسل 1/9 و2 عن شاول بعد رفع المسيح "فذهب إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق، لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق". يقصد بأتباع هذا الطريق : أتباع السيد المسيح عليه السلام.

لاحظ أن الكاتب لم يطلق عليهم اسم المسيحيين، لأن هذا الاسم لم يكن قد عُرف، أو أُطلق على أتباع السيد المسيح، ولا اسم المسيحية على رسالته.

إطلاق اسم المسيحيين لأول مرة :

نظراً لعملية التطوير والتحريف التي تعرضت لها رسالة السيد المسيح عليه السلام، والتي بدأت في فترة مبكرة جداً بعد رفعه، تقدر ما بين ثلاث إلى خمس سنوات على وجه التقريب، على مراحل وبوتيرة متسارعة جداً، بقيادة شاول (بولس)، تم خلالها إدخال العقائد والشرائع والفلسفات الوثنية اليونانية وغيرها، إلى صُلّب رسالة السيد المسيح.

فكان من الطبيعي أن يلاحظ الوثنيون من أهالي مدينة أنطاكية وغيرهم، أن هناك تغيراً واضحاً أخذ يطرأ على تلك الجماعة، التي أخذت تتكون من اليهود والوثنيين الذين تهودوا طبقاً لتعاليم بولس، وتميزهم بوضوح عن

بقية اليهود المتمسكين بدينهم اليهودي، والمتعصبين لعاداتهم وتقاليدهم، والمحافظين على الختان وتحريم أكل لحم الخنزير وذبائح الوثنيين، وعدم الاختلاط والتزاوج مع الوثنيين، أو دخول بيوتهم أو الأكل معهم.

فأطلقوا على تلك الجماعة اسم المسيحيين ـ نسبة إلى السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ـ كما جاء في أعمال الرسل 26/11 "وفي أنطاكية، أُطلق على تلاميذ الرب* أول مرة اسم المسيحيين".

وذلك بعد رفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بحوالي خمس عشرة إلى خمس وعشرين سنة على وجه التقريب، أي ما بين عامي ثمانية وأربعين، إلى ثمانية وخمسين للميلاد على وجه التقريب.

السيد المسيح وأمه وأتباعه لم يكونوا مسيحيين :

قد يُدهش القارئ غير الملم بهذا الموضوع ـ مسيحياً كان أم غير مسيحي ـ إذا أُخبر أن السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وأمه مريم وتلاميذه ـ حوارييه ـ وجميع الذين آمنوا به وبرسالته من اليهود ،لم يكونوا مسيحيين بالمعنى المعروف لهذا الاسم اليوم، ولم يكن يطلق عليهم اسم مسيحيين، كما سبق تفصيله.

مما تقدم ذكره، يظهر لنا بكل وضوح، أن إطلاق اسم المسيحية على رسالة السيد المسيح، واسم المسيحيين على أتباعه أثناء حياته أو بعد رفعه لمدة ربع قرن تقريباً، يعد خطأً دينياً وتاريخياً، بالإضافة إلى أنه يساهم في خلط الصورة وتشويهها وتعقيدها، بين رسالة السيد المسيح وأتباعه من بني إسرائيل من جهة، والديانة المحرفة التي أُطلِقَ عليها بعد رفعه اسم المسيحية، وعلى أتباعها اسم المسيحيين من جهة أخرى.

---

* تلاميذ الرب: يقصد بالتلاميذ، الحواريين، ويقصد بالرب في عقيدتهم، السيد المسيح عليه السلام.

انظر وتأمل في دقة تعبير (شارل جنيبر) عندما استخدم عبارة: المسيحية، في فترة مبكرة، قبل أن يُطلق عليها هذا الاسم "وإن ما نسميه هنا بالمسيحية، ونكاد في هذه التسمية نسبق سياق التاريخ".[34]

انفصال المسيحية عن اليهودية:

نظراً لرفض اليهود ـ الذين لم يؤمنوا برسالة السيد المسيح ـ انضمام الوثنيين من اليونانيين والرومانيين وغيرهم إلى دينهم، وإدخالهم إلى كنائسهم ومنازلهم.

ونظراً لرفض اليهود ـ الذين آمنوا برسالة السيد المسيح ـ للتطوير والتحريف الذي أدخله بولس الرسول، على رسالة السيد المسيح، والمتمثل في إدخال الفلسفات اليونانية، والعقائد والعادات والتقاليد الرومانية الوثنية.

فقد واجهت أولئك الوثنيين المتهودين*، مشكلة الحاجة إلى هوية يستظلون تحت رايتها، بعدما انفصلوا عن قواعدهم الوثنية السابقة. فدفعت تلك العوامل بقوة وإلحاح، إلى انفصال واستقلال هذا الدين الجديد، الذي سُمّي المسيحية ـ الذي أنشأه بولس، الخليط من القيم اليهودية والفلسفات اليونانية، والعقائد والعادات والتقاليد الرومانية الوثنية ـ عن رسالة السيد المسيح عليه السلام، السماوية المُوَحّدة، والموجهة إلى بني إسرائيل فقط لا غير، والقائلة بأن: لا إله إلا الله، وأن عيسى ابن مريم، عبد الله ورسوله إلى قومه بني إسرائيل.

---

(34) المسيحية نشأتها وتطورها : صفحة 93.

* المتهودون: هم الذين اعتنقوا الديانة اليهودية من غير اليهود. وهم في هذه الحالة، الوثنيون الذين اتبعوا الديانة التي دعاهم إليها بولس الرسول، والتي كانت تعرف حتى تلك اللحظة، بأنها ديانة يهودية، وإن دخلها أو شابها التحريف.

يقول (جوستاف لوبون) : "كان القديس بولس مفطوراً على فرط الخيال، وكانت نفسه مملوءة بذكريات الفلسفة اليونانية والأديان الشرقية، فأسس باسم يسوع ديناً، لا يفقهه يسوع لو كان حياً".[35]

وبهذا يتبين لنا بوضوح وجلاء تامين ما يلي :

1. إن الديانة المسيحية الحالية، قد ولِدت وعرِفت بهذا الاسم، بعد رفع السيد المسيح بحوالي خمس عشرة إلى خمس وعشرين سنة على وجه التقريب،كما أنها ترعرعت في أحضان الإمبراطورية الرومانية، في بيئة وثنية خالصة، وبالتحديد في مدن آسيا الصغرى ـ تركيا ـ واليونان وروما نفسها، على يد اليهودي شاول، الذي سُمي بولس الرسول.

2. إن شاول اليهودي (بولس الرسول) هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية الحالية، وواضع أسسها وقواعدها، وأنها تنتسب إليه قولاً وعملاً، وليس إلى السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وإن كان اسمها المسيحية، نسبة إلى السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

يقول الشيخ (محمد أبو زهرة) : «وإن لبولس هذا لشأناً في المسيحية، فهي تُنسب إليه أكثر مما تنسب لأحدٍ سواه». [36]

جواب السيد المسيح على سؤال الله سبحانه وتعالى له :

جاء في سورة المائدة آية 116 و117، أن الله سبحانه وتعالى سيسأل ـ وهو أعلم ـ عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، إن كان قد ادعى الألوهية ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ

(35) حياة الحقائق: صفحة 63.

(36) محاضرات في النصرانية: صفحة 69.

إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

أي من الألقاب الثلاثة لا يمكن نقضها؟

1. ادعى اليهود أن يسوع ـ السيد المسيح ـ ابن سفاح، وأن أباه يوسف النجار.
2. وادعى المسيحيون ـ بعد رفع السيد المسيح ـ أن يسوع إلهاً وابناً لله.
3. والمسلمون يقولون : إنه عيسى ابن مريم، كما جاء في القرآن الكريم ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَۖ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سورة مريم آية 34 و35.

انظر بتمعن إلى أي من الألقاب الثلاثة، المنسوبة إلى السيد المسيح عليه السلام، التي لا يمكن نقضها، أو أن يماري فيها أحد، سواء كان من اليهود أو المسيحيين وغيرهم.

سورة مريم آية 34 ﴿يَمْتَرُونَ﴾ : يَشكّون، يختصمون ويختلفون.

خاتمة المبحث

أولاً: تعرضت رسالة السيد المسيح وشخصه عليه السلام ـ بعد رفعه ـ إلى عملية تشويه وتحريف واسعة وعميقة وبالغة التأثير، نقلتها من رسالة سماوية موحدة وبسيطة ومحلية، متممة ومكملة لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة إلى بني إسرائيل لا غير، إلى ديانة عالمية مشركة، ذات عقائد وشعائر وطقوس وثنية، وأسرار غامضة ومعقدة.

وقد استغرقت هذه العملية ـ تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح بعد رفعه ـ فترة زمنية طويلة تربو على ستة قرون، مرت خلالها بأربع مراحل رئيسية ومهمة.

ويلاحظ أن كل مرحلة من تلك المراحل الأربع، التي مرت بها عملية تحريف رسالة السيد المسيح، تتميز بسمات وخصائص، تختلف عن سمات وخصائص المرحلة التي سبقتها، والمرحلة أو المراحل التي ستليها.

ثانياً: يبدو أن انتهاء حياة السيد المسيح عليه السلام، فجأة وبأسلوب عنيف ـ بالقتل على الصليب حسب اعتقادهم ـ قد سبب صدمة نفسية عنيفة وعميقة، في نفوس تلاميذه وغيرهم من أتباعه.

كما أن أعداءه من اليهود، لابد أنهم قد انتشوا بنصرهم بقتله على الصليب ـ حسب اعتقادهم ـ فركزوا جهودهم للقضاء على تلاميذه، لاجتثاث دعوته من جذورها وإيقاف انتشارها. وقد ساعدهم على ذلك، أنه لم يكن من بين تلاميذ السيد المسيح أو أتباعه، عالم واحد من علماء الدين، أو مثقف واحد، أو واحد من أصحاب الثروة أو الجاه، ممن يمكن أن يلاذ بهم في الملمات. فقد كان العامل المشترك بينهم، هو الضعف والفقر المادي والنفسي، فكانوا كالغنم التي فقدت راعيها

في أرض مسبعة، لذا فقد كان نجاحهم في سعيهم لنشر رسالته بعد رفعه، محدوداً للغاية، ولم يكن باستطاعة أيٍ منهم، مواجهة اليهودي شاول (بولس الرسول) المحنك والداهية.

ولهذه الأسباب مجتمعة، فقد أصبحت الفرصة سانحة ومواتية، والباب مفتوحاً على مصراعيه، للبدء في تحريف وتشويه رسالة السيد المسيح وشخصه الكريم.

ثالثاً : برفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ـ أو قتله على الصليب حسب زعمهم ـ تكون رسالته إلى قومه بني إسرائيل قد انتهت كما سبق بيانه.

وهو كرسول من الله سبحانه وتعالى، ليست لديه الصلاحية ولا القدرة أن يُعيّن أو يوحي إلى أحد برسالة ولا بإنجيل، فالوحي يأتي من الله سبحانه وتعالى، وليس من أي من رُسُلِه، وإن أي ادعاءٍ من أي كان يخالف هذا، فهو محض اختلاق.

رابعاً: بدأت المرحلة الأولى من عملية تحريف وتشويه رسالة السيد المسيح عليه السلام، بالتحول المفاجئ (لشاول) اليهودي الأصولي الداهية، من عدو شرس ومتطرف للمسيح وأتباعه، إلى رسول مرسل من قبل يسوع ـ ابن الله، تعالى الله عما يصفون ـ وأنه أوحى إليه إنجيلاً حسب زعمه، ليبشر به الوثنيين، وتسمى (بولس الرسول) وبهذا أصبح لديه سلطات تشريعية وتنفيذية كاملة، لوضع ما يشاء من العقائد، ويحلل ويحرم ما يريد.

خامساً: حوَّل (بولس) السيد المسيح، من نبي مرسل من الله سبحانه وتعالى، برسالة محلية إلى قومه بني إسرائيل، تابعة ومتممة لرسالة موسى عليه السلام، إلى ابنٍ لله، وأنه تجسد بهيئة بشرية ونزل إلى الأرض، لكي

يُهان ويُصلب ويُقتل على الصليب وهو راضٍ، ليكون هو الأضحية أو الفادي أو المُخَلِّص، الذي يفدي ويخلص البشرية جمعاء بنفسه، من خطيئة أبويها آدم وحواء، التي توارثتها منهما، لكي يصالحها مع الله، ويرضى ويغفر لها ولمن يؤمن بهذه العقيدة، التي سموها الخطيئة أو المعصية الأولى، وأنه بعد أن دُفن في القبر لمدة ثلاثة أيام بلياليها، قام من الموت وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الآب ـ الله عز وجل ـ وأنه سيعود إلى الأرض مرةً ثانيةً، ليحاسب الأحياء والأموات.

وقدَّمه على هذه الصورة إلى الوثنيين، من رعايا الإمبراطورية الرومانية، الذين يؤمنون بتعدد الآلهة، ونزولها إلى الأرض، وحياتها بين الناس وهي على هيئة بشرية، وبالتالي فلم يكن لديهم أي مشكلة أو تحفظ، في قبول وإضافة السيد المسيح عليه السلام، كأحد الآلهة الذي نزل من السماء، وعاش بين الناس وقتل على الصليب...إلخ، إذ إنها مألوفة لهم وقريبة من أفهامهم ومعتقداتهم، ولا تحتاج إلى بذل الجهد في إقناعهم بها.

سادساً: وفي الوقت نفسه، أخذ (بولس) يبتعد ـ شيئاً فشيئاً ـ بالدين الذي أخذ ينشئه، عن التوراة وشرائعها، حيث إنها لا تتناسب مع طبيعة وعقائد وتقاليد أولئك الوثنيين، من الأوروبيين وغيرهم، فبدأ بإلغاء شريعة الختان عن الوثنيين الذكور، وحلل لليهود أكل ذبائح الوثنيين، وأكل لحم الخنزير، والزواج المختلط بين اليهود والوثنيين، كما ألغى جميع أنواع الطهارة الجسدية، وفي الملبس والمسكن...إلخ، والتي تتشدد بها التوراة، والتي لا تناسب الوثنيين الوسخين، وذلك لكي يسهل عليه جلبهم إلى الدين الذي أخذ ينشئه، على أنقاض رسالة السيد المسيح عليه السلام.

واستمر (بولس) في تنزيلاته الدينية لرسالة السيد المسيح، حتى وصل إلى مرحلة ألغى فيها العمل بالتوراة وشرائعها عن بكرة أبيها.

سابعاً: نتيجة لتلك التغييرات والتحريفات العميقة، التي أحدثها شاول (بولس الرسول) على رسالة السيد المسيح عليه السلام، فقد لاحظ الوثنيون من أهالي مدينة أنطاكية، أن هناك تغيراً واضحاً أخذ يطرأ على تلك الجماعة، التي أخذت تتشكل من اليهود والوثنيين الذين تهودوا ـ طبقاً لتعاليم بولس الرسول ـ وتميزهم، فلاهم يماثلون اليهود المتمسكين بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم اليهودية، ولاهم من جماعتهم الوثنيين، إنما هم خليط من هذا وذاك.

فأطلقوا على هذه الجماعة اسم المسيحيين ـ نسبة إلى السيد المسيح عليه السلام ـ وذلك بعد رفع السيد المسيح عليه السلام، بحوالي خمسة عشر، إلى خمسة وعشرين عاماً على وجه التقريب، أي فيما بين سنة ثمان وأربعين، وثمان وخمسين للميلاد تقريباً.
حتى جاء الوقت الذي تم فيه انفصال هذه الديانة ـ المسيحية ـ عن أصولها في الديانة اليهودية.

ثامناً: وبهذا أنشأ بولس ديناً وثنياً مشركاً وعالمياً، على أنقاض رسالة السيد المسيح الموحدة والمحلية. وبذلك يعتبر شاول (بولس الرسول) هو المؤسس الحقيقي، وواضع بذرة الديانة المسيحية الحالية بعقائدها وشعائرها وطقوسها الوثنية، وأنها تنتسب إليه، وليس إلى السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وإن كان اسمها المسيحية.

تاسعاً: مع تمتع شاول (بولس الرسول) بصفات ومؤهلات ذهنية وقيادية عديدة، إلا أنه من العسير تقبل فكرة، أنه قام بكل ذلك منفرداً، من دون دعم ومساعدة من أطراف أخرى.

أسئلة على ما ورد في المبحث الثالث

1. ما الآثار التي ترتبت على انتهاء حياة السيد المسيح، فجأة وبأسلوب عنيف ـ بالقتل على الصليب حسب اعتقاد اليهود والنصارى ـ ؟

أ. بالنسبة لتلاميذ السيد المسيح.

ب. بالنسبة لليهود المعادين للسيد المسيح.

2. ما المدة التي استغرقتها المرحلة الأولى من عملية تحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام ؟

3. ما عدد المراحل التي مرت بها عملية تحريف وتشويه رسالة السيد المسيح عليه السلام ؟

4. متى بدأت ومتى انتهت المرحلة الأولى من عملية تحريف وتشويه رسالة السيد المسيح ؟

5. من هو شاول أو بولس الرسول ؟

6. هل كان شاول من أتباع السيد المسيح أثناء حياته ؟

7. لماذا تغير اسمه من شاول إلى بولس الرسول ؟

8. ما دور شاول أو بولس الرسول في المسيحية الحالية ؟

9. اذكر أهم ثلاث صفات لشاول أو بولس الرسول ؟

10. بأي صورة قدم شاول أو بولس الرسول، السيد المسيح ؟

11. ما المقصود بكلمة كنيسة ؟

12. ما الخطيئة الأولى أو الأصلية ؟

13. ما العقوبات التي فُرِضَت على آدم وحواء، حسب ما يعتقده المسيحييون؟

14. أ. ما أهمية موضوع الخطيئة الأولى أو الأصلية، في العقيدة المسيحية الحالية ؟

ب. كيف حُلت مشكلة الخطيئة الأولى أو الأصلية، حسب ما يعتقده المسيحييون؟

15. أ. هل تنتمي الديانة المسيحية الحالية، إلى رسالة السيد المسيح ؟

ب. إذا كان الجواب بالنفي، فإلى من تنتمي ؟

16. ماذا يمثل صلب وقتل المسيح على الصليب للمسيحيين، حسب اعتقادهم ؟

17. أ. من هو الفادي أو المخلص حسب اعتقاد المسيحيين ؟

ب. ماذا يفدي أو يخلص ؟

المبحث الرابع

دور الإمبراطورية الرومانية في عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح، في المرحلتين الثانية والثالثة

تمهيد :

للإمبراطورية الرومانية دور مهم وعميق جداً، في عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

ويتمثل هذا الدور الروماني المهم والسلبي والهدام، في المرحلتين الثانية والثالثة من مراحل التحريف الأربع، التي تعرضت لها رسالة السيد المسيح عليه السلام. وهما مرحلتان متضادتان ومتناقضتان مع بعضهما أشد التناقض، ولكنهما تصبان في مجرىً واحدٍ، وهو تشويه وتحريف رسالة المسيح عليه السلام.

المرحلة الثانية :

بدأت هذه المرحلة، في سنة سبع وستين للميلاد، واستمرت حتى سنة ثلاثمائة وثلاث عشرة للميلاد، أي لمدة قرنين ونصف تقريباً.

وتتمثل هذه المرحلة، في تهيئة الإمبراطورية الرومانية ــ من دون قصد ــ الظروف الملائمة لتحريف رسالة السيد المسيح، وذلك بالبطش بكل قسوة وضراوة بالمسيحية والمسيحيين، باعتبارهم خارجين عن القانون العام للدولة.

المرحلة الثالثة :

بدأت هذه المرحلة في سنة ثلاثمائة وثلاث عشرة للميلاد، واستمرت حتى سنة ثلاثمائة وثمانين للميلاد، أي أن هذه المرحلة استغرقت سبعة وستين عاماً. وتتمثل هذه المرحلة في دعم وتثبيت الإمبراطورية الرومانية لذلك التحريف، وفرضه بقوة القانون دعماً للاستقرار والأمن الداخلي، وانتهت باعتناق الإمبراطورية الرومانية للديانة المسيحية التي ساهمت بقوة في تحريفها، ثم أجبرت الناس بحد السيف على اعتناقها.

المرحلة الثانية من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح

بدأت المرحلة الثانية من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح عليه السلام، في عهد الإمبراطور (نيرون) في سنة سبع وستين للميلاد، واستمرت حتى عهد الإمبراطور (قسطنطين الأول) في سنة ثلاثمائة وثلاث عشرة للميلاد، أي لمدة قرنين ونصف تقريباً.

وتتمثل هذه المرحلة ـ كما سبق القول ـ في تهيئة الإمبراطورية الرومانية (من دون قصد) الظروف الملائمة لتشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح ، وذلك بالبطش بكل قسوة وضراوة بالمسيحية والمسيحيين، باعتبارهم خارجين عن القانون العام للدولة.

وفيما يلي : مدخل لأهم الأسباب والتداعيات التي أدت إلى تلك الأحداث العنيفة المؤسفة.

أولاً ـ أهمية الدين عند الرومان :

كان الدين في الإمبراطورية الرومانية يعد أحد أهم مكونات الدولة، ولم تكن السلطات الرومانية تفرق بين الدين والمواطنة، وكانت تبذل قصارى جهدها لإرضاء آلهة الدولة الرسمية، بتشجيع المواطنين الرومان بالتعبد لها، وتقديم الأضاحي والقرابين، لتحفظهم وتحميهم وتدفع عنهم السوء، وتصون إمبراطوريتهم.

ولكي تستبقي تلك الآلهة في مدينة روما فلا تغادرها إلى بلد آخر، فقد كانت تنظر إلى الآلهة نظرتها إلى الأبطال القوميين.[1]

وكان الدليل على صدق إيمان المواطنين الرومان ومحبتهم لدولتهم، تتمثل في انضمامهم إلى المواكب الدينية في أبهى حلة، واشتراكهم في أداء

(1) كما جاء تفصيله في صفحة 21 و22 من المبحث الأول.

الطقوس وذبح الأضاحي والقرابين للآلهة، وحرق البخور لها في المعابد.

وكان المسؤولون الرومان يعتقدون أنه كلما كثر عدد العابدين لتلك الآلهة، كانت أكثر استعداداً ورغبة في أن تكافئ الشعب الروماني وتسبغ عليه حمايتها ونعمها، ومن هنا جاءت الأهمية القصوى لدين الدولة الرومانية الرسمي، ووجوب مشاركة جميع المواطنين الرومان في الطقوس الرسمية، التي كانت تقيمها الدولة في أيام الأعياد الكبرى، فلم تكن السلطات الرومانية تتساهل فيما ينتقص من قيمة أو قدر أو هيبة آلهة الدولة الرسمية.

ومن مظاهر تقديرها لآلهتها، كان أول شيء يقوم به القائد الروماني المنتصر عند عودته إلى مدينة روما، أن يتوجه مباشرة إلى معبد الإله (جوبيتر) والإله (مارس) ليقدم لهما الأمجاد التي تحققت بفضلهما بأيدي الرومان. [(2)]

وكان يتجسد في شخص الإمبراطور الروماني ومركزه وسلطته، قوة وهيبة الإمبراطورية الرومانية وجبروتها، لذلك كان الإمبراطور يحاط أثناء الاحتفالات العامة والمواكب الرسمية بمظاهر التكريم والتعظيم، من حشود المرافقين، والمشاعل التي تتقدم موكبه، وحرق البخور أمامه، إلى آخر ما هنالك من مظاهر الأبهة، التي كانت تأخذ نمط الطقوس الدينية. [(3)]

ثانياً ـ الدين المسيحي:

لم يكن الرومان يعرفون عن الدين الجديد ـ الذي سَيُدعى المسيحية فيما بعد ـ إلا أنه امتدادٌ للديانة اليهودية المنغلقة على نفسها، وكان القانون الروماني يتسامح مع اليهود، ويعفيهم من تقديس الإمبراطور، وحرق البخور عند تمثاله، وقد نال النصارى في أول أمرهم هذه الميزة، لأنه لم يكن من

(2) كما جاء تفصيله في صفحة 21 و22 من المبحث الأول.

(3) كما جاء تفصيله في صفحة 24 و25 من المبحث الأول.

المستطاع التفريق بينهم وبين اليهود ـ كجنس ودين ـ إلا أن التسامح بين الطرفين كان مشوباً بالحذر. (4)

وعندما بدأ (بولس الرسول) وأتباعه من اليهود ـ ذوي الخلفية الدينية اليهودية ـ يبشرون بدينهم خارج فلسطين، في مدن وقرى الإمبراطورية الرومانية، في بلاد الشام وآسيا الصغرى ـ تركيا ـ وجزر شرق البحر الأبيض المتوسط، واليونان ومنطقة البلقان، حتى وصل نشاطهم إلى روما نفسها.
لاحظت السلطات الرومانية أن هذا الدين الجديد، أخذ يجذب أعداداً كثيرةً من مواطني المستعمرات الرومانية، بالإضافة إلى المواطنين الرومان أنفسهم.
كما لاحظت أن هذا الدين يناصب عقائد وآلهة وأنظمة الدولة العداء، ولم يعد أتباعه من غير اليهود يتعبدون لآلهة الدولة، ولا يقدمون الأضاحي والقرابين لها، كما لم يعودوا يقدسون الإمبراطور الروماني ولا يحرقون البخور عند تمثاله، كما كانوا يفعلون سابقاً.

وكان النصارى ـ كأقلية ـ ينظرون إلى أنفسهم كشيء منفصل عن الأكثرية الوثنية، فقد كانوا يتجنبون الاختلاط بهم ومصاهرتهم ـ ولا زال هذا ديدنهم كأقليات ـ وأصبح ولاؤهم وطاعتهم لقساوستهم أقوى من ولائهم وطاعتهم للسلطات الرومانية، حتى إنهم كانوا يعرضون مشاكلهم التي كانت تنشب بينهم على قساوستهم، بدلاً من عرضها على السلطات الرومانية، وأخذ قساوستهم يحثونهم على عدم الانضمام إلى الجيش الروماني، كما شجعوا المنضمين إلى الجيش، بعصيان أوامر رؤسائهم، لأنهم كفار بنظرهم*.

---

(4) قصة الحضارة : ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 370 و371.

* يستغرب المسلم، عندما يصف رجال الدين المسيحي، الرومان بأنهم كفار، في الوقت الذي أشركوا فيه بالله سبحانه وتعالى، وجعلوا له ابناً. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ سورة النساء آية 48. وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة لقمان آية 13 .

فقد كان النصارى يدينون بالولاء للمسيح ـ كما كانوا يظنون ـ لا للإمبراطور الروماني.[5] وبهذا تكونت فئة جديدة غير معروفة على الساحة في الإمبراطورية الرومانية، فلا هي وثنية محضة، ولا هي يهودية خالصة، ولكنها تبدو معادية.

وقد انتهز اليهود ـ الذين لم يؤمنوا بالسيد المسيح ولا برسالته ـ هذه الفرصة، فأوغروا صدر السلطات الرومانية، وأججوه ضد أعدائهم المسيحيين، كما كره المسيحيون، اليهود وعادوهم ـ لأنهم في اعتقادهم قد قتلوا ابن إلههم يسوع على الصليب ـ .

فتوجست السلطات الرومانية من هذا الدين الجديد وأتباعه خيفة، ورأت فيهم خطراً داهماً على السلم والأمن والاستقرار الداخلي، لا يمكن غض النظر عنه أو التساهل معه.[6]
فكان لا بد مما ليس منه بد، فتصدت لهم السلطات الرومانية في عهد الإمبراطور (نيرون) بحزم وعنف، مفتتحةً عهداً من الظلم والبلاء والتنكيل، استمر قرنين ونصف من الزمان.

وعن المرحلة الثانية، يقول الشيخ (محمد أبو زهرة) : "إن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم ويفرون بها أحياناً، ويصمدون للمضطهِدين مستشهدين أحياناً أخرى، وهم في كلتا الحالتين، لا شوكة لهم ولا قوة تحميهم وتحمي ديانتهم وكتبهم، وأنه في وسط هذه الاضطهادات، يذكرون أنه دونت أناجيلهم الأربعة التي يؤمنون بها، ودونت رسائلهم !". [7]

(5) قصة الحضارة: ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 372.

(6) انظر موقف السلطات الرومانية من العقائد والديانات الأجنبية، صفحة 25 وما بعدها من المبحث الأول. وانظر أيضاً قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام : للدكتور توفيق الطويل. صفحة 47 و48 و55 و57. وقصة الحضارة: ول ديورانت الجزء 11، صفحة 370. والروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 32.

(7) محاضرات في النصرانية: صفحة 31.

وكانت أشد المصائب والكوارث التي نزلت بهم، في عهود الأباطرة التالية أسماؤهم :

أولاً ـ الإمبراطور نيرون :



الإمبراطور نيرون

اتهم الإمبراطور الروماني (نيرون) 54 ـ 68م، المسيحيين بإحراق مدينة روما، فبطش بهم وأذاقهم ألوان من العذاب بادءاً بزعمائهم، (بطرس) كبير تلاميذ السيد المسيح ـ حسب وصف الأناجيل له ـ وشاول (بولس الرسول) مُحّرِف رسالة السيد المسيح عليه السلام، وأعدمهما صلباً في مدينة روما في سنة سبع وستين للميلاد.

وكان ذلك إيذاناً بانتهاء المرحلة الأولى من عملية تحريف رسالة السيد المسيح على يد شاول (بولس)، وبدء المرحلة الثانية.

وقد أخذ نيرون يتفنن في تعذيب المسيحيين، فمن ذلك أنه كان يقدمهم طعاماً للكلاب الجائعة، كما استخدم بعضهم كمشاعل، حيث علقهم على أعمدة مدخل قصره، وصب عليهم القار وأشعل النار فيهم ليلاً !!! (8)

ومن يومها أصبحت الديانة المسيحية محرمة، وخارجة على القانون العام للإمبراطورية الرومانية، وعقوبة من يعتنقها الإعدام، واعتُبرت الأناجيل

(8) المصدر السابق صفحة 32. وأضواء على المسيحية: متولي يوسف شلبي. صفحة 24 و25.

التي كانت بيد المسيحيين ـ وكان عددها آنذاك يربو على السبعين إنجيلاً ـ كتباً محرمة، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام، فأخذ المسيحيون يتخلصون مما بحوزتهم من الأناجيل بالإخفاء أو الحرق، خشية تعرضهم للإعدام.

وقد كان ذلك مجرد بداية لمتاعب وشقاء ومحن، ستمتد على مدى قرنين ونصف من الزمان، ستحل بألوف مؤلفة من المسيحيين الأبرياء، وسيتم خلالها قهر واضطهاد واجتثاث المسيحية والمسيحيين، سواء منهم اليهود الذين آمنوا وتمسكوا برسالة السيد المسيح عليه السلام، أو أولئك اليهود والوثنيون المتهودون الذين اتبعوا الديانة المحرفة، التي جاء بها شاول (بولس الرسول).

هذا وكان يتخلل عصور البطش والقهر بعد عهد نيرون، فترات يتوقف فيها التعذيب وينعم فيها المسيحيون بالأمن والأمان، مدة من الزمان قد تمتد إلى عدة سنوات، حسب الظروف الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية.

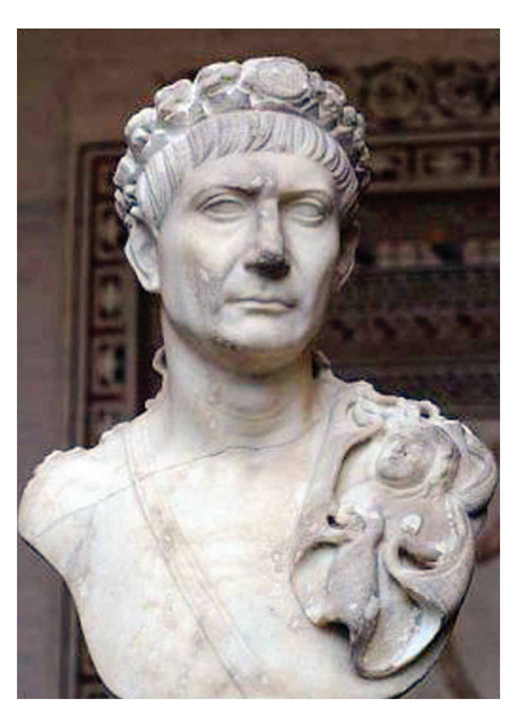
وكان معظم الأباطرة في تلك الفترات، يتغاضون عن تنفيذ حكم الإعدام بحق المسيحيين، وكان بإمكانهم النجاة من العقاب، إذا قاموا بحرق البخور أمام تمثال الإمبراطور كتعبير عن الولاء للدولة، أما الذين يرفضون ذلك، فكانوا يعاقبون بالسجن أو الجلد أو النفي، أو العمل في المناجم، أو بالإعدام في حالات نادرة.[9]

سيكون لهذا البطش والظلم الذي حل بالمسيحيين على مدى قرنين ونصف، آثار عكسية عليهم في مستقبل الأيام، عندما تكون لهم اليد العليا، وسيطبقون ما حاق بهم على يد الرومان بل وأكثر، فيما شجر بينهم من خلاف في الرأي أو العقيدة، وضد غيرهم.

---

(9) للمزيد من التفاصيل عن الإضطهادات التي وقعت على المسيحيين. انظر قصة الحضارة: ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 370 وما بعدها. والروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 33 وما بعدها.

ثانياً ـ الإمبراطور تراجان :



الإمبراطور تراجان

بلغت الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور (تراجان) 98 ــ 117م، أوج اتساعها.[10] وكان المسيحيون كسابق عهدهم، يجتمعون للعبادة خفية خوفاً من الاضطهاد، فأمر (تراجان) بمنع الاجتماعات السرية، وأخذ يبطش بالمسيحيين.[11]

جاء في قصة الحضارة، أن (بلني) الوالي الرومان على منطقة بيثينية، في شمال غرب آسيا الصغرى ــ تركيا ــ كتب إلى الإمبراطور (تراجان) "إن الطريقة التي اتبعتها مع من اتهموا أمامي بأنهم مسيحيون هي هذه : لقد سألتهم هل هم مسيحيون ؟ فإذا اعترفوا بأنهم كذلك، أعدت السؤال عليهم مرة أخرى، وأنذرتهم في الوقت نفسه بأنهم سيقتلون إذا أصروا على قولهم، فإذا أصروا عليها أمرت بقتلهم .... إن الناس بعد أن هجروا المعابد، فلا يكادون يطرقونها، قد أخذوا الآن يعودون إليها .... وكثر الطلب على الضحايا من الحيوانات، بعد أن قل الإقبال على شرائها .... وقد رد عليه (تراجان) بقوله: إن الخطة التي سرت عليها يا عزيزي بلني، في بحث حالات من اتهموا أمامك بأنهم مسيحيون، خطة حكيمة .... يجب ألا تجدَّ

---

(10) انظر خريطة الإمبراطورية الرومانية في عهده، في صفحة 18 من المبحث الأول.

(11) محاضرات في النصرانية: الشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 32. وأضواء على المسيحية: للشيخ متولي يوسف شلبي. صفحة 25. والروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 34.

في البحث عن هؤلاء الناس، ولكن إذا ما بلغت أمرهم وتثبت من جرمهم فعاقبهم، فإذا أنكر الواحد منهم أنه مسيحي وأيد ذلك بالابتهال إلى آلهتنا فاعف عنه، فإذا بلغت عن أحدهم ولم يذكر في البلاغ اسم المتَّهِم فلا تتخذه بينة على أحد". [12]

وفي عهد الإمبراطور (أورليوس) (161 ـ 180م) حلت كوارث طبيعية من فيضانات وأوبئة، بالإضافة إلى الحروب ضد الإمبراطورية الفارسية في الشرق، وضد القبائل الجرمانية في الشمال، وفي بلاد الغال ـ فرنسا ـ فعم الذعر بين الجماهير، وساد الاعتقاد بأن سبب تلك الكوارث، راجع إلى إهمال الآلهة الرومانية، وعدم تقديسها وتقديم فروض العبادة لها.

فأصدر الإمبراطور (أورليوس) مرسوماً في سنة 177م، يقضي بعقاب الأديان التي تثير الاضطراب بين الناس بتلقينها عقائد جديدة، وأن يطلق سراح كل من ينكر مسيحيته، وأن يقتل من يعتنقها. وفي تلك السنة ثارت الجماهير الرومانية الوثنية، ضد المسيحيين في فينا وليون ـ جنوب فرنسا ـ ورجموا كل من تجرأ بالخروج من منزله، وفي أحد الاحتفالات في ليون أُحْضِر المتهمون بالمسيحية إلى المدرج، ووجهت إليهم الأسئلة، فمن أنكر مسيحيته أفرج عنه، ومن أصر عليها، وكان عددهم سبعة وأربعين، فقد عذبوا ثم قتلوا. [13]

(12) ول ديورانت. الجزء 11. صفحة 373 و374.

(13) المصدر السابق صفحة 375.

ثالثاً ـ الإمبراطور ديسيوس* :



الإمبراطور ديسيوس

في عهد الإمبراطور الروماني (ديسيوس) 249 ـ 251م، انهمكت الإمبراطورية الرومانية في صد هجمات البرابرة ـ قبائل بدائية من شمال وشرق أوروبا ـ الذين توغلوا في أراضي الإمبراطورية، مما انعكس سلباً على الأوضاع الأمنية، والذي أدى بدوره إلى تدهور الأحوال الاقتصادية، بازدياد توغل الأعداء في أراضي الدولة. مما دعا الإمبراطور (ديسيوس) إلى تفسير كل ذلك، بأنه إشارة إلى غضب آلهة الإمبراطورية الرومانية بسبب إهمال شعوب الإمبراطورية لها.

وجاء في قصة الحضارة، أنه في هذه الأثناء اجتاحت الإمبراطورية موجه من النشوة الدينية الوطنية القوية في عام 249م، وأخذ الناس يهرعون إلى المعابد يصلون ويتضرعون إلى الآلهة لكي تنقذهم من الأعداء، بينما أخذ

---

* يقال إن قصة أصحاب الكهف، التي وردت في القرآن الكريم في سورة الكهف، قد وقعت بدايتها أثناء حكم الإمبراطور الروماني ديسيوس، الذي يطلق عليه أيضاً دقيانوس، الذي بطش بالمسيحيين واليهود، مما أدى إلى هروب أولئك الفتية ـ أصحاب الكهف ـ الموحدون الذين آمنوا بربهم إيماناً خالصاً من الشرك، من وجه ذلك الظالم. انظر الموسوعة القرآنية الميسرة للدكتور وهبة الزحيلي وآخرون.

وعليه لو افترضنا أن أولئك الفتية قد هربوا من وجه ذلك الظالم ودخلوا إلى الكهف في سنة 250م، وناموا ثم بعثوا بعد 300 سنة ميلادية، فيكون مبعثهم من رقدتهم في سنة 550م، والله أعلم.

المسيحيون موقفاً سلبياً وكأن الأمر لا يعنيهم، مع استمرارهم في موقفهم من عدم الانضمام إلى الجيش، بالإضافة إلى سخريتهم من آلهة الرومان.

فانتهز الإمبراطور (ديسيوس) الفرصة، للاستفادة من حالة الشعب النفسية، لتقوية الحماسة الوطنية والوحدة القومية، فأصدر مرسوماً فرض فيه على جميع سكان الإمبراطورية، بمن فيهم اليهود والمسيحيون، بالتوجه إلى المعابد الرومانية، وتقديم القرابين للآلهة ليردوا بها غضبها، والتوسل إليها لإنقاذ روما من الأخطار المحدقة بها ــ كما كانت تفعل سابقاً ــ وقد استجابت أعداد كثيرة من المسيحيين لهذا الأمر، وكانت عقوبة من يمتنع عن ذلك، أن يكون هو القربان أو الضحية، وقد أعدم أساقفة روما وتولوز وأورشليم وأنطاكية، وزُج مئات من المسيحيين في السجون، وأعدم كثيرون بقطع رؤوسهم أو حرقهم، كما ألقي بعضهم إلى الوحوش في حفلات الأعياد.
كما حُظِرت الاجتماعات العامة ــ لمنع المسيحيين من الصلاة ــ وصدرت الأوامر بإحراق الكتب المسيحية المقدسة (الأناجيل) وإعدام من توجد بحوزته.[14] لاحظ أنه كان من بين المسيحيين موحدون يتبعون تعاليم السيد المسيح وليس تعاليم بولس، ولكنهم أُخِذوا بجريرة غيرهم .

وفيما نزل بالمسيحيين من قهر واضطهاد في عهد الإمبراطور (ديسيوس)، يقول بطريرك كنيسة الإسكندرية : "لم نكد نتنفس الصعداء، حتى حلق بنا الخوف وحفَّنا الخطر، عندما بدل ذلك الملك الذي كان أرق جانباً، وأقل شراً من غيره، وجاء مكانه ملك آخر، ربما لا يجلس على كرسي المملكة حتى يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا. وقد تحقق حدسنا، عندما أصدر أمراً شديد الوطأة، فعم الخوف الجميع، وفر بعضهم، وقد أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة، مهما يكن ذكاؤه، وكل مسيحي يرشد عنه، يؤتى به على عجل،

---

(14) ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 377. والروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 34 و35.

ويقدم إلى هيكل الأوثان، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة، بعد أن يجتهدوا في حمله بالترهيب... ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته واقتدى به البعض، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار، أو من زج به في غيابات السجون". [15]

ويضيف الشيخ (محمد أبو زهـرة): إن من بين الذين فـروا، بطريرك كنيسة الإسكندرية نفسه "وقد كتب يعتذر عن ذلك، إلى بعض من أبلوا بلاء حسناً ولم يلوذوا بالفرار. ولم يكن البلاء مقصوراً على مصر، بل كان يتتبع المسيحيين، في الدولة الرومانية حيثما ثقفوا، وأينما كانوا". [16]

بعد كل هذا البطش والتنكيل الذي حل بالمسيحيين، فقد قاموا بتوجيه أسلحتهم الدعائية ضد نظام الحكم الروماني، فنددوا بفساده، وبعبادة الأوثان، وسخروا من آلهة الرومان، وكانوا يظهرون الشماتة وعدم المبالاة، حينما كانت تحل الكوارث الطبيعية وغيرها، كما تنبؤا بسقوط الدولة في القريب العاجل.

وجاء في قصة الحضارة أيضاً، أن الدولة ومواطنيها، اتهموا المسيحيين بأنهم سبب تلك الكوارث التي حلت بهم، نتيجة لغضب الآلهة، للسماح للمسيحيين بسبها وعدم تقديرها. [17]

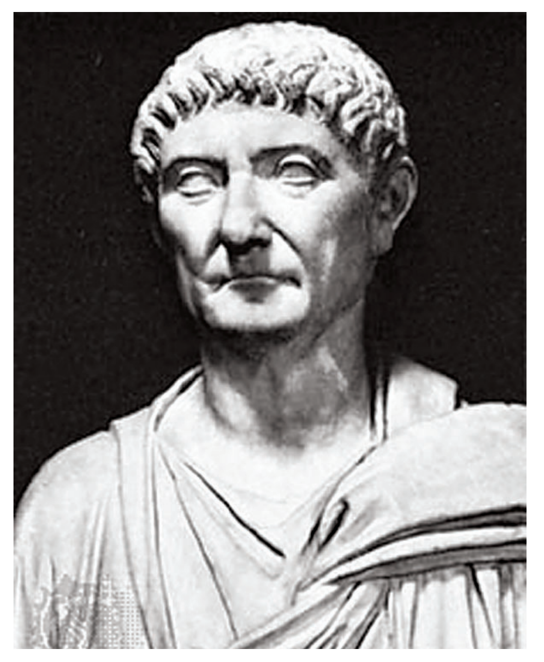
---

(15) محاضرات في النصرانية: للشيخ محمد أبو زاهرة. صفحة 33. نقلاً عن كتاب تاريخ الأمة القبطية، الجزء الأول، ص 104، 105، 106.

(16) المصدر السابق. صفحة 33.

(17) ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 371 وما بعدها.

رابعاً ـ الإمبراطور دقلديانوس:


الإمبراطور دقلديانوس

في عهد الإمبراطور الروماني (دقلديانوس) 284 ـ 305 م، كانت الإمبراطورية الرومانية تواجه مشاكل خارجية، تتمثل في وقف هجوم البرابرة على الحدود الشمالية، ومواجهة أطماع ملك فارس الساساني على الحدود الشرقية للإمبراطورية. ويبدو أن (دقلديانوس) رأى في انتشار النصرانية في الإمبراطورية، عامل تفكك في الجبهة الداخلية، وخطراً على أمن وسلامة الدولة. فأراد أن يعيد إلى الإمبراطورية وحدتها ومناعتها، فأصدر أمراً في سنة 303م، منع بموجبه الاجتماعات الدينية المسيحية، وبهدم الكنائس وحرق الكتب المسيحية وتحريم الدين المسيحي، ومصادرة أملاك المسيحيين وحرمانهم من تولي المناصب العامة في الدولة، ثم أصدر أمراً آخر في السنة نفسها، يقضي باشتراك الكهنة المسيحيين في الذبيحة الوثنية، وبسجن وإعدام من يمتنع عن ذلك.

ثم أصدر الإمبراطور (دقلديانوس) أمراً بإطلاق سراح السجناء المسيحيين، بشرط أن يعبدو الآلهة الرومانية، ومن يمتنع منهم يسلط عليه العذاب، فلما قاوم المسيحيون هذه الأوامر بازدراء، استشاط (دقلديانوس) غضباً من هذه المقاومة، وأمر بالبحث عن كل مسيحي في الإمبراطورية، وإرغامه بكل وسيلة لاسترضاء الآلهة الرومانية.

هـذا ويعتبـر الاضطهـاد الـذي حـل بالمسيحيين فـي عهـد الإمبراطور الرومانـي (دقلديانوس) من أعظم الاضطهادات وأفظعها وأشـد ما مر بالمسيحيين.[18]

ويذكر الشيخ (محمد أبو زهرة) : أنه جاء بعد الإمبراطور (ديسيوس) من أوقع البلاء بالمسيحيين، ولكن الإمبراطور (دقلديانوس) كان أشدهم وأبلغهم أذى وبطشاً بالمسيحيين، وخصوصاً في أقباط مصر، حيث أصدر أمراً بهدم كنائسهم وإحراق كتبهم المقدسة، وبالقبض على أساقفتهم وزجهم بالسجون، وقهر المسيحيين وأجبرهم على إنكار دينهم.

وقد تجاوز عدد الضحايا الأقباط (140000) مائة وأربعين ألفاً، وقدرهم بعض المؤرخين بما يصل إلى (300000) ثلاثمائة ألف نسمة.

ولعظم ما نزل بالأقباط المصريين من شدة وبـلاء، في عهد الإمبراطور (دقلديانوس)، فقد جعلوا بداية حكمه في سنة 284 ميلادية، بداية للتقويم القبطي في مصر. هذا وقد استمر البلاء ينـزل على المسيحيين من أباطرة الـروم، حتى جاء عهد (قسطنطين) يمناً وبركه على المسيحيين، لا على المسيحية.[19]

لقد أدى كل ذلك البطش والقهر والتطهير، الـذي تعرض له المسيحيون، إلى مزيد مـن التشتت والتشرذم والسرية بين الجماعات المسيحية، التي لم يكن يجمع بينها أصلاً، أي نوع من أنواع الترابط أو التواصل أو التنسيق، تحت سلطة أو مرجعية دينية عليا واحـدة، فتقوقعت كل مجموعة على نفسها، وتعلقت بقساوستها ورهبانها، الذين كانـوا يعقدون اجتماعاتهم الدينية خفية، في الكهوف والمغارات والمقابر.

---

(18) الروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 35 و36. وقصة الحضارة : ول ديورانت الجزء 11، صفحة 379.

(19) محاضرات في النصرانية : صفحة 33 و34.

وقد أدت تلك الظروف غير العادية، إلى بروز القساوسة والرهبان، فأصبحوا يمثلون طبقة ممتازة من الوسطاء المقدسين بين الناس وربهم، ولا سلطان ديني عليهم، مما أفرز تأثيرات سلبية عميقة جداً، صبت في اتجاه المزيد من التطوير والتحريف، لما تبقى من رسالة السيد المسيح عليه السلام. كما أدت تلك المحنة الرهيبة التي أصابت المسيحيين، إلى ارتداد، أو تظاهر عدد كبير جداً منهم بالارتداد عن دينهم المسيحي.

انظر بإمعان وتدبر، إلى التحذير المنسوب إلى السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لتلاميذه، بعدم التبشير برسالته لغير بني إسرائيل، كما جاء في إنجيل متى 5/10 و6، و15 ـ 24، وإنجيل يوحنا 11/1، وانظر إلى الثمن الفادح لتلك المخالفة، المتمثل بضياع الإنجيل المنزل على السيد المسيح عليه السلام، وتحريف الرسالة المُوَحّدَة التي جاء بها من عند ربه، وإلى مئات الآلاف من القتلى والمساجين والمشردين.

التأثيرات السلبية في الجبهة الداخلية، وانتهاء المرحلة الثانية من عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح :

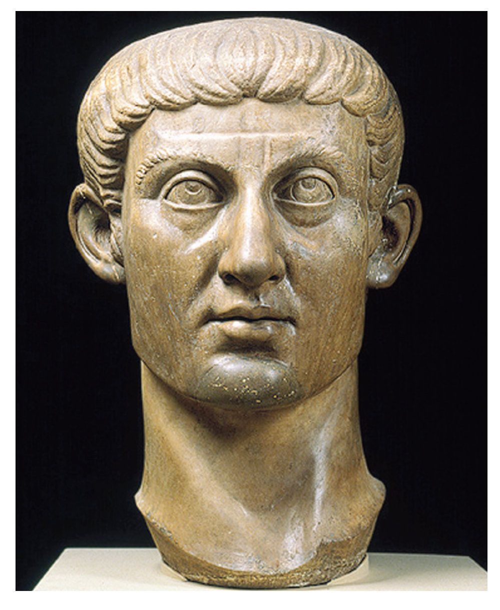
كان لذلك البطش والقهر، الذي تعرضت له المسيحية والمسيحيون، والذي استمر قرنين ونصف، تأثيرات سلبية عميقة مما أدى ـ مع عوامل أخرى ـ إلى تدهور الوضع في الجبهة الداخلية للإمبراطورية الرومانية وتماسكها، مما فرض على السلطات الرومانية، البدء في إجراءات جذرية وعاجلة، لإعادة توحيد الصفوف ولم الشمل، لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية المحدقة بالإمبراطورية، فكان ذلك إيذاناً بانتهاء المرحلة الثانية من عملية تحريف رسالة السيد المسيح.

المرحلة الثالثة من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح

بدأت المرحلة الثالثة من عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام، في عهد الإمبراطور (قسطنطين الأول) في سنة ثلاثمائة وثلاث عشرة للميلاد، واستمرت حتى عهد الإمبراطور (ثيودوسيوس الأول) ، حين اعتنقت الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية ـ التي ساهمت بقوة في تحريفها ـ في سنة ثلاثمائة وثمانين للميلاد، أي أن هذه المرحلة استغرقت سبعة وستين عاماً ميلادية.

وفيما يلي مدخل لأهم الأسباب والتداعيات التي أدت إلى ذلك.

الإمبراطور قسطنطين الأول :



الإمبراطور قسطنطين الأول

عندما تسلم الإمبراطور (قسطنطين الأول) مقاليد الحكم 306 ـ 337م ، رأى أن يوحد الجبهة الداخلية، ليتفرغ لمواجهة خصومه ومنافسيه على السلطة من جهة، والأخطار الخارجية التي كانت تهدد الإمبراطورية من جهة أخرى، فأصدر مرسوماً في سنة 313 م، ألغى بموجبه ملاحقة المسيحيين، وأقر بحقهم في اتباع الدين الذي يرتضونه.

ومع إعلانه أنه انتصر على خصومه بمعونة إله المسيحيين، إلا أنه ترك الحرية لرعاياه باختيار الدين الذي يرتضونه.[20] ـ يبدو أن لأمه هيلانة، التي

(20) الروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 55 و56.

كانت قد اعتنقت المسيحية، تأثيراً في قراره هذا ـ وبهذا القرار يكون قسطنطين قد جدد مرسوماً سبق أن أصدره الإمبراطور (جلاريوس) سنة 311 م. [21]

وبهذا الإجراء، تكون الإمبراطورية الرومانية ممثلة بالإمبراطور الوثني (قسطنطين الأول) قد أنهت المرحلة الثانية من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح، التي اتسمت بالقهر والبطش والتطهير ضد المسيحية والمسيحيين، ودشنت المرحلة الثالثة من عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح، التي اتسمت في استغلال الإمبراطور قسطنطين للمسيحية المثخنة بالجراح، لرص صفوف الجبهة الداخلية وتثبيت حكمه.

حالة المسيحيين عند إعلان المرسوم، وردود أفعالهم:

لما زال سيف القهر والاضطهاد، الذي كان مسلطاً على رقاب المسيحيين منذ قرنين ونصف من الزمان، ونعموا بالأمن والأمان، ورجعوا إلى عقائدهم وشعائرهم، وإذا هم مختلفون في كل شيء، ولم تكن خلافاتهم تدور حول أمور هامشية في الدين، بل كانت تتركز في صُلب عقيدتهم وجوهر دينهم، ولم يكن يجمعهم سوى تعلقهم بشخص السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كنبي من الأنبياء، أو كإله أو ابنٍ لله.

فبدأ الشقاق والتطاحن يظهر بين المسيحيين أنفسهم، بقيادة بطارقتهم وأساقفتهم وغيرهم من كبار رجال دينهم. ويبدو أن من أسباب تلك الخلافات، دخول الوثنيين من الرومان واليونان والمصريين وغيرهم إلى المسيحية المحرفة، التي ابتدعها شاول (بولس الرسول)، فقد جلب كل منهم عقائده الوثنية معه، ومنهم فلاسفة فهموا المسيحية بمقتضى فلسفاتهم السابقة.

"فتكون في المسيحية مزيج غير تام التكوين، غير تام الاتحاد والامتزاج". [22]

---

(21) المصدر السابق صفحة 54.

(22) محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة. صفحة 115.

عقيدة القسيس المصري آريوس :

ومن أهم وأخطر تلك الاختلافات، تصريح القسيس المصري (آريوس) راعي كنيسة بوكاليس في الإسكندرية، بأن الابن ـ السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ـ مخلوق، فأنكر بذلك ألوهية المسيح، فحدث إثر ذلك خلافات حادة بين كبار الأساقفة المصريين في كنيسة الإسكندرية، وانتقل أمر ذلك الخلاف إلى بقية القساوسة والرهبان، وتعداهم حتى وصل إلى العامة.[23]

وفي هذا الشأن يقول (ول ديورانت) :"شهدت الاسكندرية قيام أخطر حركة إلحادية* في تاريخ الكنيسة، ذلك أن قساً مصرياً (آريوس) تقدم إلى أسقفه في حوالي عام 318 م ، بآراء غريبة عن طبيعة المسيح .... وأنه قال: إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئاً واحداً ... وإذا كان الابن من نسل الآب، فلا بد أن تكون ولادته قد حدثت في زمن، وعلى هذا لا يمكن أن يكون الابن متفقاً مع وجود الآب في الزمن ـ أي أن الآب كان موجوداً قبل وجود الابن ـ . يضاف إلى هذا أنه إذا كان المسيح قد خُلق، فلا بد أن يكون خَلقه من لا شيء، أي من غير مادة الآب، لأن المسيح والآب ليسا من مادة واحدة **" .[24]

ويقول (ول ديورانت) :"إن (الكسندر) ـ أسقف كنيسة الإسكندرية ـ ارتاع من هذه الآراء، وارتاع أكثر من سرعة انتشارها بين رجال الدين أنفسهم. ولهذا دعا مجلساً من الأساقفة المصريين إلى الاجتماع في الإسكندرية، وأقنع أعضاءه بأن يحكموا بتجريد (آريوس) وأتباعه، وأبلغ الإجراءات التي اتخذها المجلس إلى سائر الأساقفة، فاعترض عليها بعضهم، وأظهر بعض القساوسة عطفاً على (آريوس)" .[25]

---

(23) الروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 56.

* التوحيد أصبح عندهم إلحاداً.

** لقد فعلت البذرة المسمومة ـ التي بذرها اليهودي شاول (بولس الرسول) ـ فعلها خلال الثلاثة قرون الماضية.

(24) قصة الحضارة: الجزء 11. صفحة 392.

(25) المصدر السابق صفحة 393.

هذا وقد تعدى أمر هذا الخلاف مصر، إلى الولايات الرومانية الشرقية، وتردد صداه بين المجتمعات الوثنية، الذين سخروا من المسيحيين.

ويقول الشيخ (محمد أبو زهرة) عن الأسقف (آريوس) فيما معناه : إنه كان جريئاً قوي الحجة بالغ الأدب، آلى على نفسه مقاومة ادعاء كنيسة الإسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية السيد المسيح، وكان مقراً بوحدانية الله، منكراً ما جاء في الأناجيل مما يوهم بتلك الألوهية.
وكان له أتباع موحدون كثيرون في الإسكندرية، وأسيوط وعلى رأسهم أسقف كنيستها (ميلتوس)، وفي فلسطين ونيقوميدية ـ إزمت في تركيا ـ والقسطنطينية.

فلما تأكد (بطرس) بطريرك كنيسة الإسكندرية من عجزه، وعدم مقدرته على مواجهة آريوس والقضاء على عقيدته بالحجة، لجأ إلى لعنه وطرده من حضيرة الكنيسة، معللاً ذلك برؤيته للمسيح في المنام، وهو يتبرأ من آريوس ويلعنه، حيث قال : "إن السيد المسيح لعن آريوس هذا فاحذروه، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له : يا سيدي من شق ثوبك ؟ فقال لي : آريوس، فاحذروا أن تدخلوه معكم".
فلما أصبح الأسقف (الكسندر) بطريركاً لكنيسة الإسكندرية، حاول ثني آريوس وأتباعه من رجال الدين عن آرائهم، ولما فشل في ذلك عقد مجمعاً لأساقفة كنيسة الإسكندرية، وتم فيه الحكم على آريوس بالحرمان والطرد من الكنيسة، فتوجه آريوس إلى فلسطين. وينقل الشيخ (محمد أبو زهرة) ما قاله ابن البطريق عن آريوس : "كان يقول: إن الآب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن". [26] وينقل الشيخ (محمد أبو زهرة) عن كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه : "الذنب ليس على (آريوس)، بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد هذه البدع، فأخذ هو عنها، ولكن تأثير تلك

(26) محاضرات في النصرانية صفحة 115 و116.

الفئات لم يكن شديداً، كما كان تأثير (آريوس) الذي جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية، حتى انتشر هذا التعليم وعم".[27]

صفات القسيس آريوس :

يذكر (ول ديورانت) وصف مؤرخ كاثوليكي عالم، القسيس (آريوس) وصفاً كريماً فيقول : "كان أريوس طويل القامة، نحيل الجسم، مكتئب المظهر، ذا منظر تبدو فيه آثار خشونة العيش. وكان معروفاً بأنه من الزهاد، كما يستدل على ذلك من ملبسه، وهو جلباب قصير من غير كمين تحت ملحفة يستخدمها عباءة. وكانت طريقته في الحديث ظريفة، وخطبه مقنعة. وكانت العذارى اللاتي نذرن أنفسهن للدين، وهن كثيرات في الإسكندرية، يبجلنه أعظم التبجيل، وكان له من بين رجال الدين عدد كبير من المؤيدين".[28]

ويقول (أسد رستم) عن (آريوس) :"ولسنا نعلم الشيء الكثير عن آريوس هذا، نجهل محل ولادته وتاريخها، كما نجهل تفاصيل فلسفته الدينية، وقد ضاعت رسائله ولم يبق منها إلا مقتطفات يسيرة، جاءت في بعض الردود عليه".[29]

تدخل قسطنطين في النزاع :

فلما علم الإمبراطور (قسطنطين) بأمر هذا الانشقاق هاله الأمر، فاستدعى أسقفاً إسبانياً وكلفه بالسفر إلى الإسكندرية، لمقابلة أسقفها (الكسندر) والقسيس (آريوس) وزوده برسالة شخصية لهما، في محاولة منه لوضع حد لخلافهما العقائدي الذي وصفه بأنه "أمر فلسفي دقيق، لا يستوجب ذلك الاهتمام".[30]

---

(27) المصدر السابق صفحة 116.

(28) قصة الحضارة: الجزء 11، صفحة 392.

(29) الروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 56.

(30) المصدر السابق صفحة 56 و57. ومحاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة صفحة 117.

ويذكر (ول ديورانت) أن قسطنطين أرسل إلى كل من الكسندر وآريوس برسالة شخصية، يدعوهما فيها أن يتخلقا بهدوء الفلاسفة، وأن يوفقا بين آرائهما المختلفة في سلام، فإن لم يفعلا، فلا أقل من أن يخفيا جدلهما عن آذان الجماهير. وفيما يلي نص تلك الرسالة : "لقد اقترحت أن أرد جميع آراء الناس في الله إلى صورة واحدة، لأنى قوي الاعتقاد بأني إذا استطعت أن أوحد أراءهم في هذا الموضوع، سهل على كثيراً تصريف الشئون العامة. ولكني مع الأسف الشديد، أسمع أن بينكما من الخلاف، أكثر مما كان قائما في أفريقية من وقت قريب. ويبدو لي أن سبب هذا الخلاف بينكما، صغير وتافه وغير جدير بأن يثير هذا النزاع الشديد. فأنت يا (الكسندر) تريد أن تعرف رأي قساوستك في إحدى النقاط القانونية، في جزء من سؤال، هو في حد ذاته عديم الأهمية، وأما أنت يا (آريوس) فقد كان الواجب عليك، إذا كانت لديك أفكار من هذا القبيل، أن تظل صامتاً ... ولم يكن ثمة حاجة إلى إثارة هذه المسائل أمام الجماهير ... لأنها مسائل لا يثيرها إلا من ليس لديهم عمل يشغلون به أنفسهم، ولا يرجى منها إلا أن تزيد عقول الناس حدة ... تلك أعمال سخيفة، خليقة بالأطفال عديمي التجربة، لا برجال الدين أو العقلاء من الناس". [31]

إن هذه الرسالة تكشف بوضوح تام، الأهداف السياسية الحقيقية للإمبراطور (قسطنطين)، وإن الدين المسيحي وعقائده، لم تكن تهمة في قليل أو كثير.
يقول (ول ديورانت) عن رسالة قسطنطين : "ولم يكن لهذه الرسالة أثر ما، لأن مسألة اتفاق الآب والابن في المادة لا مجرد تشابههما، كانت في نظر الكنيسة مسألة حيوية من الوجهتين الدينية والسياسية، وكانت ترى أنه إذا لم يكن المسيح إلهاً، فإن كيان العقيدة المسيحية كلها يبدأ في التصدع، وإذا ما سمحت ـ الكنيسة ـ باختلاف الرأي في هذا الموضوع، فإن فوضى العقائد قد تقضى على وحدة الكنيسة وسلطانها، ومن ثم على ما لها من قيمة بوصفها عوناً للدولة". [32]

---

(31) قصة الحضارة: الجزء 11، صفحة 393 و394.

(32) المصدر السابق صفحة 394.

مجمع نيقية [33]

ولما اشتد النـزاع وثارت نيران الخلاف، وأخذت دائرته تتسع وتتعمق بين القساوسة المسيحيين، حول شخص السيد المسيح، أهو إنسان أم إله ؟
ولما لم تجد محاوله الإمبراطور (قسطنطين) في وأد هذا الخلاف العقائدي في منبعه في الإسكندرية، الذي يفرق الأمة ويهدد الأمن والسلم الداخلي للدولة، ويغري أعداءها بها، قرر أن يضع حداً لتلك الخلافات بين المسيحيين، ويوحدهم تحت عقيدة واحدة.

فأمر (قسطنطين) بعقد مجمع عام للأساقفة في الإمبراطورية الرومانية، في أحد قصوره في مدينة نيقية ــ قرب مدينة إسطنبول الحالية ــ في سنة 325 م، وحضر الاجتماع عدد لا يقل عن 318 أسقفاً، يصحبهم حشد كبير من رجال الدين الأقل منهم درجة.
واجتمع المجلس برئاسة الإمبراطور (قسطنطين)، حيث افتتحه بتوجيه كلمة إلى الأساقفة، طلب منهم أن يعيدوا إلى الكنيسة وحدتها، وكان يستمع بصبر عظيم إلى المناقشات، ويهدئ من عنف الجماعات المتنازعة، ويشترك في المناقشات بنفسه. وأكد (آريوس) من جديد رأيه القائل : بأن المسيح مخلوق، لا يرقى إلى منزلة الآب، ولكنه مقدس بالاشتراك معه لا غير.[34]

وفي ختام جلسات المجمع، أصدر المجلس بموافقة الإمبراطور القرار الآتي:
"نحن نؤمن بإله واحد وهو الآب، القادر على كل شيء، خالق الأشياء كلها ما ظهر منها وما بطن، وبسيد واحد هو المسيح ابن الله، المولود ... غير المخلوق، من نفس جوهر الآب ... وبأنه من أجلنا نحن البشر ومن أجل

---

(33) المجمع : عبارة عن مؤتمر ديني، يحضره كبار رجال الدين المسيحيين، لإقرار القواعد والعقائد للديانة المسيحية.

(34) قصة الحضارة: ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 394.

نجاتنا، نزل وتجسد وصار إنساناً وتعذّب، وقام مرة ثانية في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيعود ليحاسب الأحياء والأموات ....".

ولم يرفض توقيع هذه الصيغة إلا خمسة من الأساقفة، نقصوا آخر الأمر إلى اثنين. وحكم المجلس على هذين الأسقفين، وعلى (آريوس) الذي لم يتزحزح عن عقيدته أو يتوب عما صدر منه، باللعنة والحرمان ونفاهم الإمبراطور من البلاد، وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بإحراق كتب (آريوس) جميعها، ويجعل إخفاء أي كتاب منها، جريمة يعاقب عليها بالإعدام.

واحتفل قسطنطين بانفضاض المجلس، بأن دعا جميع الاساقفة الذين حضروه إلى وليمة ملكية، ثم صرفهم بعد أن طلب إليهم ألا يمزق بعضهم أجساد بعض. (35)

وينقل الشيخ (محمد أبو زهرة) عن المؤرخ المسيحي سعيد ابن البطريق: "أن عدد الأساقفة الذين حضروا الاجتماع، كان ألفين وثمانية وأربعين (2048) أسقفاً، وأنهم كانوا مختلفين في الآراء والأديان". (36) ويستطرد الشيخ (محمد أبو زهرة) قائلاً: "إن قسطنطين استمع إلى مقال كل فرقة من ممثلها، فعجب أشد العجب مما رأى وسمع، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من ؟". (37) ونظراً لعقيدة الإمبراطور (قسطنطين) الوثنية، فقد مال إلى جانب البطاركة والقساوسة المنادين بألوهية السيد المسيح، فعقد لهم مجلساً خاصاً بهم لم يحضره غيرهم، وكان عددهم (318) ثلاثمائة وثمانية عشر بطريركاً وأسقفاً، وفوضهم بالفصل بهذا الموضوع، بعد أن تم استبعاد (1730) ألف وسبعمائة وثلاثين بطريركاً وأسقفاً. (38)

---

(35) المصدر السابق صفحة 395 و396.

(36) محاضرات في النصرانية: صفحة 117.

(37) المصدر السابق صفحة 118

(38) المصدر السابق صفحة 118

وينقل الشيخ (محمد أبو زهرة) عن المؤرخ المسيحي سعيد ابن البطريق، ما جرى في ذلك الاجتماع المصغر فيقول: "وضع الملك ـ الإمبراطور قسطنطين ـ للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً، مجلساً خاصاً عظيماً وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا، مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً، فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به".[39]
هذا وقد استمر المجلس منعقداً لمدة تزيد على ثلاثة أشهر.[40]

قرارات مجمع نيقية:

أولاً: قام الثلاثمائة والثمانية عشر بطريركاً وأسقفاً المنادون بألوهية السيد المسيح، الذين اختارهم الإمبراطور الوثني قسطنطين، من بين المدعوين البالغ عددهم ألفين وثمانية وأربعين بطريركاً وأسقفاً، ووضعوا قانوناً، سمي قانون الإيمان المسيحي أو الأمانة، ونصه كما يلي:
"إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية، تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء. أو من يقول أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الآب، وكل من يؤمن أنه خُلق، أو من يقول أنه قابل للتغيير، ويعتريه ظل دوران". [41]

هذا ويلاحظ أن قانون الإيمان المسيحي، الذي تم وضعه في مجمع نيقية سنة 325 م، قد تم تعديله في مجمع القسطنطينية سنة 381 م، ليتناسب مع ما استجد من تأليه الروح القدس.

---

(39) المصدر السابق صفحة 118.

(40) الروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 57.

(41) محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة. صفحة 118. نقلاً عن كتاب تاريخ الأمة القبطية.

يقول الدكتور (إسحاق عبيد) : "إن مجمع نيقية ناقش تعاليم القس السكندري آريوس ــ المُوَحِّدَة ــ ثم رفضها وأدانها بالهرطقة، لأن ألوهية المسيح هي الأمل الوحيد الذي يربطنا بالله الآب، لأنه لا أحد سوى الله وحده، قادر على احتواء المخلوق وضمه في الخالق، والمسيح على هذا ــ الأساس ــ من نفس جوهر الآب، وهو ليس يشبه إله أو مخلوق مميز، بل إله حق، من إله حق، نور من نور، مولود غير مخلوق قبل كل الدهور، مساو للآب في الجوهر".(42)

جاء في سورة المائدة آية 17 ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

وجاء في الآية 72 من السورة نفسها ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

وجاء في الآية 75 من السورة نفسها ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

وجاء في سورة النساء آية 172 ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾.

وجاء في سورة مريم الآيات 88 إلى 92 ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾.

---

(42) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية : صفحة 83.

ثانياً :

1. اعتماد أربعة أناجيل فقط، يطلق عليها اسم العهد الجديد[43] واعتبرت الأناجيل الأخرى التي كان عددها يربو على السبعين إنجيلاً ـ ومنها أناجيل الموحدين، مثل إنجيل برنابا ـ مزيفة وغير قانونية ومحرمة، يجب إحراقها على الفور، وعدم إطلاع المسيحيين عليها، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام.
2. اعتمد هذا المجمع ست عشرة رسالة فقط، من رسائل من يدعونهم بالرسل، اعتبرها صحيحة، سواء فيما يخص محتوياتها أو نسبتها إلى مؤلفيها، وألحقها بالأناجيل الأربعة، واعتبر ما عداها من الرسائل، مزيفه ومدسوسة على مؤلفيها. وقد جاءت مجامع أخرى من بعده، واعتمدت سبع رسائل إضافية وألحقتها بالأناجيل، كان مجمع نيقية قد رفضها، واعتبرها مزيفه ومنحولة على مؤلفيها.
3. قام مجمع نيقية برفض بعض كتب العهد القديم ـ التوراة والكتب التابعة لها ـ حيث اعتبرها مزيفة ومدسوسة، ثم جاءت من بعده مجامع أخرى أعادت الاعتراف بتلك الكتب.
4. تم لعن وطرد وحرمان المخالفين لقرارات هذا المجمع من حظيرة الكنيسة، وعلى رأسهم الأسقف المصري الموحد (آريوس) وحرق كتبه، وإعدام من توجد بحوزته.

ومما يلفت النظر في هذا السياق، ما نقل على لسان السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، في إنجيل يوحنا 2/16 و 3 أنه قال : "سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله".

(43) سيتم بحث موضوع الأناجيل بالتفصيل، في المبحث الخامس صفحة 177 وما بعدها.

5. منعوا المسيحيين من الاحتفال بعيد الفصح أو عيد الفطير (الإيستر Easter) اليهودي، مع اليهود في يوم السبت، كما كانوا يفعلون سابقاً منذ أيام السيد المسيح، وجعلوا العيد يوم الأحد،[44] بعد أن تغير الهدف من الاحتفال بالعيد، من تذكار بخروج اليهود من مصر بقيادة موسى عليه السلام، هرباً من بطش فرعون، إلى تذكار بمناسبة قيام يسوع من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه، بعد قتله على الصليب ـ حسب زعمهم ـ .

6. تقرر منع زواج الرهبان، وقد كان ذلك القرار المناقض للفطرة السليمة، سبباً لمآسٍ ومشاكل جنسية لأولئك الرهبان لا حصر لها، منذ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا.

هذا ويلاحظ أن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، لم تذكر أي شيء يتعلق بزواج السيد المسيح من عدمه، كما أن شاول (بولس الرسول) لم يتزوج أيضاً، وقد شجع من يستطيع عدم الزواج على البقاء أعزباً مثله،[45] وقد يكون هذا هو السبب، أو أحد أسباب قرار مجمع نيقية، في منع زواج القساوسة.

جاء في القرآن الكريم ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ سورة الحديد آية 27.

تشييع رسالة السيد المسيح رسمياً:

وبهذه الطريقة والأسلوب، انقلبت الكفة لصالح مؤلهي السيد المسيح، بعدما كانوا أقلية، وتحول رجل الدين الموحد الأسقف آريوس، وغيره من كبار رجال الدين المسيحي الموحدين وأتباعهم، من معارضين لبطريرك

(44) انظر العشاء الأخير أو الرباني، صفحة 64 من المبحث الثاني.

(45) انظر رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 8/7 و9.

كنيسة الإسكندرية، إلى معارضين للإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين، وخارجين عن النظام العام للإمبراطورية الرومانية.

وفي ذلك المجمع الوثني الكئيب والمشؤم، تكون الإمبراطورية الرومانية، ممثلة بالإمبراطور قسطنطين، قد شيعت رسمياً رسالة السيد المسيح عليه السلام، بعد حوالي ثلاثة قرون من رفعه، ورفعت الستار رسمياً عن مسيحية شاول (بولس الرسول)، وحقق الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين، قصده السياسي بتوحيد الجبهة الداخلية واستتباب الأمن الداخلي، لكي يتفرغ لمواجهة منافسيه على السلطة في الداخل، والأعداء الخارجيين. لقد كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية، وكان ذلك على حساب رسالة السيد المسيح عليه السلام.

يذكر المؤرخ المسيحي سعيد ابن البطريق فيما معناه : لما تنصر الإمبراطور قسطنطين بعد مجمع نيقية بسنوات، أمر بكسر الأصنام وقتل من يعبدها، وحصر قيادة الجيش بالنصارى. ثم أمر أن يبحث عن مكان قبر المسيح وصليبه، فقامت أمه هيلانة ـ أو هلينا ـ بتلك المهمة بنفسها، وسافرت إلى بيت المقدس، حيث بنت كنيسة القيامة ـ لا تزال موجودة إلى اليوم ـ على المكان المزعوم أن السيد المسيح قد قُبر فيه لمدة ثلاثة أيام قبل أن يقوم من قبره، ولذلك سميت هذه الكنيسة بكنيسة القيامة.[46]

وبحثت هيلانة عن الصليب الذي زعم أن السيد المسيح قد صلب عليه وكان مدفوناً، وعادت به إلى ابنها الإمبراطور قسطنطين بعد أن غلفته بالذهب، ثم أمر الإمبراطور قسطنطين بطرد اليهود من بيت المقدس، كما أمر بقتل كل من لم يَتَنَصَّر، فتنصر خلق كثير من اليهود والوثنيين، وظهر دين المسيحية.[47]

---

(46) نسبة إلى قيام السيد المسيح من قبره ـ حسب اعتقادهم ـ وليس نسبة إلى يوم القيامة المعروف عند المسلمين بهذا الاسم.

(47) تاريخ ابن البطريق : الجزء الأول صفحة 128 إلى 130. وانظر أيضاً قصة الحضارة: ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 401. والروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 60.

يذكر (ول ديورانت) :"أن قسطنطين كان ابناً غير شرعي ــ لأبيه ــ من محظيته هلينا، خادمة في إحدى الحانات في بثينا*.[48]

ويذكر المؤرخ المسيحي ابن البطريق أيضاً، أنه قيل للإمبراطور قسطنطين الأول "إن اليهود تنصروا خوفاً من القتل، وهم باقون على دينهم، فقال قسطنطين: كيف لنا أن نعرف؟ فقال له بولس بطريرك القسطنطينية، إن الخنزير في التوراة محرم على اليهود لا يأكلونه، فأمر بذبح الخنازير وتقديمها لليهود المتنصرين، فمن لم يأكل علمت أنه مقيم على ديانته اليهودية، فقال قسطنطين : إن كان الخنزير محرماً في التوراة فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه ونطعمه للناس؟ فقال له بولس بطريرك القسطنطينية : إن المسيح قد أبطل سائر ما في التوراة**، وجاء بتوراة جديدة الذي هو الإنجيل. فأمر قسطنطين : أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً، وتقدم عند أبواب الكنائس في سائر المملكة في يوم أحد الفصح ــ في يوم الأحد من عيد الفصح (الإيستر) ــ وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير، ومن لم يأكل يقتل، فقتل في ذلك (اليوم) خلق كثير (من اليهود المتنصرين)".[49]

لم يستطع مجمع نيقية القضاء على الوحدانية، التي كان يدعو لها الأسقف آريوس، فقد كان التوحيد هو الغالب بين المسيحيين في القسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية وأسيوط وبيت المقدس وقيصرية فلسطين وصور، وكانت قسطندية أخت الإمبراطور قسطنطين من الموحدين. لذا فقد أعاد قسطنطين القسيس آريوس من منفاه، وأرسله إلى الإسكندرية في سنة 330م، وعقد الموحدون مجامع لهم في عدة مدن، منها مجمع القسطنطينية

---

* بثينا منطقة في غرب آسيا الصغرى ــ تركيا ــ.

(48) قصة الحضارة: الجزء 11، صفحة 382.

** السيد المسيح عليه السلام، لم يبطل التوراة، بل حث على التمسك بها، والذي أبطلها هو شاول (بولس الرسول) كما سبق بيانه.

(49) تاريخ ابن البطريق : الجزء الأول. صفحة 133.

في سنة 336 م، بأمر من قسطنطين، وكان الآريوسيون هم الغالبية، وحكموا بنفي بطريرك الإسكندرية إلى فرنسا.

ومع ذلك فقد أخذ الأساقفة غير الموحدين، يسيطرون على المسيحيين بالرؤى والأحلام، حتى اختفى مذهب التوحيد، ولم يبق على الساحة إلا مذهب تأليه المسيح. [50]

تنصر قسطنطين ووفاته :

هناك عدة تواريخ لتنصر قسطنطين، وذلك بتعميده إيذاناً بدخوله المسيحية، أرجحها أنه بقي وثنياً طوال حياته، وأنه لم يتعمد إلا وهو على فراش الموت في سنة 337م، قرب مدينة نيقوميدية، وأن جثمانه حنط ووضع في تابوت من ذهب ونقل إلى قصره في القسطنطينية، حيث عرض جثمانه على الوجهاء، مكللاً بالتاج وملفوفاً بالأرجوان، قبل أن ينقل إلى كنيسة الرسل حيث صلى عليه الاكليروس طوال الليل، ثم دفن فيها في ناووس من الرخام السماقي. وأَلَّهَ الشيوخ قسطنطين حسب العادة الرومانية، وعظمه الشعب الروماني الوثني، وعبده أمام تمثاله الذي نُصب فوق عمود من الرخام السماقي في الفوروم.[51]

يقول (ول ديورانت) : أنه بفضل جهود قسطنطين "أضحت المسيحية دولة وديناً، وأمست هي القالب الذي صبت فيه الحياة الأدبية والفكر الأوروبي على مدى أربعة عشر قرناً". [52]

---

(50) محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة. صفحة 121 وما بعدها. والروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 60 و61.

(51) الروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 72 و73. وقصة الحضارة : ول ديورانت. الجزء 11، صفحة 402. ومحاضرات في النصرانية : الشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 121.

(52) قصة الحضارة: الجزء 11، صفحة 403.

النظام الكهنوتي للمسيحية بعد مجمع نيقية:

اتسمت رسالة السيد المسيح عليه السلام، بالبساطة والسهولة واليسر، بحيث خلت تماماً من التنظيم الكهنوتي المعقد، الذي نراه عند النصارى اليوم في الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان بروما، أو الكنيسة القبطية بمصر، أو الكنيسة الشرقية باليونان وروسيا، من بابوات، وبطارقة، وكرادلة، وأساقفة، وقسس، ورهبان وراهبات... إلخ.

ففي حياة السيد المسيح لم تُبْنَ كنيسة للصلاة، وبالتالي فلم يكن هناك نواقيس فوق الكنائس للنداء للصلاة، ولا تعليق الصلبان عليها وعلى رقابهم، ولا عزف الموسيقى، ولا اعتراف المذنبين بذنوبهم أمام الكاهن ــ في النظام البابوي ــ وسلطة الكاهن في غفران تلك الذنوب، ولم يحرم زواج القسس والرهبان والراهبات، لأنهم لم يكونوا موجودين آنذاك، ولم توضع صور وتماثيل للسيد المسيح ولا أمه مريم، ولا الملائكة والروح القدس، ولمن يسمونهم قديسين. فكل ذلك لم يفعله السيد المسيح عليه السلام، ولا أمر به، ولم يكن موجوداً في حياته.

كما لم يتم الاحتفال بميلاد السيد المسيح قبل مؤتمر نيقية سنة 325م، أي لمدة ثلاثة قرون تقريباً من رفع السيد المسيح عليه السلام.

يقول الاستاذ (عباس محمود العقاد) فيما معناه: ولما قرروا الاحتفال، اختلفوا في تاريخ الميلاد، فالكنيسة الكاثوليكية تحتفل به في اليوم الخامس والعشرين في شهر ديسمبر، وهو التاريخ نفسه الذي كان الوثنيون يحتفلون به في عيد الشمس، وانتصار النور على الظلام، والكنيسة الشرقية تحتفل به في اليوم السادس من شهر يناير.[53]

(53) حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث : صفحة 91 و92. والعقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل : حسن الباش. صفحة 60 وما بعدها. وانظر بند رقم 1 صفحة 42 ومابعدها من المبحث الثاني.

اتخاذ الصليب شعاراً :

كان الرومان يُلزِمون المحكوم عليهم بالإعدام صلباً، بحمل الصليب حتى يوم تنفيذ الحكم فيهم. ولم يتخذ المسيحيون الصليب شعاراً أو رمزاً لدينهم، قبل القرن الرابع الميلادي.(54)

فقد كان الإمبراطور الروماني (قسطنطين الأول) أول من استخدم الصليب شعاراً على تروس جنوده ـ وكان لا يزال وثنياً آنذاك ـ والذي يقال: إنه طلب العون من إله المسيحيين لينصره على أعدائه.

وقد ذكر المؤرخ المسيحي الدكتور (أسد رستم) فيما معناه: أنه في إحدى المعارك في سنة 312 م، شاهد قسطنطين فوق قرص الشمس قبل المغيب، صليباً من نور مكتوباً عليه (بهذا تغلب)، كما رأى في منامه تلك الليلة، السيد المسيح حاملاً هذه الشارة نفسها، موصياً إياه باتخاذها راية يهجم بها على عدوه، فلما استيقظ من نومه أمر برسم الصليب على تروس جنوده وخاض المعركة وانتصر، وقد أصبح هذا الشعار (الصليب) فيما بعد، راية لدولة الروم. (55)

وفي الجملة، فكل ما تراه في المسيحية اليوم، من عقائد وثنية وعبادات وطقوس وأسرار، وصلبان وتنظيمات كنسية لرجال الدين وقداسات ... إلخ، واحتفالات الميلاد في آخر السنة...إلخ، هو شيء طارئ على رسالة السيد المسيح عليه السلام، لم يفعله ولم يأمر به، ولم يفعله تلاميذه ولا المؤمنون برسالته.

نشر مسيحية بولس بسيف الإمبراطورية الرومانية :

يعتبر التدخل السافر والمباشر للإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين الأول، في الشؤون العقائدية للمسيحيين قبل اعتناقه

---

(54) كما جاء تفصيله في صفحة 102 وما بعدها من المبحث الثالث.

(55) الروم: أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 53. وقصة الحضارة : ول ديورانت الجزء 11 صفحة 384.

للمســيحية،[56] تحولاً كبيـراً فــي تاريخ هذه الديانــة ومعتنقيها، وتاريـخ أوروبا الديني والسياسـي، من ثلاث نـواحٍ هـي:

الأولـى : مساهمته في تحريفها قبل التحول إليها، بتأييده ودعمه القوي للقساوسة المنادين بألوهية المسيح، ضد الأكثرية الساحقة من إخوانهم من رجال الدين الموحدين، الذين استبعدهم من مجمع نيقية، القائلين بأن السيد المسيح بشر وليس إلهاً ولا ابناً لله.

الثانية : قيامه بنشر هذه المسيحية المحرفة بالقوة، بادئاً باليهود ثم المسيحيين الموحدين وغيرهم، وإجبارهم على اعتناق تلك المسيحية المحرفة عنوة وبحد السيف، فتنصر خلق كثير، حسب ما نقل عن المؤرخ المسيحي سعيد ابن البطريق.[57]

الثالثة : إجباره الشعوب الوثنية في قارة أوروبـا، على اعتناق المسيحية المحرفة، فدخلوها بأفواج هائلة.

وقد قام هؤلاء المسيحيون الأوروبيون، بنقل هذه المسيحية المحرفة بحد السيف أيضاً، بعد أكثر من عشرة قرون، إلى العالم الجديد في الأمريكيتين وأستراليا ونيوزيليدا، وإلى قارة أفريقيا، وآسيا في شبه القارة الهندية، وجزر جنوب شرق آسيا في إندونيسيا والفلبيـن وغيرها.

---

(56) لاحظ أنه مع كل ما قام به الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول من جهود، لفرض العقائد الوثنية في الديانة المسيحية بالقوة، على شعوب الإمبراطورية الرومانية، إلا أن دين الإمبراطورية الرومانية الرسمي، ظل في عهده كما هو عليه وثنياً.

(57) انظر صفحة 154 وما بعدها من هذا المبحث.

اعتناق الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية



الإمبراطور ثيودوسيوس الأول

الإمبراطور ثيودوسيوس الأول:

في سنة 380 م، في عهد الإمبراطور (ثيودوسيوس الأول) 378 ـ 395م، اعتنقت الإمبراطورية الرومانية الوثنية رسمياً، الديانة المسيحية، التي ساهمت بقوة على مدى أكثر من ثلاثة قرون، في تشويهها وتحريفها، وبذلك تكون المرحلة الثالثة من عملية تشوية وتحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام، قد انتهت.

دخول الوثنيين الأوروبيين وغيرهم في المسيحية المحرفة:

لم يكن من المتوقع ـ ولا من المعقول أيضاً ـ أن يتركَ الوثنيون الأوروبيون وغيرهم من شعوب الإمبراطورية الرومانية في بلاد الشام ومصر، الذين دخلوا بأفواج هائلة إلى المسيحية المحرفة، سواء كان ذلك طواعية أو عنوةً بحد السيف، وأن يتنازلوا فجأة عن عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم وخرافاتهم المتعلقة بأديانهم وآلهتهم السابقة، ويتركوها وراء ظهورهم، وينضووا تحت مظلة ديانة جديدة مثل المسيحية، التي لا يعرفون عنها شيئاً، والتي كانت حتى الأمس القريب محظورة، وعقوبة من يعتنقها الإعدام، بمجرد الإعلان رسمياً، أن الدولة قد تركت ديانتها وآلهتها القديمة، واعتنقت الديانة المسيحية.

إن تغيير دين الدولة الرسمي بالنسبة لتلك الأعداد الهائلة من الوثنيين، الذين أصبحوا بين ليلة وضحاها مسيحيين، يشبه إلى حد بعيد، تغيير علم الدولة أو نشيدها الوطني أو اسمها، لكن شيئاً على أرض الواقع فيما يخص المواطنين لم يتغير بتاتاً، وإن حدث تغير فلن يتجاوز المظاهر الخارجية، كالمساحيق ووسائل الزينة التي تضعها النساء على وجوههن ليظهرن بمظهر مختلف، ولكن حقيقتهن من ناحية السن والتعليم والثقافة والأخلاق والاعتقاد وما إلى ذلك، تظل على حالها لا تتغير.

ولهذا فقد استمر الوثنيون بوجه عام، والفلاحون منهم على وجه الخصوص، بالإيمان بآلهتهم السابقة والابتهال إليها، وظل هذا الإيمان متمكناً منهم وراسخاً في عقولهم لمدة طويلة، بعد الإعلان الرسمي بأن دين الدولة الرومانية أصبح المسيحية.

وفي هذا الصدد يذكر (تشارلز ورث) فيما معناه : ومع مغيب شمس القرن الرابع الميلادي، حدثت انكسارات وهزائم للإمبراطورية الرومانية، تمثلت بغزو القبائل البربرية من شمال وشرق أوروبا، بالإضافة إلى النشاط العسكري الفارسي على حدودها الشرقية، مما أفقدها أجزاء كبيرة من أراضيها.

ولا بد أن تلك الهزائم والانكسارات، قد ألقت بظلالها ووحشتها الشديدة، في نفس أولئك الوثنيين من رعايا الإمبراطورية، وأثارت التساؤلات عما إذا كانت تلك الهزائم والانكسارات، نتيجة لهجرهم آلهتهم القديمة، والتحول عنها إلى الديانة المسيحية ـ المحرفة ـ وعما إذا كانت تلك الآلهة التي هُجرت، ربما أخذت تعاقب الإمبراطورية وشعوبها، لتركهم عبادتها وعدم تقديرهم لها، ولابد أن تلك المشاعر والمخاوف، قد لقيت انتشاراً واسعاً بين أولئك الوثنيين، نظراً لتماشيها مع الطبيعة الإنسانية.[58]

---

(58) الإمبراطورية الرومانية : م. ب. تشارلز ورث ، صفحة 234.

خاتمة المبحث

للإمبراطورية الرومانية دور مهم وعميق جداً، في تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ويتمثل هذا الدور الروماني المهم والسلبي والهدام، في المرحلتين الثانية والثالثة، من مراحل تحريف وتشويه رسالة السيد المسيح.

وهما مرحلتان متضادتان ومتناقضتان مع بعضهما أشد التناقض، ولكنهما يصبان في تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام.

فالمرحلة الثانية من عملية تحريف رسالة السيد المسيح، تتمثل في تهيئة الإمبراطورية الرومانية الظروف الملائمة لتشويه وتحريف رسالة السيد المسيح ـ من دون قصد ـ وذلك بالبطش بكل قسوة وضراوة بالمسيحية والمسيحيين، لمدة قرنين ونصف تقريباً، وكان على رأس من بطشت بهم، بطرس ـ كبير تلاميذ السيد المسيح حسب وصف الأناجيل له ـ وشاول (بولس الرسول) وأعدمتهما في مدينة روما في حوالي عام 67م.

وأصبحت الديانة المسيحية منذ ذلك الوقت، محرمة وخارجة على القانون، وعقوبة من يعتنقها الإعدام. واعتبرت الأناجيل التي كان عددها آنذاك يربو على السبعين إنجيلاً، كتباً محرمة، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام، فأخذ المسيحيون يتخلصون مما بحوزتهم من الأناجيل، بالإخفاء أو الحرق خشية تعرضهم للإعدام.

وتشتت المسيحيون وصاروا جماعات وفرق، وأخذ قساوسة ورهبان كل مجموعه، يعقدون اجتماعاتهم الدينية بسرية، في الكهوف والمغارات والمقابر، مما أفرز تأثيرات سلبية عميقة جداً، صبت في اتجاه المزيد من التطوير والتحريف لما تبقى من رسالة السيد المسيح عليه السلام.

وعندما أخذت الأوضاع الداخلية والخارجية للإمبراطورية الرومانية تتردى، في عهد الإمبراطور ديسيوس، فسر ذلك بأنه إشارة إلى غضب الآلهة، بسبب إهمال الشعوب الرومانية لها، فقرر إعادتهم قسراً إلى عبادة وتكريم تلك الآلهة ــ بمن فيهم المسيحيون واليهود ــ وأجبرهم بالتوجه إلى المعابد الوثنية وتقديم القرابين للآلهة، وكانت عقوبة من يمتنع عن ذلك، أن يكون هو القربان أو الأضحية.

وفي عهد الإمبراطور دقلديانوس، تعرض الأقباط المصريون للبطش والتعذيب، وهدم كنائسهم وإحراق أناجيلهم، وأجبروا على ترك دينهم، وعبادة الآلهة الرومانية، فارتد الآلاف منهم عن دينهم، وقد مات عدد كبير جداً منهم، قدروه بمائة وأربعين ألف شخص.

وقد كان لذلك البطش والقهر، الذي تعرض له المسيحيون، تأثيرات سلبية عميقة، مما أدى ــ مع عوامل أخرى ــ إلى تدهور الوضع في الجبهة الداخلية للإمبراطورية الرومانية وتماسكها، مما اضطر الإمبراطور قسطنطين الأول، في البدء في إجراءات جذرية وعاجلة، لإعادة توحيد الصفوف ولم الشمل، لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية المحدقة بالإمبراطورية، وليتفرغ لمواجهة خصومه ومنافسيه على السلطة ، فأصدر مرسوماً في سنة 313م، ألغى بموجبة ملاحقة المسيحيين، وأقر بحقهم في اتباع الدين الذي يرتضونه.

وبهذا الإجراء، تكون الإمبراطورية الرومانية، ممثلة بالإمبراطور قسطنطين الأول، قد أنهت المرحلة الثانية من عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح، التي اتسمت بالقهر والبطش والتطهير ضد المسيحية والمسيحيين، والتي دامت حوالي قرنين ونصف، ودشنت المرحلة الثالثة من عملية تحريف رسالة السيد المسيح، التي استغرقت سبعاً وستين سنة

ميلادية، واتسمت في استغلال الإمبراطور قسطنطين الأول، للمسيحية المثخنة بالجراح، لرص صفوف الجبهة الداخلية وتثبيت حكمه.

ويلاحظ أنه ما إن زال سيف القهر والاضطهاد، عن رقاب المسيحيين، حتى بدأ الخلاف والشقاق يظهر بين كبار رجال دينهم، ومن أهمها وأخطرها، تلك التي حدثت بين رجال الدين في كنيسة الإسكندرية، والتي كانت تتركز حول طبيعة شخص السيد المسيح عليه السلام، هل هو إله أم إنسان ؟

فرأى الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين الأول، أن من مصلحة الدولة حل تلك الاختلافات العقائدية بين المسيحيين، وتوحيدهم تحت عقيدة أو مذهب واحد، حرصاً على وحدة الجبهة الداخلية من التمزق، فأمر في سنة 325م، بعقد مجمع نيقية، دعا إليه كبار رجال الدين المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية، فحضر (2048) بطريركاً وأسقفاً، وعقد لهم اجتماعاً بمدينة نيقية ـ قرب مدينة اسطنبول ـ للنظر في موضوع السيد المسيح، هل هو إله أم إنسان ؟ وذلك بعد رفع السيد المسيح بثلاثة قرون تقريباً.

وقد استمر ذلك المجمع منعقداً لأكثر من ثلاثة أشهر، برئاسة الإمبراطور قسطنطين، وقد كانت الاختلافات كبيرة جداً بين رجال الدين، ونظراً لعقيدة الإمبراطور قسطنطين الوثنية، فقد مال إلى جانب المنادين بألوهية السيد المسيح، فعقد لهم اجتماعاً خاصاً بهم لم يحضره غيرهم، وكان عددهم (318) بطريركاً وأسقفاً، وفوضهم بالفصل بهذا الموضوع، واستبعد (1730) بطريركاً وأسقفاً، ممن يخالفونهم في تلك العقيدة.

وقررت الأقلية من البطاركة والأساقفة الذين اختارهم قسطنطين في ذلك المجمع، أنهم يؤمنون بإله واحد يسمونه الآب، ويؤمنون بأن الآب له ابن هو يسوع ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ـ وأنه من جوهر الآب نفسه! وأنه نزل

إلى الأرض وتجسد بهيئة بشرية، لكي يُعذَّبَ ويُقتَل على الصليب، من أجل فدائهم من غضب الله على البشرية، بسبب خطيئة أبويهم آدم وحواء، التي توارثوها منهما، وأنه دفن، وبعد ثلاثة أيام قام من الموت، وبقي أربعين يوماً، ثم صعد إلى السماء، وجلس على يمين الآب ـ الله ـ وسيعود مرة ثانية إلى الأرض، ليحاسب الأحياء والأموات.

كما تم اعتماد أربعة أناجيل فقط، واعتبرت الأناجيل الأخرى، التي كان عددها يزيد على السبعين إنجيلاً، محرفة ومزيفة وغير قانونية، ومنها أناجيل الموحدين، مثل إنجيل برنابا وغيره، يجب إحراقها على الفور، وعدم إطلاع المسيحيين عليها، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام، وتم لعن وطرد وحرمان المخالفين لقرارات هذا المجمع من حظيرة الكنيسة.

وقد قام الإمبراطور قسطنطين الأول على إثر ذلك، بإجبار اليهود والمسيحيين من مختلف الطوائف والعقائد، والوثنيين الأوروبيين وغيرهم، ممن لم يدخلوا في المسيحية طواعية، على اعتناقها عنوة بحد السيف، فتنصر خلق كثير، علماً أن قسطنطين ظل وثنياً طوال حياته، ولم يتنصر إلا وهو على فراش الموت في سنة 337 م، كما أن دين الدولة الرسمي، ظل وثنياً في عهده كما كان سابقاً.

وفي سنة 380م، في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول، اعتنقت الإمبراطورية الرومانية رسمياً، الديانة المسيحية التي ساهمت في تحريفها، ففتح الباب على مصراعيه أمام الشعوب الوثنية للإمبراطورية الرومانية، من الأوروبيين وغيرهم من السوريين والمصريين...إلخ. فدخلوا بأفواج هائلة ـ عنوة وطواعية ـ إلى المسيحية المحرفة والمثخنة بالجراح، وأدخل كل وافد منهم، عقائده وشعائره وعاداته وتقاليده الوثنية معه، مما زاد الطين بلة، وصب في المزيد من التطوير والتحريف للديانة المسيحية.

لقد كانت رسالة السيد المسيح عليه السلام، وعقائدها بسيطة وسهلة، وكانت تخلو من التنظيم الكهنوتي المعقد، الموجود في الكنائس الكاثوليكية والقبطية والكنيسة الشرقية اليونانية والروسية، من باباوات وبطارقة وكرادلة ورهبان وراهبات ... إلخ، فلم تبن في حياة السيد المسيح كنيسة للصلاة، وبالتالي فإن النواقيس والصلبان وعزف الموسيقي في الكنائس، واعتراف الكاثوليك بذنوبهم أمام الكاهن، وتحريم زواج القسس والرهبان والراهبات، ووضع صور وتماثيل للسيد المسيح وأمه مريم وغيرهم، كل ذلك لم يفعله السيد المسيح، ولم يأمر به، ولم يكن موجوداً أثناء حياته، كما لم يتم الاحتفال بميلاد السيد المسيح أثناء حياته ولا حياة تلاميذه.

أسئلة على ما ورد في المبحث الرابع

1. للإمبراطورية الرومانية دور مهم وعميق جداً، في تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام، وقد تمثل هـذا الدور في المرحلتين الثانية والثالثة. بم تتميز كل مرحلة منهما؟

2. ما المدة التي استغرقتها كل مرحلة من تلك المرحلتين ؟

3. أ. ما دور الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول، في تحريف رسالة السيد المسيح ؟
ب. ماذا كان قصده من ذلك التحريف ؟

4. أ. ما أهمية مجمع نيقية بالنسبة للمسيحية الحالية ؟
ب. في أي سنة عقد هذا المجمع ؟
ج. من ترأس هذا المجمع ؟

5. من آريوس وما هي عقيدته ؟

6. ماذا يمثل الصليب بالنسبة إلى المسيحيين ؟

7. من أول من استخدم الصليب ؟

8. كم إنجيلاً كانت بيد النصارى قبل مجمع نيقية ؟

9. أ. كم إنجيلاً اختارها مجمع نيقية ؟
ب. ما مصير بقية الأناجيل التي رفضها مجمع نيقية ؟

10. كيف نشر الإمبراطور الروماني قسطنطين، المسيحية ؟

11. ما أهم الأحداث التي تمت في عهد الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول؟

المبحث الخامس

الأناجيل الأربعة
والرسائل الملحقة بها
(العهد الجديد)

الكتاب المقدس عند النصارى

يتكون الكتاب المقدس عند النصارى من قسمين رئيسيين هما: العهد القديم، والعهد الجديد، علماً أن هاتين التسميتين ليستا مذكورتين في الكتابين المقدسين، باستثناء مرة واحدة، ذُكِرَ فيها اسم العهد القديم أو العتيق، في رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس 14/3.

العهد القديم

يمثل العهد القديم، الحيز الأكبر من الكتاب المقدس عند المسيحيين، ويتكون من مجموعة من الكتب تسمى أسفاراً ـ جمع سفر ـ وتعتبر الأسفار الخمسة الأولى أهمها على الإطلاق، وهي : سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية، ويطلقون عليها التوراة، وتشمل على العقيدة والشريعة، وتأتي أهميتها من اعتقادهم أن كاتبها هو نبي الله موسى عليه السلام.

كما يحتوي العهد القديم، على العديد من الأسفار أو الكتب اليهودية الأخرى، التي ألحقت به لاحقاً، ونظراً لأهمية التوراة، فإنهم يطلقونها غالباً على كل أسفار العهد القديم تجاوزاً.

ويمكن أن نطلق على العهد القديم، القسم اليهودي من الكتاب المقدس لدى النصارى، الذي أخذوه من اليهود على علاته.

وبسبب التحريف الذي شاب نصوص أسفار العهد القديم، يلاحظ أن معظم رسل الله وأنبيائه، قد وقعوا في الشرك أو الزنا أو القتل أو شرب الخمر... إلى آخر ما هناك من الرذائل، بالإضافة إلى وصفهم الله ـ جل وعلا ـ بأوصاف غير لائقة.

وقد عمد شاول (بولس الرسول) إلى إبطال العمل بشرائع التوراة شيئاً فشيئاً، حتى تسنى له في نهاية الأمر إلغاءها برمتها.[1]
ولكن المسيحيين قاموا بعد ذلك بإلحاق التوراة وغيرها من الأسفار ـ العهد القديم ـ مع أناجيلهم، لاعتقادهم بقدسيتها، وأخذهم عنها معلومات عن خلق السماوات والأرض، ومعصية آدم وحواء لأمر ربهما، والوصايا العشر ... إلخ، مما يدل على الارتباط السابق بينهما، وتبعية ديانة السيد المسيح، للديانة اليهودية.

ويقال إن التوراة ظلت على حالها دون تحريف حتى سنة 586 ق.م ـ وكان مذكوراً بها أنه سيأتي نبي من بني إسماعيل، وأن عليهم أن يتبعوه ـ فلما احتل (نبوخذ نصَّر) ملك بابل، القدس في سنة 586 ق.م، وأخذ معه كبار بني إسرائيل أسرى إلى بابل، ظن علماؤهم من شدة الهول الذي أصابهم، أن وقت ذلك النبي المنتظر من آل إسماعيل قد أوشك على الظهور، فاتفقوا على تحريف التوراة، وتغيير النصوص الواضحة عن ذلك النبي المنتظر، بحيث تحتمل معنيين في نظر العوام، كما زادوا بعض التشريعات.[2]

ولما رجع بنو إسرائيل من الأسر ومعهم التوراة الجديدة، حدث نزاع بينهم وبين اليهود السامريين، أدى إلى انفصال الطرفين عن بعضهما إلى اليوم، بعد أن اتهم كل طرف، الطرف الآخر بتحريف التوراة، ولذلك سُميت توراة القادمين من الأسر في بابل، توراة العبرانيين، والتوراة الأخرى، توراة السامريين.[3]

---

(1) على النحو المشار إليه في صفحة 110 من المبحث الثالث.

(2) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف : للدكتور يحيى محمد علي ربيع ـ بتصرف ـ صفحة 70، نقلاً عن كتاب شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل. تحقيق الدكتور أحمد حجازي. صفحة 11 و 12.

(3) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف : صفحة 71. عن شفاء الغليل. صفحة 12.

هذا ويعترف الكاثوليك بستة وأربعين كتاباً أو سفراً من أسفار العهد القديم، في حين أن البروتستانت لا يعترفون إلا بتسعة وثلاثين كتاباً أو سفراً فقط، إذ يعتقدون أن السبعة أسفار الأخيرة، وهي سفر طوبيا، وسفر يهوديت، وسفر المقابيين الأول، وسفر المقابيين الثاني، وسفر الحكمة، وسفر إيكليزياستكس، وسفر باروخ، أسفار مزورة ومدسوسة على كتابهم المقدس، لذلك لا يعترفون بها.

فإذا نظرت إلى فهرس العهد القديم، ورأيت أن عدد أسفاره ستة وأربعين سفراً، فاعلم أنه يخص الكاثوليك، أما إذا كان عدد أسفاره تسعاً وثلاثين سفراً، فهو يخص البروتستانت.

كانت تلك نبذة مختصرة عن العهد القديم، تمهيداً للدخول إلى موضوعنا الرئيسي، وهو الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، المكونة للعهد الجديد.

إنجيل السيد المسيح

أوحى الله سبحانه وتعالى، إلى السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، إنجيلاً ورد ذكره في أكثر من آية في القرآن الكريم، ولكننا لا نعلم، هل كتب السيد المسيح، الإنجيل الذي أوحي إليه من ربه، أو أمر أحداً من أتباعه بكتابته، أم أنه كان يدعو قومه به شفاهةً ؟

ولكن من المؤكد أن هذا الإنجيل قد ضاع أو اختفى، أو تم إخفاؤه عن عمد وسابق إصرار، فضاعت آثاره ولم يعد له وجود، ولا تتحدث المصادر المسيحية عنه.[4]

يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) عن إنجيل السيد المسيح : إنه "اندثر وانتهى خبره، ولم يعدله ذكر".[5]

ويقول الدكتور (محمد علي الخولي) : "إن إنجيل عيسى الحقيقي قد ضاع، ولا وجود له حالياً بأية لغة من اللغات".[6]

ومن المؤكد أن السيد المسيح عليه السلام، وتلاميذه وأتباعه ـ حتى بعد رفعه ـ كانوا يتعبدون بالإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى، على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام. إذا إن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ـ التي بيد النصارى اليوم ـ لم تكن بطبيعة الحال موجودة أثناء حياة السيد المسيح، فقد أُلفت كلها بعد رفعه بسنوات طويلة، كما أنه من غير المعقول أن يبشر السيد المسيح عليه السلام، بأناجيل تلاميذه أو غيرهم، هذا على فرض وجودها في حياته. والقساوسة والـمُنصّرون لا يقرون ولا يعترفون، بل ينكرون أن إنجيلاً قد أُنْزِلَ على السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، لأنه باعتقادهم إله أو ابن إله، فكيف يَنْزِلُ كتابٌ على الإله ؟ أو هل يُنَزِّلُ الإله كتاباً على نفسه ؟

---

(4) على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في صفحة 41 في المبحث الثاني.

(5) أضواء على المسيحية : صفحة 51.

(6) حقيقة عيسى المسيح : صفحة 84.

ومع إنكار القساوسة والمُنَصِّرون لنزول إنجيل موحىً به من الله على السيد المسيح، وعلى الرغم من التحريف الذي تعرضت له الأناجيل الأربعة وملحقاتها، من حذف وإضافة وتغيير وتبديل ـ بقصد أو من دون قصد ـ على مر القرون، إلا أنه لا يزال يوجد بها إشارات، تدل بوضوح على أنه كان للسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، إنجيل يبشر به، كما في الأمثلة التالية:

1. جاء في إنجيل متى 23/4 "وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت".
2. جاء في إنجيل متى 35/9 " وأخذ يسوع يتنقل في المدن والقرى كلها، يعلم في مجامع اليهود وينادي ببشارة الملكوت ".
3. جاء في إنجيل متى 13/26 على لسان السيد المسيح "الحق أقول لكم : حيثما يكرز بهذا الإنجيل".
4. جاء في إنجيل مرقص 14/1 و 15 "وبعدما ألقى القبض على يوحنا انطلق يسوع إلى منطقة الجليل، يبشر بإنجيل الله قائلاً : قد اكتمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل".
5. جاء في إنجيل مرقص 35/8 عن يسوع أنه قال : "ولكن من يخسر نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها".
6. جاء في إنجيل مرقص 10/13 على لسان السيد المسيح : "يجب أن يُبَشَّرَ أولاً بالإنجيل".
7. جاء في إنجيل مرقص 9/14 " على لسان يسوع أنه قال : "الحق أقول لكم : أنه حيث يبشر بالإنجيل".
8. جاء في إنجيل مرقص 15/16 على لسان السيد المسيح أنه قال لتلاميذه : بعدما قام من الموت ـ حسب اعتقادهم ـ "اذهبوا إلى العالم وبشروا الخليقة كلها بالإنجيل".

9. جاء في إنجيل لوقا 1/20 عن يسوع "وفيما كان يعلم الشعب في الهيكل ذات يوم ويبشر". (في النسخة الإنجليزية يبشر بالإنجيل).

ومن الواضح والمنطقي والبدهي، أن الإنجيل المشار إليه في النصوص السابقة، يدل بكل وضوح وجلاء، على أنه كان للسيد المسيح إنجيل يبشر به، وأن هذا الإنجيل ليس واحداً من الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم، ولا ينطبق على أي منها.
فليس من بينها إنجيل يسمى إنجيل الله، أو إنجيل عيسى ابن مريم، بالإضافة إلى أنه لا يُطلق على أي منها اسم الإنجيل فقط، بل يجب ربطه باسم مؤلفه، كقولهم : إنجيل متى، أو إنجيل مرقص، أو إنجيل لوقا، أو إنجيل يوحنا.

وبفقد الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه وتعالى، على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، ـ بعد رفعه ـ فقد تم تجريد رسالته من كتابها السماوي، وفقد النصارى البوصلة السماوية، وانفتح الباب على مصراعيه لتحريف رسالته.

وبناء عليه، فنحن المسلمين عندما نذكر كلمة الإنجيل أو تُذكر أمامنا، فإنه يتبادر إلى أذهاننا الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى، على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، والذي ورد ذكره في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم، وليس أياً من الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، التي بيد النصارى اليوم، ولو أُطلق عليها لفظ الإنجيل بالمفرد.

لذا على المسلمين الانتباه إلى هذا الموضوع، لكي لا يغشهم القساوسة والمنصرون الماهرون بالتلاعب بالكلمات، بادعائهم أن الإنجيل الذي بيدهم ـ الذي بيدهم أربعة أناجيل وليس إنجيلاً واحداً، مع الرسائل الملحقة بها ـ هو الإنجيل المذكور في قرآنكم.

العهد الجديد

يتكون العهد الجديد من أربعة أناجيل ـ وليس إنجيلاً واحداً ـ سُميت بأسماء مؤلفيها متى ومرقص، ولوقا ويوحنا، واثنتين وعشرين رسالة ملحقة بها، ويضاف إليها رؤيا يوحنا اللاهوتي أو السفر النبوي، ويمثل العهد الجديد القسم المسيحي من الكتاب المقدس لدى المسيحيين.

محتويات الأناجيل الأربعة:

تشتمل الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم، على أخبار متناثرة عن السيد المسيح عليه السلام، من بدء حمل أمه مريم به إلى ولادته، والمعجزات التي حدثت على يديه، وأقوال ومواعظ منسوبة إليه، وموقف اليهود الذين كذبوه وآذوه ورده عليهم، مروراً بالقبض عليه ومحاكمته وقتله على الصليب، ثم قيامه من قبره بعد ثلاثة أيام ـ حسب اعتقادهم ـ ومكوثه أربعين يوماً قبل رفعه إلى السماء.

يلاحظ أنه لا توجد في الأناجيل الأربعة ولا الرسائل الملحقة بها، شريعة ولا قوانين، باستثناء ما نقل عن السيد المسيح عليه السلام، من تحريم الطلاق إلا لعلة الزنى، وتحريم الزواج من المطلقات،[7] بالإضافة إلى أنه لا يوجد نظام لتوزيع الإرث،[8] كما أجاز السيد المسيح عمل الخير في يوم السبت.[9]

(7) انظر إنجيل متى 31/5 و9/19، وإنجيل لوقا 18/16. وعندما أراد ملك بريطانيا الأسبق أدوار الثامن، الزواج من مطلقة أمريكية اسمها : واليس سمبسون، وقف بوجهه الشعب البريطاني وحكومته والكنيسة الإنجليزية، فاضطر إلى التنازل عن عرش بريطانيا في سنة 1936 ليتمكن من الزواج من تلك المرأة المطلقة.

(8) انظر إنجيل لوقا 13/12 و14.

(9) انظر إنجيل متى 1/12 ـ 13، وإنجيل لوقا 10/13 ـ 16، و1/14 ـ 6.

هذا ويلاحظ أن الأناجيل تطلق على السيد المسيح عدة أسماء مثل : عما نويل ــ ومعناه الله معنا ــ ويسوع، والرب، وابن الله، وابن داود، وابن الإنسان.

ويلاحظ أيضاً خلو الأناجيل الأربعة، من أي نص يمنع تعدد الزوجات، ولكن جاء في رسالة (بولس) إلى مؤمني كورنثوس 1/7 ــ 10، تشجيعاً على عدم الزواج لمن يملك القدرة على تحمل ذلك، وإلا يكتفى بواحدة.

كما أنها تحتوي على نبوءات وبشارات، على الرغم مما أصابها من تحريف، إلا أنها لا تنطبق إلا على سيد البشر محمد ﷺ، مما يدل على أن مؤلفي هذه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، قد نهلوا أو استعانوا بطريقة ما، من الإنجيل الموحى إلى السيد المسيح عليه السلام، والله أعلم.

وهذه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، التي بيد المسيحيين اليوم، لم تُوحَ إلى السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، من الله سبحانه وتعالى، كما أن السيد المسيح لم يكتبها، ولم يُملها على كُتَّابها، ولم يكلف أحداً منهم بكتابتها، ولم يرها أو يطلع عليها، إذ إنها لم تكن موجودة أثناء حياته، وهي ليست منسوبة له، ولكنها منسوبة إلى من يُعتقد أنهم مؤلفوها، المذكورة عليها أسماؤهم الأولى فقط وهم: متىّ، ومرقص، ولوقا، ويوحنا.

وقد أُلفت جميعها بعد رفعه عليه السلام بسنوات طويلة، وللعلماء المسيحيين الغربيين، آراء مختلفة في تحديد تواريخ تقريبية لتدوين هذه الأناجيل، فبعضهم يضعها ما بين سنة 37 إلى سنة 110م، وآخرون يضعونها ما بين عامي 60 إلى 120م.[10]

(10) انظر محاضرات في النصرانية : للشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 41 وما بعدها. والموسوعة العربية العالمية : فقرة الأناجيل صفحة 136. والموسوعة العربية الميسرة : صفحة 239. والبحث عن يسوع : كمال الصليبي. صفحة 13. وقصة الحضارة : ول ديورانت. الجزء 11 صفحة 207.

يقول الشيخ (محمد أبو زهرة) عن الأناجيل التي بيد المسيحيين : "وهذه الأناجيل الأربعة، لم يُمِلّها المسيح، ولم تنزل عليه هو بوحي إلهي، ولكنها كُتِبت من بعده".[11] ويستطرد الشيخ (محمد أبو زهرة) قائلاً :"يجدر بنا هنا أن ننبه إلى أن هذه الأناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام، وليست منسوبة له، ولكنها منسوبة إلى بعض تلاميذه ومن ينتمي إليهم".[12]

ويقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) عن الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين :"إنها ليست من إملاء السيد المسيح، بل إن السيد المسيح لم يشهدها". [13]

كما أن النصارى لا يدعون أن هذه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، قد كتبها أو أملاها السيد المسيح.

علماً أن هذه الأناجيل الأربعة، لم تكن الوحيدة التي أُلفت بعد رفع السيد المسيح، فقد كان هناك كثير من الأناجيل الرائجة عند المسيحيين، بلغ عددها ما يزيد على السبعين إنجيلاً، ظهرت بين القرنين الأول والرابع للميلاد.[14]

ويبدو من كثرة تلك الأناجيل أن المسيحيين ــ بعد رفع السيد المسيح ــ قد انقسموا إلى فرق متعددة، لكل فرقة إنجيل خاص بها تتعبد به، واستمر الحال كذلك حتى تم اعتماد الأناجيل الأربعة الحالية، في مجمع نيقية سنة 325 م ، وفرضها بالقوة، وتحريم الأناجيل الأخرى. [15]

---

(11) محاضرات في النصرانية : صفحة 43.

(12) المصدر السابق صفحة 55.

(13) أضواء على المسيحية : صفحة 50.

(14) انظر قائمة بأسماء 46 إنجيلاً مرفوضاً في كتاب، المسيحية الحقة : للأستاذ علاء أبو بكر، صفحة 44. والمسيح في مصادر العقائد المسيحية : لأحمد عبد الوهاب. صفحة 36 وما بعدها.

(15) على النحو الذي سبق إيضاحه في صفحة 152 و153 في المبحث الرابع.

ومعنى هذا أنه لم يكن للمسيحيين بعد رفع السيد المسيح لمدة ثلاثة قرون، إنجيل واحد، أو مجموعه أناجيل معتمدة تشملهم جميعاً.

ونظراً لما تعرضت له الديانة المسيحية والمسيحيون من بطش وقهر واجتثاث، ومصادرة وتحريم أناجيلهم، على يد الإمبراطورية الرومانية لمدة قرنين ونصف من الزمان*، ومن قبلها على يد اليهود قبل رفع السيد المسيح وبعد رفعه، فإنه يستحيل على المسيحيين، تقديم سند متصل لأناجيلهم الأربعة التي يعتقدون بصحتها، والرسائل الملحقة بها.

دراسة موجزة عن كل إنجيل من الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها:

إنجيل متَّى:[16]

اسم المؤلف : يُعتقد أن مؤلفه متى، أحد تلاميذ السيد المسيح الاثني عشر، ويشتمل هذا الإنجيل على كل ما جاء في إنجيل مرقص تقريباً، مع تعاليم إضافية أخرى للسيد المسيح عليه السلام.

لغة الإنجيل الأصلية : كتبه مؤلفه متى باللغة الآرامية ـ التي كانت سائدة في فلسطين آنذاك ـ أو باللغة العبرية.

الجهة التي أُلف الإنجيل لها : أُلف هذا الإنجيل لبني إسرائيل، الذين كانوا ولازالوا إلى اليوم، ينتظرون ظهور مسيحٍ (نبي) الذي جاءت النبوءات عنه في التوراة والأسفار الملحقة بها، والذي كانوا يتصورون أن يكون منهم

---

* كما سبق تفصيله في المبحث الرابع.

(16) انظر محاضرات في النصرانية : لمحمد أبو زهرة. صفحة 43 وما بعدها. والمسيح في مصادر العقائد المسيحية : أحمد عبد الوهاب. صفحة 57 وما بعدها. ومقارنة الأديان ـ المسيحية ـ أحمد شلبي. صفحة 211 وما بعدها. والمسيحية الحقة : علاء أبو بكر. صفحة 64 وما بعدها. والروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 40.

ليقودهم ـ حسب اعتقادهم ـ إلى إعادة ملكهم الضائع زمن سليمان عليه السلام، لذا فقد أبدى متى في إنجيله الموجه لهم، اهتماماً واضحاً لإثبات أن يسوع ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ـ هو ذلك المسيح المنتظر، وذلك بإسقاط تلك النبوءات على السيد المسيح.

فلما لم يتحقق من تلك النبوءات شيء في حياة السيد المسيح، عزا متى تلك النبوءات للمجيء الثاني المنتظر للسيد المسيح، علماً بأن السيد المسيح، لم يدَّعِ قط أنه هو النبي المنتظر.[17]

تاريخ تأليف الإنجيل : غير معروف، وهناك عدة تواريخ وضعها علماء مسيحيون غربيون لتحديد زمن تأليفه، تتراوح ما بين سنة 37م إلى سنة 80م.

مكان تأليف الإنجيل : غير معروف.

النسخة الأصلية للإنجيل : مفقودة، والموجود بيدهم اليوم ترجمة له باللغة اليونانية، وحتى هذه الترجمة ليست هي الترجمة الأصلية، فقد ضاعت هذه بدورها، والموجود بيدهم اليوم، نسخ منسوخة عن ترجمات على مر القرون.

اسم مترجم النسخة الأصلية : مترجمة من لغته الأصلية إلى اللغة اليونانية، مجهول الهوية.

تاريخ الترجمة : مجهول.

مكان الترجمة : مجهول.

---

(17) النبوءات المذكورة في التوراة والأسفار الملحقة بها، لا تنطبق بأي حال من الأحوال، على عيسى ابن مريم عليه السلام، ولا على غيرة من الأنبياء، بل تنطبق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، مهما حاولوا طمسها. انظر بعضاً من تلك النبوءات من العهدين القديم والجديد، في المبحث الثامن، صفحة 288 وما بعدها.

إنجيل مرقص: [18]

اسم المؤلف : يُقال إن مؤلفه مرقص ـ أو مرقس ـ ويُقال أن هذا لقبه، وأن اسمه يوحنا، ولم يكن مرقص من تلاميذ السيد المسيح، ولكنه كان من السبعين شخصاً، الذين يقال إن السيد المسيح اختارهم لتبليغ رسالته، وهناك من يقول: إنه لم يكن منهم، وإنه لم ير السيد المسيح، ولكنه كان تابعاً لبطرس ـ كبير التلاميذ ـ ويقال : إنه أول الأناجيل تأليفاً، وإن كان يأتي بعد إنجيل متى بالترتيب، وهو أقصر الأناجيل، ويقال : إن متى ولوقا نقلا من هذا الإنجيل وألفا إنجيليهما.

لغة الإنجيل الأصلية : كتبه مؤلفه مرقص باللغة اليونانية.

الجهة التي أُلف الإنجيل لها : لا تُعرف الجهة التي أُلف هذا الإنجيل لها.

تاريخ تأليف الإنجيل : غير معروف، وهناك عدة تواريخ وضعها علماء غربيون مسيحيون لتحديد زمن تأليفه، تتراوح ما بين سنة 56م إلى سنة 70م، أو بعدها بقليل.

مكان تأليف الإنجيل : غير معروف.

النسخة الأصلية للإنجيل : مفقودة، والترجمة الأصلية مفقودة أيضاً، والموجود بيدهم اليوم، نسخ عن ترجمات، منسوخة عن ترجمات على مر القرون.

اسم ناسخ النسخة الأصلية : مجهول الهوية.

تاريخ النسخ : مجهول.

مكان النسخ : مجهول.

---

(18) انظر محمد أبو زهرة : صفحة 47 و48. وأحمد شلبي : صفحة 212 و213. وأحمد عبد الوهاب: صفحة 51 وما بعدها. وعلاء أبو بكر : صفحة 56 وما بعدها. والروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 40 و41.

إنجيل لوقا: [19]

اسم المؤلف : يُقال إن مؤلفه لوقا، وأنه وُلد في أنطاكية، ويُقال إنه كان رومانياً نشأ في إيطاليا، ويقال إنه كان طبيباً، ويقال إنه كان مصوراً، وهو ليس يهوديا، ولم يكن لوقا من تلاميذ السيد المسيح، بل كان تلميذا لشاول (بولس الرسول) ورفيقا له.

يبدأ لوقا إنجيله، موجهاً كلامه إلى شخص اسمه ثاوفيلس، الذي يبدو أنه ذو مكانةٍ في مجتمعه، إذ يقول : "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به". هذا ويشتمل إنجيل لوقا، على حوالي نصف إنجيل مرقص، مع وجود معلومات لم ترد في الأناجيل الأخرى.

لغة الإنجيل الأصلية : كتبه مؤلفه لوقا باللغة اليونانية.

الجهة التي أُلف الإنجيل لها : كتبه مؤلفه لأهل أثينا ـ عاصمة اليونان حالياً ـ .

تاريخ تأليف الإنجيل : غير معروف، وهناك عدة تواريخ وضعها علماء مسيحيون غربيون لتحديد زمن تأليفه، تتراوح ما بين سنة 53 م إلى 85 م.

مكان تأليف الإنجيل : غير معروف.

النسخة الأصلية للإنجيل : مفقودة، والترجمة الأصلية مفقودة أيضاً، والموجود بيدهم اليوم، نسخ عن ترجمات، منسوخة عن ترجمات على مر القرون.

اسم ناسخ النسخة الأصلية : مجهول الهوية.

تاريخ النسخ : مجهول.

مكان النسخ : مجهول.

(19) انظر محمد أبو زهرة : صفحة 48 وما بعدها. وأحمد شلبي : صفحة 209 و210 (نقلاً عن جرجس زوين، ويوسف الدبس الخوري) وصفحة 215. وأحمد عبد الوهاب : صفحة 62 وما بعدها. وعلاء أبو بكر : صفحة 47 وما بعدها. والروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 41.

إنجيل يوحنا:[20]

اسم المؤلف : يُقال إن مؤلفه يوحنا بن زبدي، صياد السمك، أحد تلاميذ السيد المسيح عليه السلام، وهناك من ينقض ذلك من محققي المسيحيين، ومنهم دائرة المعارف البريطانية، حيث تذكر : "أن كاتب هذا الإنجيل يوحنا آخر، ادعى أنه يوحنا تلميذ المسيح، إذ إن كاتب هذا الإنجيل له دراية بالفلسفة. كما أن هذا الإنجيل يختلف كثيراً عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، حيث يتكرر فيه ذكر ألوهية المسيح بكل وضوح".

لغة الإنجيل الأصلية : كتبه مؤلفه باللغة اليونانية.

الجهة التي أُلف لها الإنجيل : كتبه مؤلفه لأهل آسيا الصغرى ـ تركيا ـ حيث يُقال إن مجموعة من الأساقفة في آسيا الصغرى، طلبوا من يوحنا أن يؤلف إنجيلا يذكر فيه ألوهية المسيح، التي كانت تخلو منه الأناجيل الأخرى في ذلك الوقت، وذلك للرد على الطوائف المسيحية التي كانت تنكر ألوهية المسيح، مما يدل على كثرة المسيحيين الموحدين والمؤمنين ببشرية المسيح عليه السلام.

تاريخ تأليف الإنجيل : غير معروف، ويقدر الباحثون تاريخ تأليفه، ما بين عامي 90 و110م.

مكان تأليف الإنجيل : غير معروف.

النسخة الأصلية للإنجيل : مفقودة، والترجمة الأصلية مفقودة أيضاً، والموجود بيدهم اليوم، نسخ عن ترجمات، منسوخة عن ترجمات على مر القرون.

اسم ناسخ النسخة الأصلية : مجهول الهوية.

تاريخ النسخ : مجهول.

مكان النسخ : مجهول.

---

(20) انظر محاضرات في النصرانية : لمحمد أبو زهرة. صفحة 50 وما بعدها. ومقارنة الأديان ـ المسيحية ـ للدكتور أحمد شلبي. صفحة 215 وما بعدها. والمسيح في مصادر العقائد المسيحية : أحمد عبد الوهاب. صفحة 69 وما بعدها. والمسيحية الحقة : علاء أبو بكر صفحة 85 وما بعدها. والروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 42.

الرسائل الملحقة بالأناجيل[21]:

ملحق بالأناجيل الأربعة، اثنتان وعشرون رسالة، بالإضافة إلى رؤيا يوحنا اللاهوتي أو السفر النبوي. وتعتبر هذه الرسائل جزء لا يتجزء من الكتاب المقدس للمسيحيين، الذي يطلقون عليه اسم العهد الجديد. وأول تلك الرسائل، رسالة أعمال الرسل، ومؤلفها لوقا، هو نفس مؤلف الإنجيل الثالث الذي يحمل اسمه، وهي أطول رسالة من بين جميع الرسائل، إذ تحتوي على ثمانية وعشرين إصحاحاً.

ثم يأتي بعدها بالترتيب، أربع عشرة رسالة تنسب إلى شاول (بولس)، وتمثل حوالي 64 ٪ من مجموع الرسائل، وتعتبر أهمها على الإطلاق، وذلك لمكانة كاتبها المميزة عند المسيحيين، حيث تحتوي على سيرته وتوجيهاته ومواعظه لاتباعه، وشرح لعقائد الديانة التي أخذ ينشئها على أنقاض رسالة السيد المسيح عليه السلام، بعد رفعه[22]. ويُقدر أن شاول (بولس) قد كتب أولى رسائله في سنة 55 ميلادية، أي بعد رفع السيد المسيح عليه السلام، بحوالي 22 إلى 24 سنة. وهذا يعني أن تأليف (بولس) لرسائله، قد سبق تأليف جميع الرسائل والأناجيل الأربعة.

يقول الدكتور المسيحي (أسد رستم) عن تاريخ تأليف (بولس) لرسائله: «جميعها دُون ما بين سنة 52 وسنة 66 للميلاد»[23].

وقد كُتبت جميع الرسائل باللغة اليونانية – كما يقول مؤرخوهم – وهناك شكوك لدى بعض الباحثين، حول نسبة بعض الرسائل إلى مؤلفيها، وإلى

---

(21) انظر محاضرات في النصرانية: للشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 67 وما بعدها. والمسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبدالوهاب. صفحة 17 و 31. ومقارنه الأديان: للدكتور أحمد شلبي. صفحة 205 وما بعدها. والروم: للدكتور أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 41 و 42 ..

(22) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 101 وما بعدها من المبحث الثالث.

(23) الروم: صفحة 41 .

قوة سندها وقيمتها من حيث الاستدلال بها إلى الدين المسيحي الحالي. وقد حرم مجمع نيقية الذي عُقد في سنة 325م، عدداً من الرسائل ولم يعترف بها، ثمن جاء مجمع لوديسيا في سنة 364م، فأعاد الاعتراف بتلك الرسائل، وأضافها إلى الرسائل الملحقة بالأناجيل [24].

هذا ويلاحظ أن جميع النسخ الأصلية للرسائل مفقودة، وكذلك جميع التراجم الأصلية لها مفقودة أيضاً، مثل الأناجيل الأربعة.

رؤيا يوحنا اللاهوتي : [25]

يمكن اعتبارها الرسالة الثالثة والعشرين الملحقة بالأناجيل، ويسمونها رؤيا يوحنا أو السفر النبوي، حيث يدعي يوحنا، أن المسيح أراه هذه الرؤيا عن طريق ملاك أرسله له، وأن وقت وقوع هذه النبوءة قد اقترب.

وهي تختلف عن الرسائل الأخرى، في أنها تظهر ألوهية المسيح وسلطانه في السماء، والناس يعرضون أمامه كإله يوم القيامة، وتظهر الملائكة خاضعين للمسيح ولله، كما تصور الإله شيخاً أشيب لابساً حزاماً من ذهب، وعيناه كلهب نار، وفي يديه سبعة كواكب، وسيف ذو حدين يخرج من فمه، كما تصور المسيح على هيئة خروف مذبوح، له سبعة قرون وسبع أعين، وهي أشبه بأحلام اليقظة، ويقدر تاريخ كتابتها بنحو سنة 95 م.

---

(24) سيأتي تفصيل ذلك في صفحة 192 و193 من هذا المبحث.

(25) انظر محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة. صفحة 67 و68. ومقارنة الأديان ـ المسيحية ـ الدكتور أحمد شلبي. صفحة 206. والروم : أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 42.

ملاحظات على الأناجيل الأربعة:

من استعراض ما جاء عن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، التي بيد النصارى اليوم، يتضح لنا بكل وضوح وجلاء، أنه لا توجد عند النصارى معلومات يقينية ودقيقة ومؤكدة عن أناجيلهم الأربعة، في الأمور الأساسية والمهمة التالية :[26]

أولاً :

1. الشخصيات الحقيقية لمؤلفي هذه الأناجيل، غير مؤكدة على وجه اليقين، كما أن الأناجيل لا تحمل الأسماء الكاملة لأولئك المؤلفين.
2. اللغة الأصلية التي ألفت بها بعض الأناجيل غير مؤكدة.
3. الجهة التي أُلف لها إنجيل مرقص غير معروفة.
4. تاريخ تأليف كل إنجيل غير معروف على وجه الدقة.
5. المكان الذي تم فيه تأليف كل إنجيل غير معروف.
6. لم يذكر أي واحد من مؤلفي الأناجيل، أنه ألف إنجيله بوحي من الروح القدس.
7. لا يوجد أي إنجيل من الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم، بلغته الأصلية التي أُلف بها، فالنسخ الأصلية لجميع الأناجيل الأربعة مفقودة.

والأناجيل التي بيدهم اليوم عبارة عن نسخ عنها، وحتى هذه النسخ ليست هي النسخ الأصلية، فقد فقدت هذه بدورها، والموجود بيدهم اليوم نسخ مترجمة، ترجمت بعد عدة قرون من تاريخ النسخ أو الترجمات الأصلية.

8. نظراً إلى أن إنجيل متى قد أُلف باللغة الآرامية أو العبرية، فإن المترجم الأول للنص الأصلي لهذا الإنجيل غير معروف، ولا تعرف مهنته، ولا مدى

(26) سبقت الإشارة في صفحة 42 وما بعدها في المبحث الثاني، أنه لا توجد عندهم معلومات يقينية ومؤكدة عن السيد المسيح عليه السلام.

علمه وتقواه بالدين، وعلمه وتمكنه من اللغة التى ترجم منها النص الأصلي، واللغة التي ترجم إليها ذلك النص. كما أن نُساخ جميع الأناجيل على مدى القرون المتعاقبة غير معروفين.

9. لغة أقدم نسخ لجميع الأناجيل التي بيد المسيحيين اليوم، هي اللغة اليونانية، علماً أن السيد المسيح وأمه وتلاميذه وأتباعه، كانوا يتكلمون اللغة السائدة في فلسطين آنذاك، وهي اللغة الآرامية أو العبرية.[27]

ثانيـاً :

1. لا توجد في الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، معلومات يقينية مؤكدة، أو أدلة أو براهين أو إثباتات عقلية على الإطلاق، على صحة ما جاء فيها من قصص وادعاءات تشمل العقائد والشرائع، والوحي الذي ينزل على كثير منهم ... إلخ، فهي والإثباتات والبراهين على صحة ما جاء فيها، على طرفي نقيض، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

قصة تحول شاول المفاجئ، من عدو للمسيح وأتباعه، إلى رسول مرسل من قِبَلِ المسيح نفسه ـ بعد رفعه ـ وزعمه أن المسيح ابن الله، وأنه أوحى إليه إنجيلا. [28]

2. هناك مفاصل كثيرة ومهمة، في الديانة المسيحية الحالية وعقائدها وشرائعها، تعتمد على الرؤى والأحلام، وسيجد القارئ ذلك مبثوثاً في أناجيلهم الأربعة والرسائل الملحقة بها مثل: أعمال الرسل 10/1 ـ 5، و9 ـ 16. [29]

---

(27) انظر حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث : للأستاذ عباس محمود العقاد. صفحة 66. وتقرير علمي : للدكتور محمد عمارة. صفحة 33.

(28) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 83 وما بعدما من المبحث الثالث.

(29) انظر أيضاً ما جاء في صفحة 48 من المبحث الثاني، وصفحة 85 وما بعدها من المبحث الثالث. وما جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي، المذكورة في صفحة 186 من هذا المبحث.

ثالثاً :

من الواضح أن مؤلفي الأناجيل بصورتها الأصلية، وقبل أن تمتد إليها الأيدي بالتحريف على مر القرون ـ من حذف أو إضافة أو تغيير، بقصد أو من دون قصد ـ كانوا يكتبون ذكرياتهم مع السيد المسيح، أو عما سمعوه من الذين شاهدوا المسيح وآمنوا به، أي أنهم كانوا يكتبون ما يمكن أن يطلق عليه تجاوزاً : سيرة لحياة وأقوال وأفعال السيد المسيح عليه السلام.

ولم يكن يدور بخلد أي منهم، أنه يكتب كتاباً سيكون مقدساً ذات يوم، أو أنه كان يكتب بإلهام أو بوحي من السماء، فلم يدّعِ أي منهم أنه قد تلقى وحياً من السماء، قبل أو أثناء كتابته لإنجيله، ومن الأدلة المهمة في هذا الخصوص، ما جاء في مقدمة إنجيل لوقا.[30]

والشيء نفسه ينطبق على كتبة الرسائل الملحقة بالأناجيل، باستثناء بولس، الذي زعم أنه تلقى وحياً من المسيح، وأحياناً يدعي أنه تلقى الوحي من الله.

رابعـاً :

عندما تتصفح أي إنجيل من الأناجيل الأربعة ـ من أوله إلى آخره ـ تفاجأ بأنه لا تسوده وجهة نظر واحدة أو عقيدة واحدة، وكذلك عندما تقارن الأناجيل بعضها مع بعض، أو مع الرسائل الملحقة بها، تخرج بالانطباع نفسه، وهو أنه لا تسودها وجهة نظر واحدة أو عقيدة واحدة محددة.

فهي تحتوي على خليط غير متجانس، من العقائد والقصص المتنافرة والمتضادة والمضطربة التي يهدم بعضها بعضاً، كما لو كان كل إنجيل قد كتب بواسطة عدة أشخاص، ومن دون ترتيب أو تنسيق بينهم، مما يدل على

(30) انظر صفحة 183 من هذا المبحث.

كثرة التغيير والتبديل بالحذف والإضافة، الذي تعرضت له تلك الأناجيل ـ بقصد ودون قصد ـ على مَرّ القرون.

كما يلاحظ أنه لا توجد في الأناجيل الأربعة، رواية متسلسلة ومترابطة عن الأحداث المتعلقة بحياة السيد المسيح عليه السلام، بل مقتطفات لا رابط بينها، كما أنها تختلف في سردها أو في تفاصيلها من إنجيل إلى آخر، وقد ينفرد بعضها بذكر أحداث تغفلها الأناجيل الأخرى أو بعضها، ومن تلك الأحداث المهمة، التي أغفل مرقص ويوحنا ذكرها في إنجيليهما، موضوع مولد السيد المسيح وطفولته، هذا بالإضافة إلى أن النصوص المنسوبة إلى السيد المسيح في الأناجيل والرسائل الملحقة بها قليلة جداً.
يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) عن الأناجيل الأربعة :"إنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها، التي يجب أن تتوفر لكتاب سماوي، أو تعاليم نبي" .[31]

هذا بالإضافة إلى أن الأناجيل تحتوي على معلومات أو أحداث، إما أنها تختلف أو تتعارض مع بعضها، ولكنها ـ أي الأناجيل ـ تتشابه في حشدها لِكَمٍ من المعجزات والحِكَم والوعظ والإرشاد التي تنسبها إلى السيد المسيح، من دون الالتزام بالظروف والأحداث التي جاءت تلك المعجزات والحِكَم والمواعظ في سياقها، مما يشير إلى أن مؤلفي تلك الأناجيل، لم يهتموا بفرز وتنقيح الروايات الشفهية التي سمعوها قبل تدوينها،[32] أو أن ذلك كان بسبب الأيدي التي امتدت إليها فيما بعد بالتحريف والتبديل.

ويلاحظ أيضاً أن روايات الأناجيل لا تُكَمّل بعضها بعضاً، على عكس ما يدعيه القساوسة والمُنَصّرون. كما أنها تخلو من كيفية أداء العبادات،

(31) أضواء على المسيحية : صفحة 51.

(32) للمزيد من التفاصيل انظر، المسيحية نشأتها وتطورها : لشارل جينيبر. صفحة 36 وما بعدها.

ومن التشـريعات الاجتماعية، أو المتعلقة ببناء الدولة بمؤسساتها المختلفة.

وقد زاد الطين بلة، ضياع النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة، فالترجمة ليست كالأصل، ومهما أوتي المترجم من فن وبراعة، في اللغة التي ينقل منها، واللغة التي ينقل إليها ـ مع افتراض حسن النية لأقصى مدى ـ فإن كثيراً من الكلمات والتعبيرات تفقد معانيها ورموزها الدقيقة، بالإضافة إلى فقد قوتها ورونقها، عند نقلها من لغتها الأصلية إلى لغة أخرى، ويزداد التأثير السلبي لهذا العامل في النص، كلما ترجمت الترجمة إلى لغة أخرى.

كما يلاحظ أن هذه الأناجيل الأربعة، تحتوي على نبوءات أو بشارات، على الرغم مما أصابها من تحريف، إلا أنها لا تنطبق إلا على سيد البشر محمد ﷺ، مما يدل على أن مؤلفي هذه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، قد نهلوا أو استعانوا بطريقة ما، من الإنجيل الموحى إلى السيد المسيح عليه السلام، والله أعلم.

من هو كاتب إنجيل متى ؟

جاء في إنجيل متى 9/9 "وفيما يسوع مجتازاً من هناك، رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى فقال له : اتبعني فقام وتبعه".

نلاحظ هنا أن كاتب إنجيل متى، يستخدم ضمير الغائب، بدلاً من ضمير المتكلم، عندما يتحدث عن رؤية يسوع لمتى.

ولو كان متى حواري المسيح هو كاتب هذا الإنجيل، لكان قال : وبينما كان يسوع مجتازاً من هناك، رآني جالساً فقال لي : اتبعني فتبعته.

مما يلقي ظلالاً من الشك، على الشخصية الحقيقية لمؤلف إنجيل متى.

هذا وقد توصل العلماء الغربيون المسيحيون الذين درسوا المسيحية، إلى أن كاتب إنجيل متى قد اعتمد على إنجيل مرقص إلى حد كبير وبتصرف. فكيف يعتمد رجل يعتبر أحد حواريّي السيد المسيح مثل متى، على النقل عن إنجيل مرقص، الذي لم يكن من حواريّي السيد المسيح؟

عدد الأناجيل في نهاية القرن الأول الميلادي :

بلغ عدد الأناجيل المتداولة بيد المسيحيين ـ بعد حوالي قرن من رفع السيد المسيح عليه السلام ـ إلى ما يفوق سبعين إنجيلاً. وفي مجمع نيقية الذي انعقد في عام 325 م، اختار المجمع أربعة أناجيل فقط، وحرم الأناجيل الأخرى إذ اعتبرها مزيفة وأمر بإحراقها، وأصدر عقوبات تصل إلى حد الإعدام لمن توجد في حوزته.

ولا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع نيقية، في عدم الاعتراف ببقية الأناجيل؟ وما سبب إصدار تلك العقوبة المغلظة، بحق من يوجد بحوزته أحد تلك الأناجيل؟

كما حرم مجمع نيقية أيضاً، عدداً من رسائل الرسل ولم يعترف بها مثل :

أ. رسالة بولس إلى العبرانيين.

ب. رسالة بطرس الثانية.

ج. رسالة يوحنا الثانية.

د. رسالة يوحنا الثالثة.

هـ. رسالة يعقوب.

و. رسالة يهوذا.

ز. رؤيا يوحنا اللاهوتي، التي تسمى السفر النبوي.

ثم جاء مجمع لوديسيا في سنة 364 م، فأعاد الاعتراف بتلك الرسائل، علماً أنه ليس لهذه الرسائل سند متصل، فهي لم تعرف إلا على لسان أنيوس عام 200م، وكليمنس عام 216 م.

ولا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع نيقية، في تحريم تلك الرسائل وعدم الاعتراف بها؟ كما لا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع لوديسيا، في تخطئة مجمع نيقية، وإعادة الاعتراف بتلك الرسائل ؟

إن المرء ليتساءل : ألا يوجد احتمال، أن بعض الأناجيل التي حُرِّمت وأحرقت بأمر من مجمع نيقية، قد حرمت بغير وجه حق ؟ وأنها لو كانت بين يدي المجامع التالية، لربما أعادوا الاعتبار لها أو لبعضها، مثلما أعادوا الاعتبار لبعض الرسائل في مجمع لوديسيا، الذي عقد في سنة 364م، التي سبق لمجمع نيقية أن حرَّمها.

كيف دخلت الأخطاء والتحريفات في الأناجيل الأربعة

لقد تعرضت الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، على مدى القرون المتعاقبة، للأخطاء والتلاعب والتحريف والتغيير ـ بالحذف والإضافة بقصد ومن دون قصد ـ بالطرق الآتية :

1. إذا أراد أحدهم أن يقوم بعمل نسخة من أحد الأناجيل أو كلها، فمن الطبيعي أن يقترف العديد من الأخطاء والتحريفات غير المقصودة، كإغفال كلمة أو جملة أو سطر أو حتى فقرة، حيث قد تنتقل عين الناسخ من إحدى الكلمات، إلى كلمة أخرى مثلها تماماً، توجد في جملة أو فقرة على بعد سطر أو عدة أسطر منها، مهملة ـ دون وعي منها ـ كل ما بينهما.

2. ومن المحتمل أيضاً، أن يصادف الناسخ أحرفاً أو كلمات أو جملاً مكتوبة بطريقة غير واضحة، أو يمكن قراءتها بطريقتين مختلفتين، حيث تعطي كل قراءة معنى مختلفاً عن الأخرى، فيقوم الناسخ باختيار المعنى الذي ظن أنه الأنسب، أو قد يتصرف من تلقاء نفسه بوضع كلمة أو جملة أخرى مكان تلك الكلمة أو الجملة غير الواضحة، أو التي ظن أنها خطأ، أو بما يتوافق مع ما يعتقده.

3. قد يضع الناسخ تعليقاً أو شرحاً على هامش النص الذي ينسخه، فإذا جاء ناسخ آخر، أدخل ذلك التعليق أو الشرح في صُلب نسخته التي يقوم بنسخها، أو قد يقوم هذا الناسخ بإدخال ما يعتبره تصحيحاً أو تفسيراً على النص حسب فهمه له، فإذا جاء ناسخ آخر لعمل نسخة من ذلك الإنجيل، فإنه سيقوم بنقل كل تلك الأخطاء والإضافات والتحريفات، التي ارتكبها الناسخ الذي قبله إلى نسخته، لأنه سيظنها صحيحة دون أن يعلم حقيقتها.

هذا بالإضافة إلى أنه سيقوم بدوره بارتكاب أخطاء جديدة بالنقل غير مقصودة، فإذا أراد ناسخ آخر أن ينسخ ذلك الإنجيل، فإنه سيقوم بنقل أخطاء الذين سبقوه في نسخته، بالإضافة إلى اقترافه هو أخطاء إضافية غير مقصودة في نسخته، وهكذا دواليك.

كما كان للمصححين دور في عملية تحريف الأناجيل، إذ لم يكن عملهم يقتصر دوماً على التأكد من إعادة كتابة النصوص كما كانت، أو كما وصلت إليهم. ونظراً إلى أنهم لا يحفظون أناجيلهم عن ظهر قلب، لذا فإن من المستحيل على الناسخ أو المصحح أو القارئ لنسخته، أن يتعرف على الأخطاء والتحريفات والإضافات المرتكبه في تلك النسخة.

4. بواسطة القساوسة والرهبان والنساخ، على مدى القرون المتعاقبة، فإذا ما تقررت عندهم عقيدة ما، رجعوا إلى الأناجيل فأضافوا إليها تلك العقيدة، أو أخرجوا منها ما يتعارض معها، أو بدلوا وغيروا الكلمات، لكي تتواءم مع وجهات نظرهم أو اعتقاداتهم، والفِرَق التي ينتمون إليها.

وفي كل الأحوال، يستوي التحريف في كتبهم المقدسة، إن كان قد تم عن قصد أو من دون قصد، فالنتيجة واحدة، وهو أن تحريفاً قد وقع في كتبهم المقدسة.

إن المرء ليتساءل باستغراب وأسى : عما إذا كان ضياع الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى، إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم ضياع النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة التي يعترف بها المسيحيون اليوم، ثم ضياع ترجماتها الأصلية ، هو مجرد صدفة بحتة ؟

مقتطفات مما قاله بعض الباحثين عن تاريخ الأناجيل وتعرضها للتحريف :

1. يقول (ول ديورانت) : "وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي 60م إلى 120م، ثم تعرضت بعد كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود، يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ" (33) .... ويستطرد (ول ديورانت) قائلاً : "ومِلاكُ القول، أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقاطاً (مواضيع) تاريخية مشكوك في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة، والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين. و(فيها) كثير من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد، لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة، ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة، أو طقس متأخر من طقوسها".... إلى أن يقول : "ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب، قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح".(34)

2. يقول الدكتور (جورج بردفورد كيرد) عن مخطوطات الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها : "كان يحفظ النص في مخطوطات نسختها أيدٍ مجهدة لكتبة كثيرين. ويوجد اليوم من هذه المخطوطات أربعة آلاف وسبعمائة (4700) ما بين قصاصات من ورق، إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش... ويستطرد قائلاً : إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافا كبيراً، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أياً منها قد نجا من الخطأ. ومهما

---

(33) قصة الحضارة : الجزء 11، صفحة 207.

(34) المصدر السابق. صفحة 210.

كان الناسخ حي الضمير، فإنه ارتكب أخطاء، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية، وإن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام، قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة". [35]

3. يقول (جوستاف لوبون) : "وعلى ما نراه من معرفتنا بما فيه الكفاية لحياة كثير من مؤسسي الأديان كحياة محمد مثلاً، نرى حياة مؤسس النصرانية ــ السيد المسيح ــ مجهولةً تقريباً، ولا تبحث عن حياة مؤسس النصرانية في الأناجيل، كما صنِع ذلك زمناً طويلاً، وكما عَدَلَ العلم عن اعتقاد إمكانها في الوقت الحاضر، فهذه الأناجيل، وأقدمُها إنجيل مرقص، الذي كُتِبَ بعد وفاة يسوع بنصف قرن على الأقل، هي مجموعة من الأوهام، والذكريات غير المحققة، التي بسطها خيال مؤلفيها التقي. ورسائل القديس بولس هي كما يبدو، أقل الوثائق عدم صحة، في تمثل أزمنة النصرانية الأولى، ولكن بولس إذ لم يعرف يسوع، لم يستطع أن يتكلم عنه إلا سيراً مع العنعنات والخيال. وعلى ما نراه في تلك المصادر من نقص، فإننا نستشف منها على الأقل، ما كان يدور في زمن يسوع من المبادئ، ونعلم منها أن هذا الإله المقبل ــ يسوع ــ لم يعد نفسه إلهاً قط، ولا مؤسساً لدين جديد". [36]

4. يقول المهندس (أحمد عبد الوهاب) : "لقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة، وكلما مرت عشرات من السنين، ظهرت الأناجيل نفسها بنصوص مخالفة لما عرفت به من قبل، وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ". [37]

---

(35) القديس لوقا : صفحة 32. عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية : للأستاذ أحمد عبد الوهاب صفحة 41.

(36) حياة الحقائق : صفحة 62 و63.

(37) المسيح في مصادر العقائد المسيحية : أحمد عبد الوهاب. صفحة 39.

مغالطات:

مع كل تلك الشواهد والحقائق الدامغة، إلا أن القساوسة والمنصرين والمستشرقين ومن لف لفهم، لا زالوا يكابرون ويزعمون أن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها التي بأيديهم اليوم، قد وصلت إليهم من دون أي تغيير أو تحريف على الإطلاق، كما كتبها مؤلفوها بإلهام من الروح القدس.

كما يزعمون أن روايات الأناجيل تكمل بعضها بعضاً، على عكس الحقيقة والواقع. وذلك في محاولة يائسة منهم، لإعطاء هذه الكتب درجة من الموثوقية والمصداقية، وقد يستشهدون بما جاء في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس 16/3 "كل الكتاب هو موحى به من الله".[38]

ولكن مزاعمهم تلك تذهب هباء منثوراً، إذ يستحيل البرهنة على صدقها وموثوقيتها وعدم تحريفها، أمام الحقائق المادية الدامغة المعاكسة لها.

(38) يرجى ملاحظة أن تأليف بولس لرسائله، قد سبق تأليف الأناجيل والرسائل الملحقة بها، بما لا يقل عن ربع قرن. انظر صفحة 185 من هذا المبحث.

إنجيل برنابا

هو أحد الأناجيل التي تم رفضها في مجمع نيقية، واعتبرت مزيفة وغير قانونية، يجب إحراقها وعدم اطلاع المسيحيين عليها، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام.

ومؤلف هذا الإنجيل اسمه (برنابا) أحد تلاميذ السيد المسيح، وهو خال (مرقص) صاحب الإنجيل الذي يحمل اسمه. وهو رجل ثقة، فقد أرسله تلاميذ السيد المسيح، إلى أنطاكية للتبشير هناك كما جاء في أعمال الرسل 22/11. وجاء عنه في أعمال الرسل 24/11 أنه كان "رجلاً صالحاً مملوءاً من الروح القدس والإيمان*".

وقد أصدر البابا جلاسيوس الأول (492 ـ 496م) قراراً يشمل قائمة بالأناجيل التي اعتبرها محرمة، ولا يجوز اطلاع المسيحيين عليها، وكان من ضمنها إنجيل برنابا. وقد اختفى هذا الإنجيل ولم يظهر له أثر منذ ذلك الوقت، حتى أواخر القرن السادس الميلادي، حيث يقال إن أحد الرهبان الكاثوليك في الفاتيكان، اسمه (فرامرينو) قرأ عن هذا الإنجيل، فأخذ يبحث عنه حتى وجده في مكتبة بابا الفاتيكان سكتس الخامس (1585 ـ 1590م) فأخذه خفية وقرأه فأسلم.[39] ثم اختفت آثار هذا الإنجيل مرة أخرى، إلى أن وجدت نسخة منه باللغة الإيطالية، عثر عليها (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا سنة 1709م، ثم انتقلت هذه النسخة إلى البلاط الملكي في فينا، ومن هذه النسخة ترجمت إلى اللغات الأخرى.

---

* تكرر ذكر اسم برنابا والأعمال التي قام بها، في أعمال الرسل 36/4 و37، و27/9، و1/13، و13 ـ 15 و46 ـ 51، و1/15 ـ 23 و26 ـ 35.

(39) من مقدمة مترجم إنجيل برنابا إلى اللغة العربية. خليل سعادة. تحقيق سيف الله أحمد فاضل. صفحة 18 وما بعدها.

يناقض إنجيل برنابا، العقائد التي يؤمن بها المسيحيون اليوم فيما يلي:

1. ينفي ألوهية السيد المسيح، ويقر بأنه نبي مرسل من الله.
2. ينفي صلب السيد المسيح، ويقرر أن الله سبحانه وتعالى، قد رفع السيد المسيح قبل أن يصل أعداؤه إليه، وأن الذي صُلِب هو أحد تلاميذه الذي خانه، واسمه (يهوذا الإسخريوطي) حيث أصبح شبيهاً بالمسيح، بالوجه والصوت والشخصية، فَصُلِب مكانه.
3. يذكر أن الذي كان سَيُذبَح، هو إسماعيل عليه السلام، وليس إسحاق عليه السلام، كما يزعم اليهود والنصارى.
4. يذكر أن السيد المسيح، بَشَّر برسول يأتي من بعده اسمه محمد (صلى الله عليه وسلم).
5. يذكر أيضاً أن المسيح المنتظر، ليس عيسى ابن مريم، إنما هو محمد (صلى الله عليه وسلم).[40]

ميزة الباحث المسلم:

للباحث أو العالم المسلم الذي يبحث في موضوع النصرانية ورسولها عيسى ابن مريم عليه السلام، ميزة على غيره من الباحثين والعلماء من غير المسلمين، فالمسلم لديه القرآن الكريم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ سورة فصلت آية 42.

الذي فيه بيان شافٍ ووافٍ عن السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ورسالته، في حين أن هذا المصدر الإلهي، غير متوفر لغيره من الباحثين والعلماء غير المسلمين، وإن كان كثير منهم قد توصل أو كاد يصل إلى الحقيقة، عندما استخدم عقله، وتخطى حواجز الإلف والعادة.

(40) انظر محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة. صفحة 57 وما بعدها.

ومن هذا المنطلق فإن المسلم، حين يقرأ كتب العهدين القديم والجديد، يجد ما يصدمه من كلام غير معقول، أو لا يليق بمكانة وجلال الألوهية، ومع هذا فإنه يلاحظ فيها لمحات وضَّاءة من بقايا الوحي الإلهي، تبرق كما يبرق الحجر الكريم بين أكوام من الأتربة والأحجار.

وفي هذا السياق يقول الشيخ محمد الغزالي : "ونحن ـ المسلمين ـ لا نزعم أن ما ورد في أسفار العهدين القديم والجديد باطل محض، ففيها مزيج غامض مبهم من الخطأ والصواب".[41]

الشروط الواجب توفرها في الكتاب المقدس ذي المصدر السماوي ليكون حجة [42]

أولاً ـ عن الرسول المنزل عليه الكتاب المقدس :

1. أن يكون الرسول الذي أنزل عليه الكتاب، معروفاً معرفةً تامة من جهة نسبه وسيرته في جميع أحواله، منذ ولادته وحتى مماته، وأن يكون قد عُلم صدقه بلا ريب ولا شك.
2. أن تكون سيرة الرسول القولية والفعلية، مثلاً حياً وتطبيقاً عملياً لمحتوى الكتاب الذي أنزل عليه.
3. أن يقر الرسول بنسبة ذلك الكتاب إليه، وأنه قد أوحي إليه.
4. أن يدعم ذلك الرسول ادعاءه بمعجزة ـ أي بأمر خارق للعادة ـ يتحدى بها المنكرين والمكذبين، وأن يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز، وأن تثبت بالخبر المتواتر، بحيث لا يكون هناك مجال لتكذيبه، وأساس التواتر أن يروي جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، عن جمع يؤمن تواطئهم على الكذب، وهكذا حتى نصل إلى الرسول.

(41) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : صفحة 169.

(42) جزء منه مقتبس ـ بتصرف ـ من محاضرات في النصرانية : للشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 75 و76.

ثانياً ـ عن الكتاب المقدس :

1. أن يذكر الكتاب نفسه أنه موحى به من الله.

2. أن يذكر اسم الرسول الموحى إليه الكتاب، وأن تثبت نسبة الكتاب إلى الرسول، بطريقة قطعية لا لبس فيها ولا شك بطريق التواتر.

3. أن يذكر بوضوح لا لبس فيه ولا غموض، الغرض الأساسي من نزوله.

4. أن تكون مقاصده شريفة هادية، يقبلها العقل والفطرة السليمة للإنسان.

5. أن تكون أوامره ونواهيه وتعليماته، قابلة للتطبيق في الزمن أو الأزمان التي يقول الكتاب أنه جاء لها.

6. أن تتم كتابته في زمن الرسول الذي أنزل عليه، وبموافقته على ما جاء فيه.

7. أن يوجد بلغته الأصلية التي نزل بها.

8. أن يثبــت بالدليل القاطع، أن محتوياته قد وصلت إلينا بالتواتر، وأنها هي نفسها بالنص التي كانت عليه أيام الرسول الموحى بها إليه.

9. أن يخلو من التحريــف والتبديل بالزيادة والنقصان، أو أي خطأ مهما كان على الإطلاق.

10. ألا يكــون متناقضاً مضطربــاً يهدم بعضه بعضــاً، وأن يكون كل جزء منه متمماً ومكملاً للآخر، لأن ما يكون من الله لا يختلف ولا يتناقض.

11. ألا تتناقض محتوياته مع الحقائق الأساســية الثابتة في الكتب الســماوية التي سبقته.

12. ألا تتناقض محتوياته مع الحقائق الثابتة للعلم والكون على مر الزمان.

13. أن تتحقق أخباره وبشاراته.

14. أن تبشر الكتب التي سبقته بقدوم الرسول الذي سينـزل عليه هذا الكتاب المقدس.

15. أن تثبت محتوياته أمام الفحص والتدقيق أنها وحي من الله، وأن يزداد قوة وتألقاً على مر الزمن أو الأزمان، التي يقول الكتاب أنه جاء لها.

يرجى من القارئ النظر والتدقيق في الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ـ العهد الجديد ـ والعهد القديم، لمعرفة ما إذا كانت مستوفية لتلك الشروط، فإن لم تكن مستوفية لها، تطرق الشك والريب إليها من كل جهة، وتكون بذلك أشبه بالأساطير.

كيفية التعرف على الإصحاحات والجُمل في الأناجيل والرسائل الملحقة بها :

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد عن الأناجيل : "بأنها كتبت في الأصل مرسلة بغير أقسام، وبغير مواضع للوقف والإلحاق، ولم تقسم إلى إصحاحات قبل القرن الثالث عشر للميلاد".[43] ثم قسمت الأناجيل والرسائل الملحقة بها إلى إصحاحات أي فصول، وكل إصحاح وضع له رقم متسلسل 1، 2، 3... إلخ، وقسمت محتويات كل إصحاح إلى جمل أو فقرات، وكل جملة أو فقرة وضع لها رقماً متسلسلاً 1، 2، 3 ... إلخ.

فإذا وجدت العبارة التالية مثلاً (إنجيل متى 3/10 ـ 5) فذلك يعني الإصحاح العاشر، الجملة الثالثة حتى الجملة الخامسة من إنجيل متى. فالرقم الذي يأتي قبل الخط المائل، يدل على رقم الإصحاح أو الفصل، وهناك من يستخدم نقطتان فوق بعضهما بدلاً من الخط المائل. والرقم أو الأرقام التي تأتي بعد الخط المائل أو بعد النقطتين، تدل على رقم الجملة، أو أرقام الجمل متسلسلة إذا كان بينها خط أفقي، كما في المثال السابق، أما إذا وجدت فواصل بين الأرقام، فإنها تدل على أن أرقام الجمل غير متسلسلة.

(43) حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث : صفحة 175.

خاتمة المبحث

يتكون الكتاب المقدس عند النصارى اليوم من جزأين، الجزء اليهودي ويسمونه العهد القديم، ويتكون من التوراة بالإضافة إلى العديد من الكتب الأخرى، ولم يسلم هذا الجزء من التحريف.

والجزء المسيحي يسمونه العهد الجديد، ويتكون من أربعة أناجيل هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، بالإضافة إلى اثنتين وعشرين رسالة ملحقة بها، ويضاف إليها رؤيا يوحنا اللاهوتي أو السفر النبوي.

وقد أوحى الله سبحانه وتعالى، إلى السيد المسيح عليه السلام، إنجيلاً ورد ذكره في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم، كما يوجد في الأناجيل التي بيد المسيحيين اليوم، إشارات تدل بوضوح على أنه كان للسيد المسيح إنجيل يبشر به، ولكن هذا الإنجيل ضاع واختفت آثاره ولم يعد له وجود. ورجال الدين المسيحي على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، لا يعترفون أنه كان هناك إنجيلٌ موحى به للسيد المسيح، لأنه باعتقادهم إله وابن إله، فليس من المعقول أن يُنَـزِّلَ الإله كتاباً على نفسه، أو على ابنه.

والموجود بيد المسيحيين اليوم، أربعة أناجيل مع الرسائل الملحقة بها، وهي لم توحَ إلى السيد المسيح، ولم يكتبها أو يملها على كتابها، ولم يكلف أحداً منهم بكتابتها، كما أنه لم يرها أو يطلع عليها، لأنها لم تكن موجودة أثناء حياته، بل ألفت بعد رفعه بسنوات طويلة، كما أنها ليست منسوبة إليه، بل منسوبة إلى مؤلفيها: متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا.

وتشتمل الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم، على أخبار متناثرة عن السيد المسيح عليه السلام، من بدء الحمل به إلى ولادته، والمعجزات التي حدثت على يديه، وأقوال ومواعظ منسوبة إليه، وموقف اليهود الذين كذبوه ولم

يؤمنوا به، ورده عليهم، مروراً بالقبض عليه ومحاكمته وقتله على الصليب، ثم دفنه وقيامته من القبر بعد ثلاثة أيام ــ حسب اعتقادهم ــ ومكوثه أربعين يوماً، قبل رفعه إلى السماء، كما يلاحظ أن الأناجيل لا تحتوي على شريعة ولا قوانين.

وكل إنجيل من الأناجيل الأربعة، مستقل بذاته عن الأناجيل الأخرى، ولا يكمل أحدها الآخر، كما أن الأناجيل ــ منفردة أو مجتمعة ــ لا تحتوي على قصة أو سيرة متكاملة لحياة السيد المسيح، علماً أن النصوص المنسوبة إليه في تلك الأناجيل قليلة جداً.

هذا ولم تكن هذه الأناجيل الأربعة، هي الوحيدة التي تم تألفيها بعد رفع السيد المسيح، فقد كان هناك عشرات الأناجيل غيرها، بيد المسيحيين يتعبدون بها، إلى أن تم اختيار الأناجيل الأربعة، من بين تلك الأناجيل التي كان عددها يربو على السبعين إنجيلا، في مؤتمر نيقية في سنة 325 م، وتم فرضها على المسيحيين بسلطة الإمبراطور الروماني قسطنطين، واعتبار الأناجيل الأخرى، التي كان من ضمنها إنجيل برنابا، مخالفة للعقيدة التي اختارها ذلك المجمع ويجب إحراقها، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام.

وقد جدد البابوات الكاثوليك تحريم تلك الأناجيل، ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول (492 ــ 496م) بتحريم قائمة من الأناجيل ، كان من ضمنها إنجيل برنابا، الذي عُثر عليه بعد أكثر من ألف سنة، في مكتبة البابا سكتس الخامس (1585 ــ 1590م).

هذا ولا توجد عندهم معلومات يقينية مؤكدة عن أناجيلهم ، كما يلاحظ أنه لا يوجد في أناجيلهم ، أدلة أو براهين أو إثباتات من أي نوع كان، على صحة ما جاء فيها من قصص أو عقائد ... إلخ، وذلك بسبب التلاعب والتحريف الذي تعرضت له على مر القرون. كما أن المسيحيين ــ بصفة عامة ــ لا يعرفون تاريخ دينهم وكيف تطور، حتى وصل إليهم بوضعه الحالي.

أسئلة على ما ورد في المبحث الخامس

1. مم يتكون الكتاب المقدس عند النصارى ؟

2. مم يتكون العهد الجديد ؟

3. هل الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى، على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، موجود اليوم بيد المسيحيين ؟

4. أ. هل يقر النصارى بأن الله سبحانه وتعالى، قد أنزل إنجيلاً على عيسى ابن مريم ؟

   ب. إذا كان الجواب بالنفي، ما هو ردهم ؟

5. هل توجد إشارة أو ذكر لإنجيل عيسى عليه السلام، في أناجيل النصارى ؟

6. كم إنجيلاً عند المسيحيين اليوم، وما أسماؤها ؟

7. هل أوحيت هذه الأناجيل إلى السيد المسيح ؟

8. هل كتب السيد المسيح هذه الأناجيل ؟

9. هل أملى السيد المسيح هذه الأناجيل على كُتابها ؟

10. هل كلف السيد المسيح أحداً من كتابها بكتابتها ؟

11. هل اطلع السيد المسيح على هذه الأناجيل ؟

12. هل كانت هذه الأناجيل موجودة أثناء حياة السيد المسيح ؟

13. هل يُعرف تاريخ تأليف كل إنجيل ؟

14. هل النسخ الأصلية لهذه الأناجيل موجودة ؟

15. هل تُعرف شخصية مترجم كل إنجيل من هذه الأناجيل ؟

16. هل يُعرف تاريخ ترجمة كل إنجيل ؟

17. هل الأناجيل التي بيد المسيحيين اليوم؟ موجودة في ترجماتها الأصلية؟

18. بأية لغة كان يتحدث السيد المسيح ؟

19. هل تعتمد الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، على صحتها وصحة ما جاء فيها من عقائد وشعائر وطقوس، على براهين ومعلومات يقينية مؤكدة ؟

20. أ. هل توافق القساوسة والمنصرون، عندما يقولون : إن الأناجيل التي بيدهم اليوم، قد وصلت إليهم من دون أي تغيير أو تحريف ؟

ب. إذا كان الجواب بالنفي، اذكر اعتراضاتك على تلك المقولة ؟

21. في أي الأمور الأساسية، يناقض إنجيل برنابا اعتقاد المسيحيين اليوم ؟

22. ما رأي القساوسة والمنصرين في إنجيل برنابا ؟

المبحث السادس

دور المجامع الكنسية في عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح

(المرحلة الرابعة)

تمهيد :

ذكرت في المبحثين الثالث والرابع، المراحل الأولى والثانية والثالثة، من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح عليه السلام.

وفي هذا المبحث، سأتناول المرحلة الرابعة والأخيرة من عملية التشويه والتحريف لرسالة وشخصية السيد المسيح، التي تعتبر امتداداً طبيعياً للمرحلة الثالثة، والتي يقع جزء كبير منها تحت رعاية ونفوذ الأباطرة الرومان أيضاً، حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في سنة 476م، واستمرار عملية التشويه والتحريف تحت مظلة كبار رجال الدين المسيحي.

نشأة المذاهب أو الكنائس* المسيحية :

بعد انتهاء المرحلة الثالثة من عملية تحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام، تبدأ المرحلة الرابعة بظهور العديد من الكنائس على السطح بشكل رسمي، وكان أكبرها وأهمها وأشدها تأثيراً في مجريات الأحداث الدينية والسياسية، ثلاث كنائس هي :

1. الكنيسة الكاثوليكية في روما : وتأتي على رأس جميع الكنائس بلا منازع، لكون مقرها في عاصمة الإمبراطورية، وتخضع مباشرة للإمبراطور الروماني، وتسمى أيضاً الكنيسة اللاتينية أو الغربية، أو البطرسية** أو الرسولية، أو كنيسة الروم الكاثوليك***.

---

* الكنيسة أو كنيسة الله : تعني ـ في الأناجيل والرسائل الملحقة بها ـ مذهب أو مجموعة من الناس يشتركون بمذهب واحد، أو الإيمان بعقيدة أو عقائد واحدة، ولا تعني المبنى الذي يصلون ويتعبدون فيه، والمعروفة اليوم بالاسم نفسه.

** البطرسية : نسبة إلى بطرس كبير التلاميذ، والرسولية نسبة إليه أيضاً، وإلى شاول (بولس) حيث يطلقون عليهما لقب الرسل. والروم نسبة إلى روما.

*** الكاثوليكية : كلمة يونانية، تعني عام أو عالمي.

2. الكنيسة القبطية بالإسكندرية في مصر : التي تأتي بعدها من ناحية التأثير الديني، ويطلق عليها أيضاً الكنيسة المرقصية*.

3. الكنيسة الشرقية اليونانية في اليونان: التي آلت رئاستها فيما بعد إلى كنيسة القسطنطينية، والتي تعرف أيضاً باسم كنيسة الروم الأرثوذكس**، والتي كان مقرها في آياصوفيا، قرب قصر طوب كابي في اسطنبول في تركيا.

ويلاحظ أن هذه الكنائس الثلاث الكبرى، هي الوحيدة التي على رأس كل منها رجل دين يدعى بابا.

المجامع الكنسية :(1)

المجامع الكنسية : عبارة عن مؤسسات شورية يحضرها كبار القساوسة، وهي على أنواع، منها المجامع المحلية، التي تخص مذهباً أو كنيسة واحدة، أو عدة كنائس أو مذاهب في منطقة جغرافية معينة، ولكن أهمها وأعظمها شأنا، المجامع العامة أو المسكونية، التي تتمثل فيها كل الكنائس أو المذاهب، وعلى رأسها الكنيسة الكاثوليكية في روما، والتي تعقد تلك المجامع غالباً بإذن منها.

دور المجامع الكنسية في تحريف رسالة السيد المسيح :

للمجامع الكنسية بأنواعها ممثلة بكبار قساوستهم، دور مهم وخطير ومؤثر للغاية، في استكمال عملية تحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام، وذلك بوضعها عقائد وشعائر وطقوس الدين المسيحي الحالي على مراحل، وتحليل ما حرمته التوراة عليهم، كعدم الختان للذكور، وأكل لحم الخنزير إلى غير ذلك، وفرضها على المسيحيين بقوة القانون الروماني، وتطويرها حسب المستجدات، أو إعطاء صلاحيات دينية غير محدودة لباباوات الكنيسة الكاثوليكية.

---

* المرقصية : نسبة إلى مؤسسها ـ كما يقولون ـ مرقص صاحب الإنجيل الذي يحمل اسمه.

** الأرثوذكسية : كلمة يونانية، تعنى الرأي الحق أو المستقيم.

(1) انظر محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة صفحة 113 وما بعدها. ومقارنة الأديان ـ المسيحية ـ أحمد شلبي. صفحة 197 وما بعدها.

ففي مجمع نيقية[2] الذي عقد برعاية الإمبراطور الروماني الوثني قسطنطين الأول في سنة 325م، والذي يعتبر أول مجمع مسكوني، وأهمها وأشدها خطراً وتأثيراً، في تاريخ المسيحية الحالية على الإطلاق، تم اعتماد وتثبيت ألوهية السيد المسيح كابنٍ للآب، ومساواته به في كل شيء، فأصبح عند المسيحيين إلهان هما: الآب وابنه.

كما تم اختيار أربعة أناجيل ـ الموجودة حالياً بيد المسيحيين، مع بعض الرسائل وإلحاقها بها ـ واعتبرت بقية الأناجيل التي كانت بيد النصارى يتعبدون بها، والتي كان عددها يفوق السبعين إنجيلاً، منحولة أي محرفة ومحرم الاطلاع عليها، ويجب حرقها فوراً، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام. كما وضع ذلك المجمع، قانون الإيمان المسيحي، الذي تم تعديله في مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م، ليتناسب مع ما استجد من تأليه الروح القدس، ولازال معمولاً به حتى اليوم.

هذا وقد عُقدت بعد مجمع نيقية، مجامع كنسية أخرى عديدة، شرعت المزيد من العقائد والطقوس الوثنية، واستكملت بها عناصر عقيدة التثليث وغيرها من العقائد، التي كانت تدور حول شخص السيد المسيح كابنٍ لله.

فأصبح النصارى يعتقدون أن المسيح ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ـ ابن لله، وأنه إله وإنسان في الوقت نفسه (سبحانه وتعالى عما يزعمون) باستثناء قلة قليلة جداً من الموحدين، لا زالوا موجودين لغاية اليوم.

انفصال الكنائس عن بعضها:

كانت قرارات تلك المجامع سبباً في انشقاق وانفصال الكنيسة القبطية في الإسكندرية، والكنيسة الشرقية في القسطنطينية، عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، واستقلال كل منها بشؤونها الدينية والسياسية.

---

(2) سبقت الإشارة إليه في صفحة 148 وما بعدها من المبحث الرابع.

وقد حدث الانشقاق الأول في سنة 451م، على إثر قرارات مجمع خليقدونية[3]، التي لم توافق عليه الكنيسة القبطية بالإسكندرية بمصر، مما أدى إلى انشقاقها وانفصالها مع الكنيسة الحبشية التابعة لها، بالإضافة إلى الكنيسة الأرمنية والسريانية، عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، والكنيسة الشرقية في القسطنطينية.

وفي سنة 1054م ـ أي بعد 603 سنوات من الانشقاق الأول ـ حدث الانشقاق الثاني، حيث انفصلت كنيسة القسطنطينية والكنائس التابعة لها في اليونان والبلقان وروسيا، عن الكنيسة الكاثوليكية.

وسيأتي الحديث لاحقاً عن انشقاق ثالث، حصل ضمن الكنيسة الكاثوليكية نفسها هذه المرة في سنة 1517م، أي بعد الانشقاق الثاني بحوالي 463 سنة، وكان أهم وأكبر وأشد تأثيرا وخطراً من الانشقاقات التي سبقته، في مجريات الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية في قارة أوروبا.

متاهات تأليه السيد المسيح :

لقد أدخلهم تأليه السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، في متاهات عقائدية وثنية لا حل ولا نهاية لها، في الأمور التالية :

1. ما يتعلق بإشكالية العلاقة بين طبيعة ومشيئة السيد المسيح الإلهية، وطبيعته ومشيئته البشرية، وكيفية التوفيق بينهما.

2. هل كان للسيد المسيح طبيعة واحدة ؟ أم طبيعتان إلهية وبشرية ؟

3. إذا كان له طبيعتان، فهل كانت تلك الطبيعتان، متحدتين ومندمجتين مع بعضهما البعض؟ أم أنهما كانتا منفصلتين عن بعضهما البعض ؟

---

(3) سيأتي الحديث عنه في صفحة 219 و220 من هذا المبحث.

4. هل كان للسيد المسيح مشيئة أو إرادة واحدة ؟ أم كانت له مشيئتان أو إرادتان، إحداهما إلهية والأخرى بشرية ؟
وكيف كان يتم التوفيق والتنسيق بين تلك المشيئتين أو الإرادتين؟

5. هل ولدت السيدة مريم الإله عيسى ؟ أم ولدت الإنسان عيسى ؟
وبتعبير آخر: هل تعتبر السيدة مريم أماً للإله عيسى ؟ أم تعتبر أماً للإنسان عيسى ؟

6. هل الروح القدس* إله ؟ فإذا كان إلهاً، فما علاقته بالآب والابن؟
وهل انبثق من الآب فقط؟ أم أنه انبثق من الآب والابن معاً ؟

وفي محاولة للإجابة عن تلك الأسئلة، فقد عقدت مجامع كنسية عديدة لكبار قساوستهم، لدراسة تلك العقائد الوثنية المعقدة، ووضع تصور موحد لها، فلم تزدهم تلك المجامع وقراراتها، إلا مزيداً من الفرقة والانشقاق إلى طوائف وفرق متشاحنة ومتناحرة، يكفر ويلعن بعضها بعضاً.
في حين لا تزال هذه العقائد والشعائر والطقوس الوثنية، غامضة ومبهمة، تستعصي على الفهم.

وفيما يلي نبذة عن أهم تلك المجامع وقراراتها :

ماهية الروح القدس وما علاقته بالآب والابن ؟

في أواخر القرن الرابع الميلادي[4] ظهرت خلافات عقائدية جديدة حول ماهية الروح القدس ؟ وما علاقته بالآب والابن ؟

فمن قائل إن الروح القدس إله أيضاً، وقد تبنت هذه العقيدة كنيسة الإسكندرية ــ حامله لواء تأليه السيد المسيح عليه السلام ــ وعارضها مقدونيوس

---

* الروح القدس : الملَك جبريل عليه السلام، طبقاً للعقيدة الإسلامية.

(4) أي بعد 56 سنة من انعقاد مجمع نيقية، الذي تقررت فيه عقيدة ألوهية السيد المسيح كابن للآب، ومساواته به في كل شيء.

بطريرك كنيسة القسطنطينية، حيث قال: إن الروح القدس ليس بإله، إنما هو مخلوق مصنوع. واشتد الخلاف بين كبار رجال الدين المسيحي، ما بين مؤيد ومعارض، وعندما وصلت أنباء هذا الخلاف إلى الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول (378م ـ 395م)، دعا لعقد مجمع لكبار رجال الدين المسيحي برعايته، في مدينة القسطنطينية للبحث في هذا الخلاف.

مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م :

بعد مجمع نيقية بستة وخمسين سنة، عُقد مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م ـ وهو المجمع الثاني بعد مجمع نيقية، ويعتبر من المجامع الكنسية المهمة جداً، في تاريخ تطور العقيدة المسيحية، وقد عقد برعاية إمبراطور روماني، مثله مثل المجمع الأول في نيقية ـ وقد استمرت أعماله حوالي ثلاثة أشهر، وحضره مائة وخمسون رجلاً من كبار رجال الدين، ما بين كردينال وبطريرك وأسقف.

قرارات مجمع القسطنطينية الأول :

1. إن الروح القدس إله مثل الآب والابن، وإنه انبثق من الآب.
2. لعن مقدونيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية ومن تبعه في آرائه.

وفي ذلك يقول المؤرخ المسيحي سعيد ابن البطريق : إن المجلس ـ مجمع القسطنطينية الأول ـ قرر "لعن مقدونيوس وأتباعه ومن يقول مقالته، وثبّتوا أن روح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من طبيعة الآب والابن، جوهر واحد وطبيعة واحدة. وزادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية، وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس، ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص، وحدية في

تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة". [5]

استكمال عناصر عقيدة التثليث :

وهكذا تم لرجال الدين المسيحي في مجمع القسطنطينية الأول في سنة 381م، برعاية ومباركة الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول، استكمال عناصر عقيدة التثليث، التي كانت تتكون سابقاً من إلهين فقط هما : الآب والابن، فأضيف إليهما في هذا المجمع الإله الثالث، وهو الروح القدس.

فأصبح لدى النصارى منذ ذلك اليوم، ثلاثة آلهة هم : الآب والابن والروح القدس، ولو أن قساوستهم ومُنصّريهم يكابرون وينكرون من دون طائل، زاعمين أن هؤلاء الثلاثة هم إله واحد !!! وليسوا ثلاثة آلهة.
وهكذا تم استكمال أهم عقيدة في الديانة المسيحية الحالية وفرضها على المسيحيين، بعد رفع السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بحوالي ثلاثة قرون ونصف من الزمان.

مجمع أفسس الأول سنة 431م :

في سنة 431م، أي بعد حوالي خمسين سنة من مجمع القسطنطينية الأول، خرج نسطور، بطريرك كنيسة القسطنطينية، بعقيدة مفادها : أن للمسيح ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ـ طبيعتين، طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وأن هاتين الطبيعتين منفصلتان عن بعضهما البعض.
ويتبع ذلك أن السيدة مريم لم تلد الإله عيسى، وبالتالي فهي ليست أماً للإله عيسى، وإنما هي أم للإنسان عيسى الذي ولدته.

---

(5) تاريخ سعيد ابن البطريق : الجزء الأول صفحة 145.

قد يكون الداعي لهذه العقيدة، هو محاولة من البطريرك نسطور، لتنزيه الإله من أن يخرج من حيث يخرج الولد، فحصل خلاف شديد بين كبار رجال الدين المسيحي، قرروا على إثره عقد مجمع للنظر في عقيدة البطريرك نسطور.

فعقد في سنة 431م، مجمع في مدينة أفسس، في غرب آسيا الصغرى ـ تركيا الآن ـ أطلق عليه مجمع أفسس الأول، حضره مائتا بطريرك وأسقف.

قرارات مجمع أفسس الأول:

قرر المجتمعون في ذلك المجمع، أن السيد المسيح ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ـ إله حق وإنسان له طبيعتان، طبيعة إلهيه وطبيعة بشرية، ولكن تلك الطبيعتين، متحدتان ومندمجتان مع بعضهما في شخص السيد المسيح، وليستا منفصلتين عن بعضهما البعض، كما يعتقد البطريرك نسطور، وبناء عليه، تكون السيدة مريم هي والدة الإله عيسى.

ولكن البطريرك نسطور أصر على عقيدته، فتم لعنه وطرده من منصب بطريرك كنيسة القسطنطينية ونفيه إلى مصر، واعتبر كل من يؤمن بعقيدته من الهراطقة.[6]

وقد انتشرت عقيدة البطريرك نسطور فيما بعد، بين الكلدانيين والسريان والآشوريين، في شمال شرق سوريا والعراق وفارس، عندما تنصروا على يد دعاة تلك العقيدة، وسمي أتباع هذه العقيدة النسطوريين أو النساطرة، نسبة إلى البطريرك نسطور، الذي مات في حوالي عام 450م.[7]

---

(6) الهرطقة: تعني عندهم الانحراف عن العقيدة الصحيحة، وعليه فإن الهراطقة : تعني المنحرفين عن العقيدة الصحيحة، الذين يجب نبذهم واضطهادهم، وهي تماثل المبتدعين أو الزنادقة بالتعبير الإسلامي.

(7) محاضرات في النصرانية : لمحمد أبو زهرة. صفحة 126 و127. ودائرة معارف القرن العشرين : للأستاذ محمد فريد وجدي.

مجمع أفسس الثاني سنة 449م :

في سنة 449م، خرج ديسقورس، بطريرك كنيسة الإسكندرية، الذي كان حاضراً مجمع أفسس الأول وموافقاً على قراراته، بعقيدة جديدة في السيد المسيح عليه السلام ـ تخالف عقيدة البطريرك نسطور ومعارضيه من رجال الدين، الذين اجتمعوا في مجمع أفسس الأول عام 431م ـ مفادها أن للسيد المسيح طبيعة واحدة، اتحد وامتزج فيها العنصر الإلهي (اللاهوت) بالعنصر البشري (الناسوت) للسيد المسيح، أي أن العنصر الإلهي، قد اتحد واندمج بالعنصر البشري في شخص السيد المسيح، فأصبح له طبيعة واحدة إلهية وبشرية، تسمى باللغة اليونانية (المونوفيزية).

وعقد البطريرك ديسقورس مجمعاً لرجال الدين، في مدينة أفسس في سنة 449م، سمي مجمع أفسس الثاني، وتم في ذلك المجمع إقرار تلك العقيدة.

وكان من جراء ذلك أن ازداد الخلاف بين رجال الدين المسيحيين، حول قرارات ذلك المجمع، وكان من أبرز معارضيه أكبر كنيستين في ذلك الوقت وهما : كنيسة القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، والكنيسة الكاثوليكية في روما، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية.[8] وقد أطلق بابا الكنيسة الكاثوليكية، لاون الأول، على مجمع أفسس الثاني، اسم مجمع اللصوص، لأنه عقد من دون إذنه.

مجمع خليقدونية سنة 451م :

عُقِد مجمع خليقدونية في سنة 451م، في مدينة خليقدونية التي تقع على بحر مرمرة، قرب مدينة القسطنطينية ـ اسطنبول حالياً في تركيا ـ كرد فعل على مجمع أفسس الثاني سنة 449م، وقراراته، بطلب من بابا الكنيسة الكاثوليكية، لاون الأول، وبدعوة من الإمبراطور الروماني مارقيانوس، وشارك فيه نحو 600 من كبار رجال الدين المسيحي.

---

(8) سيأتي الحديث عن تقسيم الإمبراطورية الرومانية، في صفحة 223 وما بعدها من هذا المبحث.

قرارات مجمع خليقدونية :

ألغى مجمع خليقدونية، ما سبق أن أُقِر في مجمع أفسس الأول في عام 431م، من أن للمسيح طبيعتين لاهوتية وناسوتية ـ أي طبيعة إلهية، وطبيعة بشرية ـ التقتا واتحدتا في شخصه. وتم لعن ديسقورس بطريرك كنيسة الإسكندرية ومن يؤيده.

فرد البطريرك ديسقورس، على الإهانة التي لحقت به وبكنيسة الإسكندرية، فشق عصا الطاعة عن بابا كنيسة روما، وبذلك انفصلت الكنيسة القبطية في الإسكندرية، وكنيسة الحبشة التابعة لها، والكنيستان الأرمنية والسريانية، عن الكنيستين الكاثوليكية بروما، والكنيسة الشرقية اليونانية في القسطنطينية.

هذا ولا يزال الأقباط المصريون، أتباع كنيسة الإسكندرية، يؤمنون بأن السيد المسيح إله، له طبيعة واحدة، اتحد وامتزج بها العنصر الإلهي بالعنصر البشري.

القس يعقوب البرادعي :

في سنة 543م، ظهر قس قوي اسمه يعقوب البرادعي، نادى بعقيدة الطبيعة الواحدة للسيد المسيح ـ عيسى ابن مريم عليه السلام ـ والتي سبقه إليها ديسقورس، بطريرك كنيسة الإسكندرية بحوالي قرن.

وقد تبعه كثير من النصارى في مصر والنوبة والحبشة ونجران شمال اليمن، والشام والعراق، ومنهم السريان والكلدانيون والأشوريون، الذين أطلق عليهم اسم اليعقوبيين أو اليعاقبة، نسبة إلى ذلك القس، الذي توفي في سنة 578م.

المذهب الماروني :

يُنّسَب إلى بطريرك أنطاكية يوحنا مارون (628 ـ 707م) الذي قال : بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، نظراً لالتقاء الطبيعيتين في أقنوم واحد، وقد

عارضته كنيسة القسطنطينية، والكنيسة الكاثوليكية. وتم عقد المجمع الثالث في القسطنطينية سنة 680م، لبحث هذه العقيدة، وقد حضره حوالي مائتين وتسعة وثمانين أسقفاً، وبعد التداول قرر المجتمعون، لعن وطرد وتكفير كل من يقول بالمشيئة الواحدة للمسيح، وأكدوا أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين.

وبهذا انفصلت كنيسة أنطاكية، عن كنيسة القسطنطينية، والكنيسة الكاثوليكية في روما. وقد تم اضطهاد البطريرك مارون ومن تبعه في عقيدته تلك، فلجأوا إلى جبل لبنان، حيث أصبح يوحنا مارون بطريركاً لأتباعه الموارنة في لبنان.

وفي سنة 1182م، قربتهم الكنيسة الكاثوليكية إليها، فاعترفوا لها بالسيادة، على أن يحتفظوا بعقيدتهم. هذا ولا تزال هذه الطائفة موجودة في لبنان، ولها بطريرك خاص بها، وحسب نظام الحكم في لبنان ـ الذي وضعه الفرنسيون ـ فإن رئيس الجمهورية وقائد الجيش، يجب أن يكونا مسيحيين من الطائفة المارونية. [9]

عودة إلى موضوع الروح القدس :

في سنة 869م، عقد مجمع القسطنطينية الرابع، حيث تقرر فيه أن الروح القدس، قد انبثق من الآب والابن معاً، وليس من الآب فقط، حسبما تقرر سابقاً في مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م، وذلك بعد رفع السيد المسيح بحوالي 836 سنة.

وقد أثبت التاريخ، أن هذه العقيدة الوثنية المثلثة (الآب والابن والروح القدس) والتي يدعون أنها إله واحد، الغريبة على ديانة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، لم يفهمها لا المسيحيون الذين اعتنقوها طواعية، ولا الذين أجبروا على اعتناقها، ولم يستطع المسيحيون ـ بمن فيهم رجال دينهم ومُنصروهم على اختلاف رتبهم إلى اليوم ـ إقناع أحد بها، وذلك لغموضها وتعارضها مع الفطرة السليمة للإنسان، واستحالة قبول العقل لها.

(9) محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة : صفحة 133 و134.

إن المسيحية الحالية، بعد أن كانت مقبولة من الشعوب شبه البدائية في أوروبا، منذ أيام مبتدعها وباذر بذرتها الأولى شاول (بولس الرسول) مروراً بالقرون الوسطى المظلمة في أوروبا، لم تعد تناسب المسيحيين المتعلمين والمتفتحين في العصر الحديث في كل مكان، لذا فقد زهدوا فيها وأخذوا يهجرونها، ويعتنقون أدياناً أخرى، ومنهم من اتجه نحو العلمانية والإلحاد، كافراً بكل الأديان.

يقول جوستاف لوبون في هذا السياق : "كيف يؤمن الرجل الحديث بوجود إله حقود يُحمِّل وزر معصية الإنسان الأول، ذراري هذا الإنسان، فيجعل ابنه الوحيد ـ يسوع ـ يُكفر عن تلك الخطيئة الواهية ؟".[10]

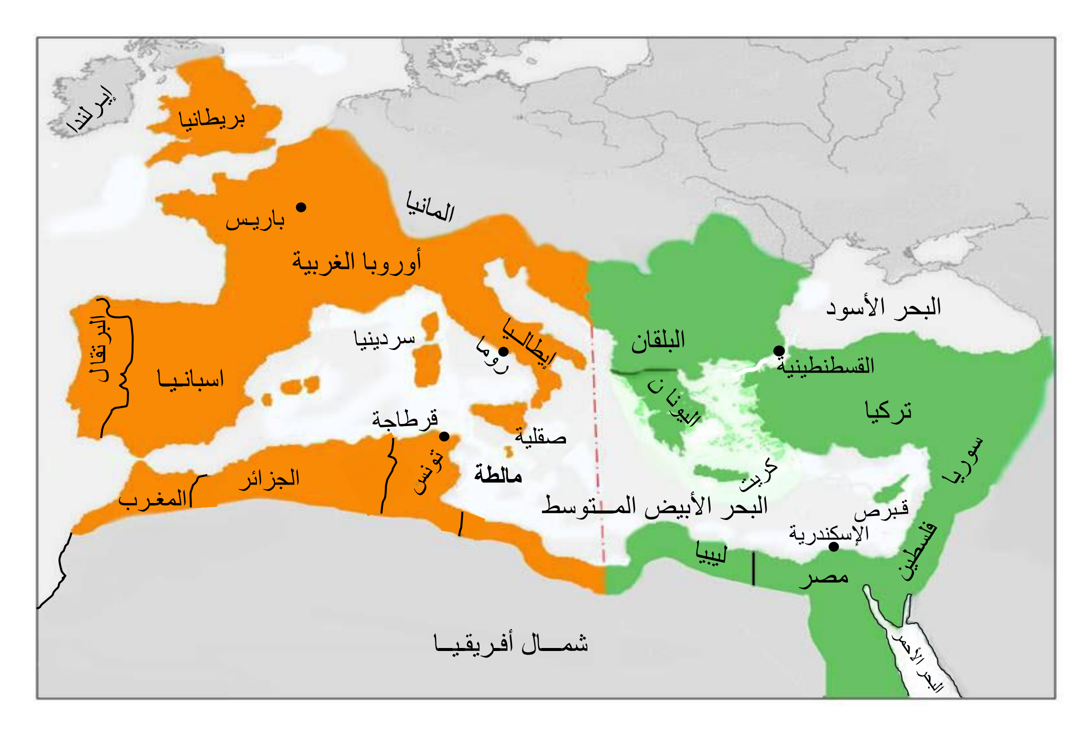
جاء في القرآن الكريم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ سورة النساء آية 171.

وجاء في سورة المائدة آية 116 **﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾.**

وعن أحبارهم ورهبانهم، الذين أخذوا يؤلفون ويؤسسون عقائد وقواعد دينهم، جاء في سورة التوبة آية 31 ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

(10) حياة الحقائق : صفحة 85.

تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين، شرقية وغربية



مع مغيب القرن الرابع للميلاد، أخذ الضعف يدب في الإمبراطورية الرومانية، وكان من أهم أسباب ذلك الضعف : آثار القلاقل الداخلية، التي خلفها النزاع بين المسيحيين والإمبراطورية الرومانية، وهجوم البرابرة ـ قبائل أوروبية غير متحضرة من شمال وشرق أوروبا ـ والنشاط العسكري الفارسي، ضد الإمبراطورية الرومانية من الشرق، مما أفقدها مساحات شاسعة من الأراضي، غربي العراق وشرق أرمينيا، بالإضافة إلى جزء كبير من مقاطعاتها الأوروبية الشمالية.

ولمواجهة تلك التحديات وغيرها، ولتسهيل إدارة الإمبراطورية المترامية الأطراف بسرعة وكفاءة، قام الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (378 ـ 395م) في آخر سنة من حكمه، بتقسيم الإمبراطورية الرومانية، إلى قسمين إداريين ـ كما هو موضح في الخريطة أعلاه ـ وجعل على رأس كل قسم منها أحد أولاده.

1. قسم شرقي ـ اللون الأخضر من الخريطة ـ وعاصمته مدينة القسطنطينية ـ اسطنبول حالياً ـ التي أقيمت على أطلال مدينة بيزنطة القديمة.

2. قسم غربي ـ اللون البرتقالي من الخريطة ـ وعاصمته مدينة ميلانو في شمال إيطاليا، ثم تحولت فيما بعد إلى مدينة روما.

ثم ما لبث هذا التقسيم الإداري، أن تعزز إلى انفصال تام بين القسمين في سنة 408م، وتكوين إمبراطوريتين رومانيتين مستقلتين تماماً عن بعضهما، وعلى رأس كل إمبراطورية منهما إمبراطور كما يلي :

1. **الإمبراطورية الرومانية الشرقية :** وعاصمتها القسطنطينية ـ اسطنبول حالياً ـ والتي عرفت فيما بعد باسم الإمبراطورية البيزنطية ـ نسبة إلى مدينة بيزنطة القديمة، التي أقيمت على أطلالها مدينة القسطنطينية ـ وتسمى كنيستها الكنيسة الشرقية اليونانية، وتعرف أيضاً باسم كنيسة الروم الأرثوذكس، ويعرف أتباعها بالروم الأرثوذكس، وينتشرون في روسيا واليونان ودول البلقان، وقد آل إليها حكم بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا.[11]

(11) منذ انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين، كان هذا القسم الشرقي، هو الذي احتك به العرب في الجاهلية والإسلام، والذي عرف عندهم باسم الروم. وإمبراطورهم أو قيصرهم جستنيان (527 - 565م) هو المعني بقول الشاعر الجاهلي امرئ القيس، في قصيدته التي منها :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنَّا لاحقان بقيصرا

وإمبراطورهم هرقل، هو الذي أرسل له سيدنا محمد ﷺ، رسالته المشهورة، التي دعاه فيها مع أتباعه إلى الإسلام. وهم المعنيون بما جاء في القرآن الكريم ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سورة الروم آية 1 إلى 5.

وهم الذين قاتلهم المسلمون في غزوة مؤتة ـ في الأردن ـ في جمادي الأولى سنة 8 للهجرة، الموافق أغسطس أو سبتمبر سنة 629م، وما تبعها بعد ذلك، من تحرير بلاد الشام ومصر من احتلالها، في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، واستمرار المواجهات العسكرية معها خلال حكم الدولتين الأموية ثم العباسية. وحتى انتهاء هذه الإمبراطورية من الوجود، بسقوط عاصمتها القسطنطينية بيد العثمانيين في سنة 1453م، وجعلها عاصمة لملكهم، وتحويل اسمها إلى اسطنبول.

2. **الإمبراطورية الرومانية الغربية :** وعاصمتها مدينة ميلانو، قبل أن تتحول إلى مدينة روما، وتسمى كنيستها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، أو اللاتينية، أو الغربية، أو كنيسة الروم الكاثوليك، أو الكنيسة البطرسية، نسبة إلى بطرس كبير التلاميذ، الذي تم إعدامه مع شاول (بولس الرسول) في روما سنة 67م، في عهد الإمبراطور نيرون[12]، والذي يقولون إنه هو مؤسسها وأنه خليفة للمسيح، كما جاء في إنجيل متى 19/16، أن المسيح قال لبطرس كبير التلاميذ : "وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات".

وقد بُني على هذا النص، إعطاء صلاحيات واسعة وغير محدودة لباباوات الكنيسة الكاثوليكية، الذين يعتقدون أنهم خلفاء بطرس كبير التلاميذ.[13]

ويرأس الكنيسة الكاثوليكية، رجل دين يطلق عليه لقب بابا، وهو أعلى سلطة دينية بالنسبة للنصارى الكاثوليك في العالم، ويعاونه في إدارة هذه الكنيسة رجال دين برتبة كرادلة ـ مفردها كردينال ـ وتأتي رتبتهم بعد رتبة البابا مباشرة، وهم يمثلون أعلى هيئة في الكنيسة الكاثوليكية، ويقومون برئاسة المجالس الكنسية المختلفة، ومنها المحاكم الكنسية، ويأتي بعدهم بالمرتبة المطارنة ـ مفردها مطران ـ وهم الذين يرأسون الكنائس الإقليمية، والتي تسمى أبرشيات ـ مفردها أبرشية ـ كما يتفرع عن الأبرشيات عدة كنائس يديرها الكهنة.

وبما أن الباباوات هم خلفاء بطرس ـ كبير تلاميذ السيد المسيح ـ فبالتالي أصبح الباباوات هم خلفاء للمسيح ـ الإله وابن الإله حسب زعمهم ـ .

---

(12) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 132 من المبحث الرابع.

(13) سيأتي تفصيل ذلك في صفحة 235 من هذا المبحث.

كما تُسمى هذه الكنيسة في الكتب العربية القديمة بالكنيسة المَلْكَانِيَّة، ويعرف أتباعها بالروم الكاثوليك، ويتركزون في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال ودول أمريكا الوسطى والجنوبية، كما يوجدون في لبنان ممثلين بالكنيسة المارونية، وفي فلسطين ومصر.

وبعد أن أصبحت القسطنطينية عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية، فقد أخذت كنيستها تنافس كنيسة روما، وزاد من ذلك التنافس الخلافات العقائدية، مما أدى في النهاية إلى انفصال الكنيسة الشرقية في القسطنطينية، عن الكنيسة الغربية في روما في سنة 1054م، ولم تعد تعترف لها بالسيادة عليها.

سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية:

مع بداية النصف الثاني من القرن الخامس للميلاد، أخذت عوامل الضعف والانحلال والفوضى، تنخر في جسم الإمبراطورية الرومانية الغربية بوتيرة متسارعة، حتى انهارت تماماً في سنة 476م، وقامت على أنقاضها الممالك الأوروبية، التي انبثقت منها أمم أوروبا الحديثة[14]، وبقيت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية.

(14) حضارة روما: دونالد. ر. ددلي، صفحة 7.

الكنيسة الكاثوليكية ترث الإمبراطورية الرومانية الغربية

كان بابا الكنيسة الكاثوليكية يُعين في منصبه من قبل الإمبراطور الروماني، فلما سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية في سنة 476م، قامت ممالك أوروبية عديدة على أنقاضها، وبذلك سقط سلطان الدولة عن الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها في روما، وأصبح البابا يُنتخب من قِبَلِ الكرادلة مدى الحياة، إذا حصل على ثلثي الأصوات على الأقل، وحلت بذلك الكنيسة الكاثوليكية في روما، محل الإمبراطورية الرومانية الغربية، وبدأت العصور الوسطى المظلمة في تاريخ أوروبا، التي استمرت نحو ألف عام.

وأصبح بابا الكنيسة الكاثوليكية، هو الحاكم الفعلي لإيطاليا، وغيرها من أقاليم الإمبراطورية الرومانية الغربية المنهارة في أوروبا، ولا سلطان لأحد عليه، ولا يخضع لأحد، فقوي مركزه سياسياً واقتصادياً ودينياً، قوةً كبيرةً جداً، وازداد نفوذ الكنيسة الكاثوليكية تبعاً لذلك وأثرت ثراء فاحشاً.

ومن جهة أخرى، احتاج الملوك الأوروبيون الجدد، إلى دعم بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما، لسلطتهم الوليدة تجاه شعوبهم، فأخذ البابا يدعم من يشاء من الملوك، بسلطته الدينية وأموال الكنيسة، فأصبح بذلك صاحب الفضل الأول على ملوك أوروبا، في وصولهم إلى عروشهم، وفي احتفاظهم بها، ومن تجرأ منهم على مجرد الاعتراض على أي قرار للبابا، وليس الخروج عن طاعته، فإنه يفقد عرشه إن لم يفقد حياته أيضاً.[15]

(15) محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة. صفحة 155 وما بعدها.

وكمثال على ذلك، أنه في سنة 1245م، عُقد المجمع الثالث عشر في مدينة ليون بفرنسا، بأمر من البابا إينوسنت الرابع، لأجل عزل وحرمان ملك فرنسا فردريك.[16]

وأصدر البابا بيــوس الخامس (1566 ــ 1577م) قراراً بحرمان ملكة إنجلترا إليزابيــث، وأباح لرعاياها عصيانها. كما قام البابا بيوس التاســع (1846 ــ 1878م) بحرمان ملك إيطاليا فكتور عمانويل، لتجرئه بالاستيلاء على أملاك الكنيســة. أما النــاس العاديون، فإنهم يطردون من الكنيســة ويحرمون من معاشــرة المســيحيين ... إلخ، كما تصادر الســلطات المدنية أملاكهم وتُهدر حقوقهم في الدولة.

الإفراط في جمع المال :

لم تترك الكنيســة مورداً للمال لم تلجه لزيــادة ثرواتها، فقد فرضت على أتباعها من المســيحيين ضرائب على الأراضي، وعلى الأفراد بنســبة 10% من دخلهم فأرهقت كاهلهم.

ولــم توفر حتــى أعراض عاهــرات مدينة رومــا ــ عاصمة بابوات الكنيســة الكاثوليكية ــ اللواتي كان عددهن يقارب الســتة عشــر ألف مومس، حيث كن يســتخدمن أجسادهن لكســب قوت يومهن، فقد اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية عملهن مورداً مشروعاً لخزينتها، ففرضت عليهن الضرائب.[17]

صكوك الغفران :

لما لم يكف الكنيسة الكاثوليكية، ما فرضته من ضرائب وإتاوات على أتباعها من المسيحيين، ابتدعت ما عُرِف بصكوك الغفران، وذلك من خلال

(16) أضواء على المسيحية : متولي يوسف شلبي. صفحة 128. وقصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام : للدكتور توفيق الطويل. حاشية صفحة 89 و90.

(17) أضواء على المسيحية : متولي يوسف شلبي. صفحة 129.

المجمع الثاني عشر، والذي يُسمى المجمع اللاتيراني الرابع، الذي عُقد في روما سنة 1215م، والذي جاء فيه : إن يسوع المسيح كان قد قلد الكنيسة الكاثوليكية في روما سلطة منح الغفران ! فأخذت الكنيسة تبيع ذلك الصك لمن يدفع الثمن، مقابل أن تغفر له خطاياه التي ارتكبها ويدخل الجنة، حيث أصبحت صكوك الغفران مصدراً مهماً للكسب الحرام.

نص صك الغفران : (18)

"ربنا يسوع يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي، أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها، مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك حتى إنه في ساعة الموت، يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والأبن والروح القدس".

دور الكنيسة الكاثوليكية في تاريخ أوروبا والمسيحية والمسيحيين :

قامت الكنيسة الكاثوليكية في روما، بدور سلبي وخطير ورهيب جداً، في تاريخ أوروبا والمسيحية والمسيحيين، حيث سلكت أسلوب القهر والتسلط،

---

(18) محاضرات في النصرانية : محمد أبو زهرة. صفحة 158 و159.

واعتبرت أي رأي يخالف رأيها، ولو كان في علم من العلوم الطبيعية، كفراً وخروجاً على الدين المسيحي، وأصدرت أحكام الحرمان أو التعذيب أو الحرق، ضد كل من يخالف رأيها، أو لا يذعن لأوامرها، سواء كان من الملوك أو الحكام أو القساوسة وغيرهم، وتعتبره كافراً، معتمدة على قرارات المجمع الثاني عشر الآنف الذكر، الذي عقد بدعوة من البابا إينوسنت الثالث، والذي كان أحد قراراته، استئصال كل من يعتقد برأي يخالف رأي الكنيسة، ولو كان رأياً في العلوم الطبيعية. وبذلك قضت قضاء تاماً ومبرماً، على كل من تجرأ وخالفها الرأي، سواء كان ذلك في أمر من أمور الدين أو الدنيا، كالعلوم الفلكية وغيرها التي تتعارض مع عقائدها، وجعلت لنفسها منفردة، الحق في فهم العقيدة وتفسير كتبهم المقدسة، وفهم وتفسير العلوم والظواهر الكونية.

وفي هذا يقول الشيخ (محمد أبو زهرة) عن الكنيسة الكاثوليكية : "على الناس أن يتلقوا قولها بالقبول، وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالته، أو مبدأً دينياً أعلنته، أن يروض عقله على قبوله، فإن لم يستطع، فعليه أن يشك في العقل ولا يشك في قول البابا".[19]

وقد لخص أمير الشعراء أحمد شوقي، في قصيدة له بعنوان قف بروما، تاريخ المسيحية ـ بعد السيد المسيح عليه السلام ـ وعلاقتها بروما، في الأبيات التالية أحسن تلخيص حيث قال :

بَلَدٌ كــانَ لِلنَصــارى قَتــاداً	صارَ مُلكَ القُسوسِ عَرشُ الدِيانَه
وَشُعُوبٌ يَمحونَ آيَـةَ عيسـى	ثُمَّ يُعلــونَ في البَرِيَّـةِ شـانَـه
وَ يُهينونَ صاحِبَ الروح مَيتاً	وَ يُعــزّونَ بَعــدَهُ أَكفـانَـه

(19) المصدر السابق صفحة 157.

وكان من أبرز ضحايا هذه الكنيسة، طائفة الكاثار،في جنوب غرب فرنسا حتى الحدود مع إسبانيا، الذين لم يكونوا يؤمنون بألوهية السيد المسيح ولا بصلبه، فاعتبرتهم الكنيسة خارجين عن الملة، واتهمتهم بالهرطقة، فشنت عليهم حملات صليبية، استمرت لمدة 79 سنة، من سنة 1165م، وحتى سنة 1244م، حتى قضت عليهم قضاء مبرما، حيث فني معظم سكان مدينة تولوز، التي تقع في ذلك الإقليم الفرنسي، هذا ويقدر ضحايا تلك الحروب الضروس ما بين ربع مليون إلى مليون قتيل.[20]

محاكم التفتيش :

وللسيطرة على المسيحيين وعقولهم، فقد استحدثت الكنيسة الكاثوليكية، في عهد البابا جريجوري التاسع في سنة 1123م، محاكم عُرِفت باسم محاكم التفتيش، أو ديوان التحقيق، أو الديوان المقدس، وهو نظام قمعي وحشي مجرم، لم يشهد له تاريخ البشرية مثيلاً، وذلك للتحقيق مع كل من يخالف الكنيسة في أي رأي تراه. وكان المحققون والقضاة في تلك المحاكم المقدسة من القساوسة الكاثوليك، الذين كانوا يتمتعون بنفوذ وسلطات غير محدودة، ولم يكونوا يخضعون لأي نوع من الرقابة مهما كان.

وكانوا يقومون بتعذيب المتهمين بأدوات التعذيب، ويحكمون على من يرفض الانصياع لآرائهم ومعتقداتهم، بالموت البطيء على نار هادئة، حتى

(20) الكنيسة الكاثوليكية، هي التي شن بابواتها الحروب الصليبية على بلاد الشام ومصر، بدءاً من سنة 1096 ميلادية، واستمرت لمدة قرنين من الزمان، ولم ينج من بطشها مسيحيو القسطنطينية، والمسيحيون العرب في الشام ومصر، ولا اليهود في فلسطين. كما كان لبابوات هذه الكنيسة دور قبيح وخطير جداً، في اجتثاث ملايين المسلمين ـ من العرب والأسبان ـ من أسبانيا بالقتل والتشريد، وتنصير من بقي منهم بحد السيف، لمدة استمرت أكثر من ثلاثة قرون، تم فيها هدم المساجد وتحويل بعضها إلى كنائس، ومنها مسجد قرطبة، وبفضل هذه الكنيسة المقدسة وبابواتها وقساوستها، توقف النداء الخالد ـ الله أكبر ـ من على مآذن المساجد وداخل البيوت في إسبانيا.

تسيل شحومه وتطول مدة تعذيبه، كما كانت تصادر أملاكهم، ولا يترك شيء لورثتهم، وكان مجرد ترك ورثتهم أحياء يعتبر مِنّة عليهم من الكنيسة، وقد استخدمت هذه المحاكم كسلاح قمعي، لإجبار الناس على الخنوع والامتثال لما تراه الكنيسة، من غير فهم أو إعمال العقل.
وعندما ثار البروتستانت في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ووجهوا بمحاكم التفتيش. هذا وقد انتشرت هذه المحاكم في مناطق كثيرة من أوروبا مثل: فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا، وكلما ثارت فرقة من الفرق، ووجهت بمحاكم الرعب هذه.

وقد تطور عمل هذه المحاكم المقدسة، فأخذت تتجسس على المسيحيين داخل بيوتهم، للتعرف على عقائدهم بواسطة اعتراف أبنائهم أمام الكاهن، حيث يسأل الكاهن البنت أو المرأة، عن عقيدة زوجها أو أبيها أو أخيها، وما يصدر منه من قول داخل بيته، ومن تقع عليه الشبهة، فإن المحكمة المقدسة له بالمرصاد، وقد أوقعت هذه المحكمة المقدسة الرعب في قلوب الأوروبيين.

وفي إسبانيا أنشأت الملكة إيزابيلا وزوجها الملك فرديناند، محاكم للتفتيش في جميع أرجاء إسبانيا، بدءاً من سنة 1473م، بناء على طلب القسيس تركمادا[21]، وبإذن من البابا سكستوس الرابع، وقد ترأس تركمادا هذه المحكمة حتى مات. وكانت هذه المحاكم الأسبانية المقدسة، الأكثر شهرة في جميع أنحاء أوروبا، فقد كانت إحدى الأدوات التي استخدمت لطرد المسلمين العرب والإسبان من إسبانيا، وتنصير من بقي منهم بالقوة، والتنكيل بهم والتجسس عليهم بعد ذلك، للتأكد من صحة ارتدادهم عن الدين الإسلامي،

(21) توماس دي توركمادا (1420 ـ 1498م) : راهب كاثوليكي إسباني، كان أول رئيس لمحاكم التفتيش الإسبانية، والمسؤول الأول عن قتل وطرد وتنصير المسلمين، من إسبان وعرب من الأندلس، بالإضافة إلى اليهود أيضاً.

وتحويل المساجد إلى كنائس، ومنها مسجد قرطبة الشهير،كما شمل نشاطها المقدس أيضاً، طرد أو تنصير اليهود في إسبانيا، هذا ويقدر ضحايا هذه المحاكم المقدسة، من سنة 1481م وحتى سنة 1808م، بثلاثمائة وأربعين ألف نسمة، من بينهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار وهم أحياء.(22)

الوساخة عند القساوسة والرهبان من الإيمان :

كان الرهبان يعتقدون أن طهارة الجسم ونظافته تتنافى مع نقاء الروح وتساميها، وأنه كلما كان الجسم وسخاً وقذراً، كانت الروح أنقى وأطهر. لذا كان الرهبان يتقربون إلى الله ويتعبدون إليه بوساختهم وقذارتهم، وكانوا يتفاخرون بوساخة أجسامهم وقذارتها، وعدم غسلها بالماء لسنوات طويلة، حيث كانت تفوح من أجسادهم الروائح الكريهة العفنة.

يقول ويليام ليكي : إن " أزهد الناس عندهم وأتقاهم، أبعدهم عن الطهارة، وأوغلهم في النجاسات والدنس". وينقل عن الراهب اتهينس " إن الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره. وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة. وقد قال الراهب الإسكندري بعد زمن متلهفاً : وا أسفاه! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات".

وكان الرهبان يفرون من ظل النساء، ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق، والتحدث إليهن ولو كن أمهاتٍ وأزواجاً أو شقيقاتٍ، تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية".(23)

---

(22) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية : الشيخ محمد عبده. صفحة 47 و48. وقصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام: للدكتور توفيق الطويل. صفحة 80 إلى 90.

(23) تاريخ أخلاق أوروبا : ويليام إدوارد هارتبول ليكي. نقلاً عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : للشيخ أبو الحسن الندوي. صفحة 240 و241.

الفساد الأخلاقي بين الرهبان والراهبات وغيرهن :

ســاد الفســاد الأخلاقي واستشــرى بين رجال الدين الكاثوليك، والراهبات وغيرهن، وانغمســوا في شــهواتهم الجنســية التي لا ترتوي، مستغلين سلطتهم الدينية، واستمر كثير منهم في ممارسة الرذيلة والفجور إلى اليوم.

تقــول القديســة كاترين الســينائية : "إنك أينما وليت وجهك، ســواء نحو القساوسة أو الأساقفة، أو غيرهم من رجال الدين، أو الطوائف الدينية المختلفة، أو الأحبار، من الطبقات الدنيا أو العليا، سواء كانوا صغاراً في السن أو كباراً، لم تر إلا شــراً ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة، إنهم كلهم ضيقو العقل، شرهون بخلاء، تخلوا عن رعاية الأرواح، اتخذوا بطونهم إلهاً لهم، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة، حيث يتمرغون في الأقذار، ويقضون حياتهم في الفسق والفجور، ويطعمون أبناءهم ـ من السفاح ـ من مال الفقراء" .[24]

يقول (ول ديورانت) عن الراهبات : "ويبدو أن الراهبات ملائكة الرحمة في هذه الأيام، كان لهن نصيب في هذا المرح، أو إنهن كن مرحات رشيقات في البندقية بنوع خاص، حيث كانت أديرة الرجال والنساء، متقاربة قرباً يسمح لمن فيها بالاشتراك من حين إلى حين في فراش واحد. وتحتوي سجلات الأديرة على عشرين مجلداً من المحاكمات، بسبب الاتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات" .[25]

ويصف الكاتب المسيحي (ماستشيو) الرهبان والقساوسة على اختلاف رتبهم بأنهم "خدم الشيطان، منغمسون في الفسق واللواط والشره، وبيع الوظائف الدينية، والخروج على الدين، ويقر أنه وجد رجال الجيش أرقى خلقاً من رجال الدين" .[26]

---

(24) قصة الحضارة : ول ديورانت. الجزء 21، صفحة 85.

(25) المصدر السابق صفحة 84.

(26) المصدر السابق صفحة 84.

وهذه نتيجة طبيعية لقرار خاطئ، مصادم للطبيعة الإنسانية، اتخذ في مجمع نيقية سنة 325م، مُنِعَ بموجبه زواج رجال الدين والراهبات.
قال الله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ سورة الحديد آية 27.

نماذج من قرارات وتصرفات البابوات، نواب الإله في الأرض :

1. أعلن البابا غريغوري السابع، الذي اعتلى كرسي البابوية من عام 1073 إلى 1085م، "أن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمد هي ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ، وأن البابا له مركز فذ في العالم، فهو الذي يولي الأساقفة ويخلعهم، وله الحق في خلع الأباطرة، لأنه سيدهم الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون".[27]

2. أصدر البابا غريغوري السابع سنة 1076م، أمراً بحرمان ولعن وخلع الإمبراطور الألماني هنري الرابع عن عرشه، وأعفى رعاياه من طاعته، وذلك لتدخله في تعيين الأساقفة في بلاده، وتحديه لأوامر البابا، ولم يرجع هذا الإمبراطور إلى عرشه، إلا بعد أن أذله البابا، قبل أن يعفو عنه ويعيده إلى عرشه.[28]

3. أعلن البابا هادريان الرابع، الذي اعتلى كرسي البابوية من سنة 1152 إلى سنة 1190م، بعد أن توج الإمبراطور فردريك بربورس، أنه مدين له بتاجه، وأن الإمبراطورية إنما هي منحة منه إلى فردريك.[29]

4. في عام 1869م، عقد مجمع الفاتيكان الأول، وتقرر فيه عصمة البابا.

---

(27) معالم تاريخ العصور الوسطى : عبد الله المشوخي. صفحة 126 و127.

(28) قصة الحضارة : ول ديورانت. الجزء 14 صفحة 398 وما بعدها.

(29) معالم تاريخ العصور الوسطى : عبد الله المشوخي. صفحة 127.

الإصلاح الديني

الاعتراضات السلمية على الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها(30)

مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، بدأت الاعتراضات والاحتجاجات على الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها، بشكل سري وسلمي وهادئ، من قبل صغار رجال الدين، ولكن الكنيسة الكاثوليكية والقائمين عليها، لم يأبهوا لنصحهم واعتراضاتهم، ومن أهم أولئك المعترضين، القساوسة التالية أسماؤهم:

الأسقف جون هوس، وتلميذه جيروم :

جون هوس (1369 ــ 1415م) كان أسقفاً لكنيسة بوهيميا ــ في بلاد التشيك شرقي أوروبا ــ عارض مع تلميذه القس جيروم، ادعاء الكنيسة في امتلاكها سلطة غفران الذنوب، الذي يسمى عندهم سر الاعتراف، سواء كان ذلك أمام القساوسة في الكنائس، أو بواسطة صكوك الغفران، كما اعترضا على مفاسد رجال الكنيسة. فاتهمتهما الكنيسة بالهرطقة وحكمت عليهما بالإعدام حرقاً مع كتبهما، ثم سُلِما إلى السلطات المدنية الحاكمة، التي قامت بتنفيذ حكم الإعدام بهما، حرقاً بالنار وهما أحياء.

الأسقف أبيلارد :

اعترض الأسقف أبيلارد على العقيدة القائلة بأن قتل المسيح على الصليب كان تكفيراً عن خطيئة آدم، وقال : إن ذلك ليس وسيلة لإرضاء الله وعفوه عن خطيئة آدم، فتم إحراق كنيسته، وحكم عليه بالسجن المؤبد حيث بقي فيه حتى مات.

---

(30) محاضرات في النصرانية : الشيخ محمد أبو زهرة. صفحة 160 وما بعدها.

القسيس ديزيدروس أرازموس:

ديزيدروس أرازموس قسيس هولندي (1465 ــ 1536م) دعا للسماح للمسيحيين بقراءة كتابهم المقدس، حيث إنه كان محظوراً عليهم الاطلاع عليه، علماً أنه لم يكن متوفراً للعامة، بالإضافة إلى أنه كان مكتوباً باللغة اللاتينية، التي لم تكن معروفة لعامة المسيحيين الأوروبيين، فقام بترجمته وطباعته باللغة اليونانية، ونشره في عام 1516م، وأرفقه بترجمة لاتينية مصححة.

كما نادى بزواج القساوسة، وانتقد فجور الرهبان والراهبات، ووصف كثيراً من الأديرة بأنها بيوت للدعارة العامة، وأدان تكالب الرهبان على جمع الأموال من الناس، ووصفهم بأنهم مضلون يتصيدون التركات ويزيفون الشهادات ويغوون النساء، وكان يرى أن تتم عملية إصلاح الكنيسة بطريقة سلمية، وأن تقوم الكنيسة بإصلاح نفسها بنفسها، مع المحافظة على مركز البابا وعدم المساس به.

القسيس توماس مور:

توماس مور قسيس إنجليزي (1478 ــ 1535م)، تأثر بحركة الإصلاح الديني، ودعا إلى إصلاح الكنيسة بطريقة سلمية، من دون المس بمركز البابا.

الثورة ضد الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها

لم تؤتِ الدعوات الهادئة لأولئك القساوسة للإصلاح ثمارها، ووجدت صداً من الكنيسة والقائمين عليها، فكان لا بد من حدوث الصدام الدموي الكبير بين الكنيسة الكاثوليكية، والمصلحين الجدد، الذين قادوا الثورة ضد الكنيسة وبابواتها وكرادلتها ومن أهمهم:

القسيس مارتن لوثر:

مارتن لوثر، قسيس ألماني (1483 ـ 1546م) يعتبر أبو الثورة ضد الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها، فقد عارض علناً في سنة 1517م، صكوك الغفران، فأصدر البابا ليو العاشر، قراراً بحرمانه، فقام مارتن لوثر بحرق ذلك القرار علنا، وكان ذلك عملا خطيرا للغاية، لا يقدر عليه حتى الملوك، كما قام مارتن لوثر، بكتابة رسائل بلغ عددها 95 رسالة، كشف فيها أخطاء الكنيسة، والقائمين عليها وهاجمهم،كما قام بترجمة العهد الجديد إلى اللغة الألمانية.

وقد تميز القسيس مارتن لوثر بحبه للجدل، وبقدرته على تحريك الجماهير بخطبة الموجزة، وبلغته البسيطة المؤثرة، كما تميز بلسان سليط بذيء، سلق به كل من خالفه الرأي، ولم ينجُ من سلاطة لسانه، حتى زملاؤه من القساوسة الذين ثاروا مثله على الكنيسة، مثل جون كالفن، وهولدريخ زونجلي، عندما اختلفا معه بخصوص بعض العقائد المسيحية، فوصفهم بالكفر والهرطقة، وأن الشيطان قد احتواهم ... إلخ.

القسيس هولدريخ زونجلي:

هولدريخ زونجلي، قسيس سويسري (1484 ـ 1531م) بدأ معارضته للكنيسة الكاثوليكية في مدينة زيورخ، وهاجم فساد رجال الدين الكاثوليك

السويسريين، وطالب بجعل الضرائب التي يدفعها المسيحيون للكنيسة، والبالغة 10% من إجمالي دخلهم اختيارية، وهاجم بيع صكوك الغفران، ونادى بأخذ الدين من كتابهم المقدس فقط، وليس من البابوات والكرادلة، كما نادى بإزالة الصور والتماثيل من الكنائس، فقام الفلاحون والعمال بتحطيم الصور والتماثيل داخل كنائس مدينة زيورخ، فحدثت فوضى عارمة، كما عارض التوسل بالقديسين، وعزوبية رجال الدين، وتزوج علناً فتبعه كثير من رجال الدين الكاثوليك، الذين تزوجوا من الراهبات وغيرهن، وتم على إثر ذلك إغلاق الأديرة، وتحويلها إلى مستشفيات.

ولما حاول القسيس هولدريخ زونجلي، مد دعوته إلى بقية المقاطعات السويسرية، حدثت خلافات، تطورت إلى معارك دامية بين الجانبين، هُزِمَ فيها أتباعه البروتستانت، وقُتِلَ القسيس زونجلي، وقُطِّعَ جسده إلى أشلاء ثم أحرقت.

القسيس جون كالفن :

جون كالفن، قسيس فرنسي (1509 ــ 1564م) يعتبر من كبار المعارضين وأهمهم وأشدهم تأثيرا في الجماهير، وكان عالماً باللاهوت والقانون، وقد اضطر للهرب من باريس إلى جنيف، وقام بنشر آرائه المعارضة للكنيسة الكاثوليكية هناك، وقد وقع خلاف ديني بينه وبين حكومة مقاطعة جنيف، فأمرته بمغادرة المدينة، فتوجه إلى بازل في سويسرا، ثم ستراسبورج ــ في فرنسا حاليا ــ ثم استدعته حكومة مقاطعة جنيف واسترضته، فعاد وقام بتنظيم الكنيسة البروتستانتية في جنيف وترأسها.

الانشقاق الكبير في الكنيسة الكاثوليكية، وتكوين فرقة البروتستانت

لم يكن بإمكان أحد التنبؤ بأن النقد السلمي الهادئ للكنيسة الكاثوليكية، الذي بدأ مع مغيب القرن الرابع عشر، ومطلع القرن الخامس عشر للميلاد، سيتطور إلى موجه عارمة من الصدامات والقلاقل والحروب الدينية الدامية، التي عصفت بقارة أوروبا، وسالت بسببها دماء المسيحيين الأوروبيين بغزارة، وانشقت على إثرها الكنيسة الكاثوليكية إلى شطرين متعاديين، شطر تمسك بالكنيسة الكاثوليكية وسلطة البابا، وشطر خرج عن طاعة الكنيسة والبابا وتمرد عليه، وكون جماعة جديدة سُميت البروتستانت، أي المحتجين أو المعترضين.

ويعتبر هذا الانشقاق الذي نجح ووطد أقدامه في سنة 1517م، أهم وأخطر وأكبر وأبعد أثرا، في مجريات الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية في القارة الأوروبية، بما لا يقاس مع الانشقاقات التي حدثت قبله في الديانة المسيحية، والتي أدت إلى انشقاق الكنيسة القبطية في الإسكندرية بمصر والكنائس التابعة لها، ثم انشقاق الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية، عن الكنيسة الكاثوليكية.

فقد خرج على إثر ذلك الانشقاق، ملك إنجلترا هنري الثامن في سنة 1534م، عن طاعة البابا، وسحب اعترافه بسلطته عليه، وأعلن أنه هو رئيس الكنيسة الإنجليزية وليس البابا. وبهذا تم انفصال الكنيسة الإنجليزية في لندن، عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، وعن سلطة البابا عليها، وسمح الملك بطباعة كتابهم المقدس باللغة الإنجليزية، هذا ولم يخل الأمر من قيام الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في بريطانيا.

وفي فرنسا قامت سلسلة طويلة من المذابح والحروب الأهلية بين المسيحيين البروتستانت ـ يسمونهم في فرنسا الهوجونوت ـ والكاثوليك، وقد تميزت تلك الحروب بالشراسة والدموية، التي اقترفها الجانبان ضد بعضهما، وقد بدأت تلك المذابح في سنة 1562م، وانتهت في سنة 1598م، حيث دامت لمدة 36 سنة، ثم تجددت الحروب بين الجانبين في سنة 1621م ـ أي بعد 23 سنة من انتهائها ـ واستمرت إلى سنة 1648م، مما أجبر البروتستانت الفرنسيين ـ الهوجونوت ـ على الهرب الجماعي من فرنسا فرارا بجلدهم، إلى إخوتهم في الدين في انجلترا وهولندا وألمانيا وسويسرا وأمريكا.

هذا ويلاحظ أن ثورة أولئك القساوسة، اقتصرت على النظام الكنسي الفاسد، المتمثل بتصرفات البابوات وغيرهم من كبار القساوسة، مالياً وأخلاقياً، ولم تتعداه إلى تنقية كتبهم المقدسة مما شابها من التحريف، وإخراج العقائد الوثنية التي أقحمت فيها وفي دينهم عموماً، كتأليه السيد المسيح وصلبه، وعقيدة التثليث ... إلخ، وذلك لتشبثهم ـ مثل غيرهم من القساوسة الكاثوليك ـ بالمعنى الحرفي لنصوص كتبهم المقدسة المحرفة.

تعصب القساوسة وفتكهم بالمخالفين:

يلاحظ أن التعصب الشديد للرأي، والعنف بالقول والفعل، واحتقار المخالفين والفتك بهم بوحشية ومن دون رحمة، سمة من سمات قساوسة الديانة المسيحية المحرفة، يستوي في ذلك من ظل على الكاثوليكية أو ثار عليها من زعماء البروتستانت.

ومن ذلك ثورتهم على الإسباني المُوَحِّد ميشيل سيرفيتوس، الذي عارض عقيدة التثليث، وألف كتباً يفندها في سنة 1553م، ولم يذكر اسمه ولا اسم

الناشر، على تلك الكتب خوفاً على حياته، وقد ثارت ثائرة أولئك القساوسة البروتستانت، عندما عرض عليهم ميشيل سيرفيتوس تبني عقيدة التوحيد بدلاً من عقيدة التثليث، واتهموه بالكفر والزندقة.

وقد تم القبض على ميشيل سيرفيتوس في مدينة جنيف بسويسرا، وحوكم أمام مجلس المدينة، وحكم عليه بالإعدام حرقاً. وقبل تنفيذ الحكم فيه، حاول القسيس الفرنسي جون كالفن ـ أحد كبار القساوسة الذين ثاروا على الكنيسة الكاثوليكية ـ أن يحصل منه على اعتراف بأنه كان على باطل، ولكنه رفض، فتم تنفيذ حكم الإعدام به حرقاً، على ربوة شاميل قرب مدينة جنيف.[31]

طوائف ومذاهب البروتستانت:

هذا وقد انتشر المذهب البروتستانتي وساد في كل أنحاء أوروبا، باستثناء إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، فلما اكتُشِفَ العالم الجديد ـ الأمريكتان واستراليا ونيوزيلندا ـ الذي صادف اكتشافه إبان القلاقل الدينية في أوروبا، فر البروتستانت بأعداد غفيرة إلى تلك المناطق لهذا السبب، بالإضافة إلى أسباب أخرى اقتصادية وغيرها.

وقد أنشأ البروتستانت طوائف أو مذاهب أو كنائس عديدة خاصة بهم، منها الكنائس الإنجيلية، أي التي تتبع الأناجيل، ومنها كنائس تتبع آراء قسيسٍ من القساوسة الذين ثاروا على الكنيسة الكاثوليكية، مثل اللوثريين، نسبةً إلى القسيس مارتن لوثر، والكالفينيين، نسبة إلى القسيس جون كالفن، والهوسيين، نسبة إلى القسيس جون هوس.

---

(31) الميزان في مقارنة الأديان : المستشار محمد عزت الطهطاوي. صفحة 308. عن كتاب طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون : أحمد عبد الوهاب.

ويلاحظ أن كل طائفة أو مذهب أو كنيسة من هذه الكنائس البروتستانتية، مستقلة تماماً بإدارتها الدينية عن الكنائس الأخرى، فهي لا تخضع لرئاسة أعلى منها تجمعها تحت مظلتها، كما أعطوا الحق لكل بروتستانتي بفهم وتفسير الكتاب المقدس كما يراه، مما أدى إلى عدم تقيد البروتستانت كثيراً بالعقائد المسيحية، وساعد على تفريخ طوائف أو مذاهب أو كنائس جديدة باستمرار، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، يوجد أكثر من 1300 طائفة أو مذهب بروتستانتي، ولكل طائفة أو مذهب كنيسة خاصة بها، والحبل على الجرار.[32]

طائفة المورمون :

ازداد انقسام البروتستانت إلى طوائف ومذاهب وأديان مختلفة ومتنوعة زيادة كبيرة، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أهمها طائفة المورمون، التي ابتدعها أمريكي يدعى جوزيف سميث، في حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، في ولاية يوتا الأمريكية، حيث زعم أن أحد الأمريكيين القدماء، اسمه موروني، قد وضع ألواحاً ودفنها في الأرض، منذ ما يزيد عن ألف سنة، وأنه نهض من موته وسلم تلك الألواح لجوزيف سميث في رؤيا رآها، فقام جوزيف سميث، بنقل محتويات تلك الألواح إلى كتابه المسمى : كتاب المورمون، وقام بنشره في سنة 1830م، وقد قتل جوزيف سميث في سنة 1844م.

ومن معتقدات المورمون، أن الله ـ تعالى عما يزعمون ـ تطور من إنسان، كما يعتقدون أن الهنود الحمر هم القبيلة الضائعة من بني إسرائيل، وأن يسوع قد ذهب إلى أمريكا بعد رفعه، وهم لا يشربون الشاي ولا القهوة، ولا الخمر ولا يدخنون، وكانوا يسمحون بتعدد لا محدود للزوجات، حتى منعتهم السلطات الأمريكية بالقوة في سنه 1890م.

---

(32) حياة الحقائق : جوستاف لوبون. صفحة 81.

وتسمى كنيستهم : كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة. وهم يعتبرون أنفسهم جزءاً من المسيحيين، ولكن المسيحيين لا يعترفون بهم، هذا ويبلغ عدد المورمون حوالي خمسة ملايين نسمة، وهم نشيطون بالتنصير والدعوة إلى ديانتهم، وتوزيع كتبهم في أمريكا وخارجها.

وضع الكنيسة الكاثوليكية بعد انشقاق البروتستانت :

مع انشقاق البروتستانت عن الكنيسة الكاثوليكية، ومع تحجيم دورها السياسي، عما كان عليه في الماضي، إلا أنها مازالت أقوى وأكبر وأغنى كنيسة في العالم، ومازالت تحتفظ بدور الدولة من مقرها في الفاتيكان، في مدينة روما في إيطاليا، ولها حرسها الخاص ـ من الجنسية السويسرية ـ ولها سفراء وسفارات في معظم دول العالم، بما فيها بعض الدول العربية والإسلامية، ويطلق على سفرائها لقب القاصد الرسولي.

أهم العقائد البروتستانتية :

1. يشترك البروتستانت مع الكاثوليك، بالاعتقاد بأن كتابهم المقدس ـ بعهديه القديم والجديد ـ موحى بهما من الله، وأنهما خاليان من التحريف، مع أن البروتستانت ألغوا سبعة كتب ـ أسفار ـ من العهد القديم، حيث اعتبروها مزورة، في حين أن الكاثوليك يعترفون بها ويعتبرونها جزءا من العهد القديم. وقد اتخذ البروتستانت من كتابهم المقدس مصدراً وحيداً لعقائدهم وشرائعهم، ولم يعترفوا بتعاليم وقرارات الباباوات الكاثوليك.

2. أقروا بحق كل مسيحي في قراءة الكتاب المقدس وتفسيره كما يشاء، كما أجازوا ترجمته إلى اللغات الأوروبية المختلفة، وأبطلوا الصلاة باللغة اللاتينية التي لا يفهمها المسيحيون.

3. ألغوا منصب البابا من كنائسهم، ولم يعد للكنائس البروتستانتية رئاسة دينية أعلى منها، فلكل كنيسة بروتستانتية رئاسة خاصة بها ولا تخضع لغيرها. وتم تحديد صلاحيات رجال الدين البروتستانت، بالوعظ والإرشاد الديني فقط، وأزيلت القداسة عنهم، وقد خلع رجال الدين البروتستانت ملابس الكهنوت، وارتدوا الملابس العادية مثل بقية الناس.

4. سمحوا للرهبان والراهبات بالزواج.

5. الغوا الاعتراف بالذنوب أمام القساوسة، طلباً لغفرانها من قبل أولئك القساوسة، فيما يعرف بسر الاعتراف.

6. أزالوا الصور والتماثيل من الكنائس، ومنعوا السجود لها، أو طلب الشفاعة من السيدة مريم أو القديسين.

7. لا يؤمنون بتحول الخبز الفطير ــ غير مخمر ــ الذي يُحضّره ويقدمه لهم القسيس ويأكلونه، والخمر الذي يشربونه في عشاء عيد الفصح، إلى لحم ودم المسيح في بطونهم حقيقة، إنما اعتبروا أكل الخبز وشرب الخمر في ذلك العشاء، بمثابة تذكار بفداء المسيح وتضحيته بنفسه، عن الخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم وحواء، وتحملت البشرية وزرها حسب اعتقادهم.

8. يتميز البروتستانت بأنهم أكثر قرباً للعهد القديم ولليهود من الكاثوليك.

خاتمة المبحث

أولاً :

1. في هذا المبحث استُكمِلت المرحلة الرابعة والأخيرة، من مراحل تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام، والتي يقع جزء كبير منها، تحت رعاية الأباطرة الرومان، حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية.

2. عندما أصدر الإمبراطور الروماني قسطنطين مرسوماً في سنة 313م، ألغى بموجبه ملاحقة المسيحيين، وأقر بحقهم في اتباع الدين الذي يرتضونه، ظهر على السطح العديد من الكنائس أو المذاهب التي كانت مختفية أثناء الحظر والاضطهاد الروماني، الذي دام قرنين ونصف.

وكان أكبر تلك الكنائس أو المذاهب وأهمها، الكنيسة الكاثوليكية في روما، ويأتي بعدها الكنيسة القبطية في الإسكندرية بمصر، ثم الكنيسة الشرقية اليونانية في اليونان، اللتان كانتا تتبعان أو تنضويان تحت جناح الكنيسة الكاثوليكية في روما.

3. بظهور تلك الكنائس أو المذاهب المسيحية، ظهرت خلافات عقائدية عميقة بين كبار القساوسة، وخصوصاً في الكنيسة القبطية بالإسكندرية، تتعلق بشخص السيد المسيح، أهو إله أم إنسان ؟ وأخذ ذلك الخلاف يشتد منذراً باضطرابات دينية تؤثر في الاستقرار والأمن الاجتماعي، مما دعا الإمبراطور قسطنطين لعقد مجمع نيقية سنة 325م، برئاسته لتسوية هذا المشكل، حيث تم اعتماد تأليه السيد المسيح رسمياً، فأصبح لدى المسيحيين إلهان هما : الآب والابن. وبذلك تغلبت الأقلية من مؤلهي المسيح بسلطان الرومان، على الأكثرية من الموحدين، الذين كانوا يقولون إن المسيح إنسان وليس إلهاً ولا ابنا لله.

4. وقد أدخلهم تأليه المسيح في متاهات عقائدية لا حصر لها، تتعلق بإشكالية العلاقة بين طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية، وكيفية التوفيق بينهما، وكذلك إشكالية العلاقة بين مشيئتي أو إرادتي المسيح الإلهية والبشرية، وكيفية التوفيق بينهما. وهل ولدت السيدة مريم الإله عيسى؟ أم ولدت الإنسان عيسى؟
وقد عُقِدت مجامع عديدة، بعد مجمع نيقية لحل هذه الإشكالات، فما زادتهم قراراتها إلا تباعداً وتباغضاً وتناحراً ونفوراً، وتكفير كل فئة للأخرى.

5. وفي سنة 381م، عقد مجمع القسطنطينية الأول، برعاية الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول، حيث تقرر فيه تأليه الروح القدس ـ الملَك جبريل عليه السلام ـ وبذلك استكملت عقيدة التثليث عناصرها الثلاثة (الآب والابن والروح القدس).

ثانيـاً :

1. بعد تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي وغربي، ثم سقوط القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية في سنة 476م، ورثت الكنيسة الكاثوليكية في روما، سلطات الإمبراطورية الرومانية الغربية، وأصبحت هي صاحبة الكلمة العليا في ممتلكات تلك الإمبراطورية، فطغت وبطرت وتعدت حدودها، وزاد نهمها وجشعها في جمع الأموال من المسيحيين، وأخذت تبيع صكوك الغفران على أتباعها.

ولإسكات الناس والحجر على عقولهم، فقد استحدثت تلك الكنيسة، محاكم التفتيش أو المحاكم المقدسة، وكان المحققون والقضاة في تلك المحاكم من القساوسة الكاثوليك، ويأتي على رأس تلك المحاكم سيئة الذكر، محاكم التفتيش الإسبانية، التي ساهمت بقوة في اجتثاث الإسلام والمسلمين واليهود من إسبانيا، اجتثاثاً لم يشهد التاريخ له مثيلاً.

2. هذا وقد ساد الفساد الأخلاقي واستشرى بين الرهبان والراهبات وغيرهن، في الأديرة على وجه الخصوص، وفي الكنائس بوجه عام، ومن أهم أسباب هذا الفساد، منع الرهبان والراهبات والقساوسة من الزواج.

ثالثــاً :

1. مع مطلع القرن الخامس عشر للميلاد، بدأ بعض القساوسة الكاثوليك، يعترضون على تصرفات باباوات الكنيسة الكاثوليكية وكرادلتها بشكل سلمي وهادئ، كما نادوا بزواج الرهبان والراهبات، ولكنهم لم ينجحوا في مسعاهــم، فظهرت تلك الاعتراضات إلى العلن، ثم تطورت إلى ملاسنات ومواجهات، أدت إلى أن يشق بعض أولئك القساوسة المعترضين، عصا الطاعة ضد بابا الكنيسة وكرادلته، مما أدى إلى حدوث شرخ كبير وانشقاق بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وتكوين فرقة مسيحية جديدة، أطلق عليها اسم البروتستانت، أي المحتجين. وقد أدى ذلك إلى حروب دينية ومذابح أهلية بين الطرفين، سالت على إثرها شلالات من الدماء في قارة أوروبا، مما أدى إلى هروب أعداد هائلة من أولئك المسيحيين المنشقين ـ البروتستانت ـ إلى العالم الجديد في الأمريكتين، الذي كان للتو مكتشفاً.

2. ويلاحظ أن أولئك القساوسة الكاثوليك، الذين ثاروا على باباوات الكنيسة وكرادلتها، لم يستطيعوا أن يتخففوا من العنف الشديد بالقول، والفتك بالمخالفين بوحشية ومن دون رحمة، الذي درجوا وتربوا عليه، والذي يعتبر من سمات قساوسة الديانة المسيحية المحرفة.

وقد أسس أولئك القساوسة، كنائس مستقلة بإدارتها الدينية ـ يحمل بعضها أسماءهم ـ وليس لها رئاسة عليا تجمعها تحت لوائها، كما أعطوا لكل بروتستانتي الحق في تفسير كتابه المقدس كما يراه، وقد ساعد ذلك على

تفريخ مئات من الكنائس البروتستانتية المستقلة، منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا الحاضر، والحبل على الجرار.

3. يلاحظ أن ثورة أولئك القساوسة، اقتصرت على النظام الكنسي الفاسد، المتمثل بتصرفات الباباوات وغيرهم من كبار القساوسة، مالياً وأخلاقياً، ولم تتعداه إلى تنقية كتبهم مما شابها من التحريف، وإخراج العقائد الوثنية التي أقحمت فيها وفي دينهم بوجه عام، كتأليه السيد المسيح وصلبه، وعقيدة التثليث ... إلخ.

4. الدين المسيحي الحالي بُني على الخشونة والعنف والقسوة المتناهية النظير، وتاريخه مصبوغ بشلالات من دماء اليهود والمسيحيين والوثنيين والمسلمين. بدءاً من تعذيب وقتل السيد المسيح على الصليب ــ حسب اعتقادهم ــ وما لاقاه أتباعه من بطش من قبل اليهود، مروراً بما لاقاه المسيحيون من بطش وقتل وتشريد على يد الإمبراطورية الرومانية، الذي استمر قرنين ونصف من الزمان.

5. عندما مكنت الظروف هذا الدين، ممثلاً بالكنيسة الكاثوليكية، وأصبح لها الأمر والنهي، بطشت بمخالفيها من وثنيين، ومسيحيين موحدين، ومسلمين ويهود ونكلت بهم، وكالت لهم من صنوف البطش والتعذيب والقتل، بواسطة محاكم التفتيش أو المحاكم المقدسة، التي أنشأتها لهذا الغرض، ما فاق ما لاقته من أعدائها.

6. كما قامت بشن الحروب الصليبية على بلاد الشام ومصر، استمرت لمدة قرنين من الزمان (1096 ــ 1291م) ضد المسلمين ــ الكفار حسب زعمهم ــ.

7. قيام المسيحيين بروتستانت وكاثوليك، بالفتك والتطهير العرقي ضد الهنود الحمر، أصحاب البلاد الأصليين في الأمريكتين الشمالية والجنوبية، حتى

أفنوهم، والقلة القليلة التي سمحوا لها بالحياة، نَصَّروها بالقوة، وعزلوها تماماً عن إدارة شؤون بلادها.

8. قيام المسيحيين من الطائفتين البروتستانتية والكاثوليكية، بشحن المسلمين الأحرار بمئات الآلاف بالسفن، من غرب أفريقيا إلى الأمريكتين، حيث استعبدوهم ونصَّروهم بالقوة، بعدما قطعوا صلتهم تماماً بدينهم وأهليهم وبلادهم.

9. التمييز العنصري الذي قام به المسيحيون الغربيون البروتستانت والكاثوليك، الذين احتلوا قارة أفريقيا، وما قصة كفاح نلسون مانديلا ضد حكمهم العنصري في جنوب أفريقيا ببعيدة.

ومع كل ذلك، ما فتئ القساوسة والمنصرون يرددون مقولة : إن الله محبة!!!

وإن الإسلام قد انتشر بالسيف !!!

أسئلة على ما ورد في المبحث السادس

1. كم كنيسة من الكنائس المسيحية في العالم، التي يرأسها قسيس برتبة بابا؟
2. ما المجامع الكنسية ؟
3. ما سبب انشقاق وانفصال الكنائس المسيحية عن بعضها ؟
4. ما دور المجامع الكنسية، في تحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام ؟
5. أ. ما عقيدة التثليث ؟

   ب. هل وضعت دفعة واحدة ؟
6. في أي سنة تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية، إلى إمبراطوريتين شرقية وغربية ؟
7. متى سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية ؟
8. متى سقطت الإمبراطورية الرومانية الشرقية ؟
9. أي مؤسسة كنسية تولت الحكم ـ بطريقة مباشرة وغير مباشرة ـ في دول أوروبا، بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية ؟
10. ما أهم الوسائل التي اتبعتها الكنيسة الكاثوليكية في جمع الأموال ؟
11. ما دور الكنيسة الكاثوليكية في تاريخ أوروبا، والمسيحية، والمسيحيين ؟
12. أ. ما محاكم التفتيش ؟

    ب. من أنشأها ؟

    ج. لماذا أُنشِئت ؟

13. من هم ضحايا محاكم التفتيش ؟

14. هل تُعَدُّ النظافة العامة والشخصية، من مستلزمات الديانة المسيحية الحالية ؟

15. ما سبب تفشي الفساد الأخلاقي واستمراره، بين بعض رجال الدين المسيحي ؟

16. متى بدأت الاعتراضات السلمية لصغار رجال الدين المسيحي، ضد بابا الكنيسة الكاثوليكية وكبار قساوستها ؟

17. ما نتائج تلك الاعتراضات ؟

18. من هم البروتستانت ؟

19. ما الفرق بين نظام الكنيسة الكاثوليكية، والكنائس البروتستانتية ؟

20. أ. من هو : ميشيل سرفيتوس ؟

ب. ماذا كان مصيره ؟ وعلى يد من ؟

المبحث السابع

تأمــــلات ختامــية فــي الديانـة المسيحية الحالية

الديانة المسيحية الحالية ديانة توليفية

الديانة المسيحية الحالية ديانة توليفية، مكونة من بقايا، أو آثار أصلها السماوي الذي جاء به السيد المسيح عليه السلام، مخلوطاً بعناصر من الفلسفة اليونانية، وعقائد وشعائر وطقوس أديان وثنية رومانية وهندية وفارسية ومصرية، تمت إضافتها على فترات زمنية استغرقت ستة قرون، فتكون من ذلك الخليط ديناً غير متجانس، وغير تام الامتزاج، ولكنه بالغ الغموض والتعقيد، يتوه به العقل ويحار، تدور عقائده وشعائره وطقوسه حول ألوهية السيد المسيح عليه السلام، وبنوته لله، ونزوله إلى الأرض ليتعذب ويقتل على الصليب وهو راضٍ، ليفدي البشرية من التلوث بالخطيئة أو المعصية الأولى ويصالحها مع الله.

يقول (جوستاف لوبون) عن الديانة المسيحية الحالية : "نُسَوِّغ إطلاق اسم الديانة التركيبية على النصرانية، لما كان من تبنيها لمعتقدات سابقة (عليها) كانت تزعم انفصالها عنها". ويستطرد (جوستاف لوبون) قائلاً : " كان على مذهب يسوع ــ رسالة عيسى ــ منذ خروجه من عالم بلاد اليهود الضيق، لينفذ في الحياة الإغريقية الرومانية، أن يلائم أفكار البيئات الجديدة واحتياجاتها، وقد وُفِّق في ذلك بما استعاره من عناصر الفلسفة اليونانية والديانات الشرقية، التي كانت ذات حظوة كبيرة في ذلك الحين. والعلم الحديث قد أبان بسهولة، ما أُنكِر زمناً طويلاً، من امتزاج المؤثرات الأجنبية ــ في الديانة النصرانية الحالية ــ". ويضيف (جوستاف لوبون) قائلاً : "وما انفكت النصرانية في قرونها الخمسة الأولى، تتحول بتلك الإضافات، فأضحت مع الزمن مزيجاً من جميع المعتقدات الشرقية، ولا سيما معتقدات مصر وفارس، التي كانت كثيرة الانتشار في العالم الوثني" ..... ويستطرد (جوستاف لوبون) قائلاً : "ومعظم

ما تبصره في النصرانية ـ الحالية ـ من الطقوس والشعائر والرموز، والكفاح بين الخير والشر، هو من ديانة ميترا*".[1]

ويؤكد الأستاذ (شارل جنيبر) المعنى نفسه فيقول : "وعلى أساس من المبادئ الجوهرية لإيمان بني إسرائيل، أنشأت هذه الكنيسة** مجموعة عقائدية جديدة بالغة التعقيد، اعتمدت في صُلبِها على شخصية المسيح، التي نمت من حولها النظريات حتى تم توحيدها بالله، واستقت عناصرها من التأملات الخاصة المتغالية في تفسير معطيات الإيمان الأولى،ثم من المذاهب الفلسفية والدينية، التي وجدتها في البيئة اليونانية الرومانية".[2]

ويقول الدكتور (إسحاق عبيد) عن المسيحية الحالية : "ولقد شهدت القرون الثلاثة الأولى للمسيحية، تغيرات وتطورات ومجادلات عنيفة، مما يدعو المرء أحياناً إلى الظن، بأن رسل المسيح ـ تلاميذ السيد المسيح ـ هؤلاء الرجال البسطاء من صيادي الجليل، لو كانوا قد عاشوا ليروا ما صارت عليه تعاليمهم التي بشروا بها، لفغرت أفواههم من الدهشة البالغة، إن لم يكن من شدة الحيرة".[3]

ويقول العلامة (شارل جنيبير) في هذا الصدد: "إذا تأملنا الكنيسة المسيحية*** في مقتبل القرن الرابع، فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين، أو إذا أردنا الحق، فإنه يستحيل علينا ذلك".[4]

---

* ميترا أو ميثرا : إله النور، عبده الهنود والفرس قبل ميلاد المسيح بقرون، وكانت عبادته معروفه عند اليونان والرومان بعد الميلاد.

(1) حياة الحقائق : صفحة 64 و65.

** يقصد القساوسة المسيحيين.

(2) المسيحية نشأتها وتطورها : صفحة 161 و 162.

(3) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية : صفحة 38.

*** يقصد المسيحيين.

(4) المسيحية نشأتها وتطورها : صفحة 161.

وعن استحالة تجسد الله في يسوع مهما بحثنا، يقول (جوستاف لوبون): "لن نجد أي شبة بين النبي الجليلي* الخاشع، وبين الرب الأسطوري الذي عبده الناس منذ ألفي سنة..... وتم تأليف شخصه وتعاليمه، من أنقاض الآلهة والمعتقدات السابقة ـ الوثنية ـ ".[5]

ويستطرد (جوستاف لوبون) : "إن بولس أسس باسم يسوع ديناً لا يفقهه يسوع لو كان حياً، ولو قيل للتلاميذ الإثني عشر : إن الله تجسد في يسوع، ما أدركوا هذه الفضيحة القطعية، ولرفعوا أصواتهم محتجين ... فما كان المبدأ القائل بالبنوة الإلهية، ليبدو لليهودي إلا تجديفاً ** شنيعاً".[6]

ويقول (شارل جنيبير) : "والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي : أن عيسى لم يدَّعِ قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل ـ بالنسبة إلى اليهود ـ سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين".[7]

وعن طغيان التأثير الوثني اليوناني في المسيحية، يقول (ول ديورانت) : "ولقد قدر للمسيحية اليونانية بنوع خاص، أن يطغى عليها سيل من البدع الدينية، بتأثير عادات العقل اليوناني الميتافيزيقية المولعة بالنقاش والجدل، وليس من المستطاع فهم المسيحية على حقيقتها، إلا إذا عرفنا ما دخل فيها من هذه البدع، لأنها وإن غلبتها ـ غلبت المسيحية الوثنية ـ لم تسلم من بعض ألوانها وأشكالها".[8]

---

* نسبة إلى إقليم الجليل في شمال فلسطين.

(5) حياة الحقائق. صفحة 163.

** التجديف : الكذب والبهتان وقول الكفر.

(6) حياة الحقائق. صفحة 187.

(7) المسيحية نشأتها وتطورها. صفحة 50.

(8) قصة الحضارة : الجزء 11 صفحة 290.

ويقول (ول ديورانت) عن المسيحية الحالية : "أما فكرة المسيح الإله، فقد هضمتها وامتصتها تقاليد العقل الهلنستي الدينية والفلسفية، ومن ثم كان في وسع العالم الوثني أن يحتضنها ويرضى بها. إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها .... وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية، إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة ـ في الديانة المسيحية الحالية ـ ..... فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس .... وعبادة أم الطفل .... ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى، ومن سوريا أخذت تمثيلية بعث أوتيس. وربما كانت تراقيا هي التي بعثت للمسيحية بطقوس ديونيش وموت الإله ونجاته .... وبلغ التشابه بين الطقوس المثراسية والقربان المقدس في القداس ـ المسيحي ـ حداً جعل الآباء المسيحيين يتهمون إبليس بأنه هو الذي ابتدعه، ليضل به ضعاف العقول. وقصارى القول : إن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم".[9]

وعما دخل في المسيحية الحالية من الديانة الرومانية، عندما تغلبت المسيحية عليها، يقول (ول ديورانت) : "انتقل إلى الدين الجديد ـ المسيحية ـ بناء الدين القديم .... كما ينتقل دم الأم إلى ولدها، وأسرت روما الأسيرة فاتحها".[10]

وعن التأثيرات العميقة بالغة الأهمية، لدور رجال الدين المسيحي ـ منفردين أو مجتمعين ـ في وضع أو تأليف العقائد والشرائع للدين المسيحي الحالي، يقول شارل جنيبير : "أصبحت المسيحية دينا حقيقيا، بل أكمل الأديان إذ ذاك، لأنها تبنت من كل دين خير ما وجدته لديه".[11]

ويقول شارل جنيبير أيضاً عن المسيحية الحالية : "وتلك العقائد والمراسم والتنظيمات، لم تنشأ بفعل قوة ذاتية مفطورة فيها، بل هي على العكس تكونت بفضل نوع من التأليف، تعاونت عبادات الشرق ـ من يهودية وأديان ذات

---

(9) المصدر السابق صفحة 275 و276.

(10) المصدر السابق صفحة 417 و418.

(11) المسيحية نشأتها وتطورها : شارل جنيبير. صفحة 162.

أسرار ـ مع الفكر اليوناني، في تزويده بجميع عناصره. وإنها أيضاً لعقائد ومراسم وتنظيمات، سوف تتطور حسب ما يفرضه عليها المستقبل بالأسلوب التأليفي نفسه، وسوف تستقي وتتغذى يوماً بعد يوم ودون انقطاع، من كل ما يحويه العالم اليوناني الروماني من اتجاهات دينية حية باقية، وإن تم ذلك في كثير من التردد عند الاختيار، ومن الجدل عند التطويع، وكانت هذه العملية عملية لا شعورية بالتأكيد، ولكنها استمرت في صبر ومثابرة".[12]

لقد اتشحت الحياة اليونانية الرومانية، بثوب من مسيحية بولس، وإن كان يتعارض معها، دون أن يضيرها في شيء، والنتيجة النهائية هي إن انتصار المسيحية ـ في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول ومن جاء بعده ـ لم يكن إلا انتصاراً ظاهرياً، حيث إن العالم اليوناني الروماني، قد طوع هذه المسيحية لعقائده وعاداته وتقاليده، وإن القساوسة هم المسؤولون عن هذه النتيجة، لقبولهم بالحلول الوسط، لصالح الوثنية اليونانية الرومانية.[13]

الدين المسيحي الحالي يتصادم مع العقل :

يتميز الدين المسيحي الحالي بأنه دين يصادم العقل والمنطق والفطرة السليمة، في عقائده وشرائعه وطقوسه وأسراره، ولا يفهمه لا قساوستهم ولا أتباعهم من المسيحيين.

لذا فمن أراد أن يؤمن بهذا الدين، فيجب عليه أولاً أن يلغي عقله تماماً، اتباعاً لنصيحة قساوستهم ومنصّريهم، بأن دينهم لا يُفهم بالعقل، لأنه فوق مستوى العقل وإدراكه، بل يجب الإيمان به من دون فهم أو تفكير أو إعمال العقل، وإن أصبحوا في زمننا الحاضر يتحرجون من ترديد هذه المقولة أمام غير المسيحيين، إلا أنهم مكبلون بها ويسيرون على خطاها، فليس لهم بديل آخر.

---

(12) المصدر السابق صفحة 207 و208.

(13) مستقاة بتصرف بسيط، من المسيحية نشأتها وتطورها : لشارل جينيبر. صفحة 242.

ولهذا السبب لا تعتمد الديانة المسيحية الحالية، في إثبات صدق وصحة كل ما يتعلق بها، والدفاع عنها في أي جانب من جوانبها العقائدية والشعائرية أو طقوسها وأناجليها، على الأدلة والبراهين العقلية المنطقية المقنعة ــ ولو تظاهر قساوستهم ومُنصّروهم بخلاف ذلك ــ لأن أعدى أعداء الدين المسيحي الحالي، هو الدليل والبرهان والعقل والمنطق.[14]

فالديانة المسيحية الحالية، والحقائق المدعومة بالأدلة والبراهين، والإثباتات المنطقية العقلية، نقيضان لا يلتقيان. يُنقَل عن القديس أوغسطين (354 ــ 430م) أنه قال : "أؤمن بالمسيحية ــ الحالية ــ لأنها دين غير معقول".[15]

ويقول جوستاف لوبون : "البحث العقلي لا يلائم على الدوام، المعتقدات غير العقلية، التي تنتشر بالعدوى النفسية والتلقين والنفوذ، وما إلى ذلك من الوسائل، حيث (لا) تجد للعقل نصيباً".[16]

لذا فإن من أعدى أعداء الديانة المسيحية الحالية المحرفة، هو العقل والمنطق، ولهذا تجد دفاع قساوستهم ومُنصّريهم عن دينهم ــ بعقائده وشعائره وطقوسه وأسراره ــ متهافتاً لا يصمد للعقل والمنطق.
يقول الشيخ محمد الغزالي : "لِمَ أكرمنا الله بالعقل، إذا كان مفروضاً أن نطرحه ظهريا، عندما نختار أهم شيء في الحياة، وهو الإيمان والسلوك".[17]

ليس للدين المسيحي أي دور في التقدم الحضاري :

من الطبيعي ألا يكون للديانة المسيحية الحالية، أي دور مهما كان على الإطلاق، في النهوض بأتباعها من المسيحيين ــ أوروبيين وأمريكان

---

(14) في الإسلام : العقل مناط التكليف.

(15) من مقدمة التعريف بمؤلف كتاب المسيحية نشأتها وتطورها : صفحة 11، للمترجم الدكتور عبد الحليم محمود.

(16) حياة الحقائق : صفحة 81.

(17) قذائف الحق : صفحة 46.

وغيرهم ـ وتقدمهم، في أي وجه من وجوه الحضارة مهما كان صغيراً أو تافهاً، نظراً لتصادمها مع العقل والمنطق، ولذلك فقد كان للمسيحية الحالية دور سلبي وهدام ومعاكس للعلم والتقدم الحضاري في أوروبا وغيرها من المناطق التي استقرت فيها، فالحضارة والتقدم على جميع الأصعدة الإنسانية والعلمية، والدين المسيحي الحالي على طرفي نقيض. ولذلك وُصِفَت القرون الوسطى في أوروبا ـ التي دامت نحو ألف سنة ـ بقرون الظلام، عندما سادت وتحكمت الديانة المسيحية في أوروبا، بقيادة الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها في الفاتيكان في روما، بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في سنة 476 م.

فهذا الذي تراه من تقدم على جميع الأصعدة العلمية والثقافية والصحية، والنظافة الشخصية في الجسم والملبس والمسكن ... إلخ، والديموقراطية، وتقديس حرية التعبير في أمور الدنيا والدين، وحقوق الإنسان في أوروبا والغرب عموماً، كلها كانت من المحرمات والمحظورات التي لا يمكن للمسيحيين مجرد الحلم بها، إبان تحكم الديانة المسيحية، بقيادة باباوات الكنيسة الكاثوليكية وكرادلتها في أوروبا.

ولم تتقدم أوروبا في مضمار العلم والحضارة، إلا بعد أن نجحت في خلع النير وكسر الطوق الذي كبلتها به الديانة المسيحية، ممثلة في الكنيسة الكاثوليكية وبابواتها وكرادلتها وغيرهم من القساوسة، لمدة ثمانية عشر قرناً من الزمان، وتحجيم الدين المسيحي المحرف، وسجنه داخل الكنائس لا يتعداها، وبعد أن دفعت ثمناً باهظاً من دماء أبنائها، التي سالت كالشلالات في أوروبا، ثمناً لانعتاقها من ربقة الكنيسة ودينها المحرف.

وهذا على عكس الحال مع الدين الإسلامي، ممثلاً بالقرآن الكريم، وأحاديث سيدنا محمد ﷺ، الذي بنى المسلمون على أساسهما وبتعاليمهما

في فترة وجيزة، حضارة إنسانية راقية ومتقدمة في جميع المجالات، امتدت من حدود الصين شرقاً، حتى شبه الجزيرة الأيبيرية غرباً.

الدين المسيحي الحالي دين متعصب يفتك بمخالفيه :

الديانة المسيحية الحالية، ديانة يونانية رومانية غربية، مبنية على الخشونة والتعصب والعنف والقسوة المتناهية النظير، بدءاً بما كان يقوم به شاول (بولس) ضد أتباع السيد المسيح عليه السلام، حسب ما أقر به هو نفسه.[18]

كما أن عقيدتها المحورية، مبنية على التعذيب والقتل، ممثلاً بتعذيب وقتل السيد المسيح، تلك القتلة الشنيعة على الصليب ـ حسب اعتقادهم ـ وما لاقاه المسيحيون من بطش من قبل اليهود ـ بعد رفع السيد المسيح ـ مرورا بالبطش والقتل والتنكيل والاجتثاث، الذي قامت به الإمبراطورية الرومانية، ضد المسيحيين لمدة قرنين ونصف من الزمان.[19]

وقد ردت هذه المسيحية الغربية، على العنف والبطش الشديد الذي تعرضت له، بعنف وبطش أشد وأفتك منه، سالت بسببه شلالات من الدماء، تمثل في الوقائع التالية :

1. حالما حصلت الديانة المسيحية ـ وقبل استكمال عقائدها ـ على اعتراف الإمبراطورية الرومانية بها، أخذت تحارب بشتى الوسائل، مخالفيها من المسيحيين الموحدين، الذين اختلفوا معها.[20]
2. بعدما أصبحت هذه المسيحية ديانة الإمبراطورية الرومانية الرسمية، قام المسيحيون بالبطش والتعذيب والتنكيل، ضد كل من خالفهم في الرأي أو العقائد الدينية، يستوي في ذلك المسيحيون الموحدون أو اليهود أو الوثنيون، وأخذوا يكيلون لمخالفيهم بالمكيال نفسه، الذي ذاقوه من أعدائهم، إن لم

---

(18) على النحو الذي سبقت الإشارة إليه، في صفحة 83 وما بعدها من المبحث الثالث.

(19) على النحو الذي سبق تفصيله في المبحث الرابع.

(20) على النحو المشار إليه في صفحة 143 وما بعدها من المبحث الرابع.

يكن أشد منه قسوة، ومن ذلك ما قامت به كنيسة الإسكندرية برئاسة البابا ثاوفيلوس (385 ـ 412 م) بصب جام غضبها على الوثنيين في الإسكندرية، فهدمت معابدهم وأحرقت مكتباتهم وقتلت وشردت فلاسفتهم، هذا بالإضافة إلى التنصير القسري، الذي تعرض له اليهود والوثنيون في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

3. فلما آل سلطان الحكم إلى الكنيسة الكاثوليكية، بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في سنة 476 م[21]، بدأت العصور الوسطى المظلمة في تاريخ أوروبا، التي استمرت حوالي عشرة قرون من الزمان، حيث تفننت هذه الكنيسة ـ والقائمون على شؤونها من بابوات وكرادلة وبطاركة ـ في إنزال ألوان القهر والعذاب بمخالفيها من المسيحيين، بواسطة محاكم التفتيش سيئة الذِكر، بما يفوق ما تعرضت له على يد أعدائها.

فلما فرغت من البطش وتشريد أو إفناء إخوتها بالدين، تحولت هذه الكنيسة الكاثوليكية المقدسة، بقيادة بابواتها وكرادلتها وبطارقتها وغيرهم من كبار قساوستها، إلى المسلمين حيث قامت بشن الحروب الصليبية، على العرب المسلمين في بلاد الشام ومصر، في سنة 1096 م، والتي استمرت لمدة قرنين من الزمان، سالت خلالها دماء المسلمين أنهارا.

ثم ما لبثت أن حولت هذه الكنيسة المقدسة أنظارها إلى المسلمين الإسبان والعرب واليهود في الأندلس خاصة، وفي إسبانيا بشكل عام، في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، تسفك دماءهم وتجبر من بقي حياً منهم، على مغادرة إسبانيا بملابسه، وترك جميع ما يملك للكنيسة، ومن لم يستطع المغادرة واضطر للبقاء في وطنه، فقد تم تنصيره مع عائلته قسراً بحد السيف، وتغيير هويته الإسلامية، بمنع ارتداء الملابس الإسلامية للرجال والنساء، وتغيير أسمائهم العربية، ومنعهم من التحدث باللغة العربية، ومنع ختان الذكور، وفرض أكل

(21) على النحو المشار إليه في صفحة 227 وما بعدها من المبحث السادس.

لحم الخنـزير عليهم، وحرق المصاحف والكتب الإسلامية، والويل لمن توجد بحوزته، أو يضبط وهو يصلي أو يغتسل يوم الجمعة، أو يصوم شهر رمضان، أو يحتفل بعيد الفطر أو الأضحى، إلى آخر ما هنالك من العبادات والمظاهر الإسلامية. كما تم هدم معظم المساجد، وتحويل بعضها إلى كنائس.

4. التطهير العرقي الذي قام به المسيحيون البروتستانت والكاثوليك على حد سواء، في الأمريكتين الشمالية والجنوبية، ضد الهنود الحمر أصحاب البلاد الأصليين، حتى قضوا عليهم وعلى حضارتهم، من غير ذنب اقترفوه، إلا أنهم أضعف قوة وأقل تقدماً وحضارةً من أولئك الغزاة المسيحيين الغربيين.

5. ما قام به المسيحيون الأوروبيون، ضد مسلمي غرب أفريقيا، عندما شحنوهم بمئات الآلاف بالسفن إلى الأمريكتين، حيث نَصَّروهم بالقوة واستعبدوهم، وطبقوا عليهم التمييز العنصري لعدة قرون، حتى بداية الستينات من القرن العشرين الميلادي.

وكذلك التمييز العنصري الذي قام به المحتلون الأوروبيون المسيحيون، ضد أهل البلاد في جنوب أفريقيا أثناء حكمهم لها، بالإضافة إلى تنصير أهلها بالقوة.

يقول جوستاف لوبون : "لم تكن الحياة البشرية ذات قيمة لدى حُماة الإيمان ـ البابوات وغيرهم من القساوسة ـ ولم تكن الضراوة عندهم سوى فضيلة تستلزم المكافأة ...... فحينما حرق تركمادا* ستة آلاف شخص، طلب قلنسوة كاردينال تقديراً لحميته".

ويستطرد جوستاف لوبون فيقول : "وكانت النفوس تقتل بنسبة خطر موضوعات الجدال، فلما أعلن منكرو وجوب تعميد الأطفال، ضرورة تعميد الأولاد مجدداً بعد البلوغ، بدا هذا الادعاء الذي يلوح لنا تفهه ـ تفاهته ـ

---

* توماس دي توركمادا (1420 ـ 1498م) : راهب كاثوليكي إسباني، كان أول رئيس لمحاكم التفتيش الإسبانية، والمسؤول الأول عن قتل وطرد وتنصير المسلمين، من إسبان وعرب من الأندلس، بالإضافة إلى اليهود أيضاً.

في الوقت الحاضر، أمراً هائلاً، فأدى إلى حرب ضروس، أُبيد فيها مائة وخمسون ألف خارجي ـ معارض ـ بلا رحمة". [22]

ويقول شارل جينيبر عن الدين المسيحي الحالي : "ومع كل ما امتاز به هذا الدين من تيارات تأليفية عميقة، فإننا نرى لديه تعصباً قوياً عنيفاً، تعصباً لا يُقهر ... وهو لا يقبل أية منافسة، وقد أدت هذه النزعة الجوهرية في طبيعته، إلى إقامة عقبات بالغة الخطورة أمامه، ونخص منها بالذكر، عداوة الحكام والمجتمع المدني كله". [23]

ويقول شارل جينيبر عن الديانة المسيحية في القرون الوسطى : "كانت ديناً يبغي العالمية، ويتخذ الحرب وسيلة لها، ديناً متعصباً شديد التعصب، لا يقبل أنصاف الحلول". [24]

نخلص من كل ذلك أن الديانة المسيحية الحالية، التي نشأت وترعرعت في البيئة الغربية، وعلى الخصوص في البيئة اليونانية الرومانية، والتي استمدت عناصرها من عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وأديانهم الوثنية، والتي اتسمت بالتعصب والعنف الشديدين، وعدم التسامح مع من يخالفها الرأي، والفتك به وسفك دمه، تختلف اختلافاً جذرياً وكلياً عن ديانة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وتعاليمه المتسمة بالزهد والإيثار والتواضع والمحبة، والعطف والرحمة حتى نحو الأعداء.

يقول شارل جينيبر: "إن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قط، كما لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة، وإن الديانة التي أنشأوها على أساس منها باجتهادهم الخاص، كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها، عن المسيحية الشرقية ـ رسالة السيد المسيح ـ ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكري والروحي، متمشية مع عواطفهم

---

(22) حياة الحقائق : صفحة 78.

(23) المسيحية نشأتها وتطورها : صفحة 162 و163.

(24) المصدر السابق صفحة 238 و239.

ونزعاتهم، وإن صبت في قوالب تعبيرية لا توافقها تمام الموافقة، والخلاصة : إن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام".[25]

التسامح الديني، أو الله محبة :

من المفارقات المدهشة، أن ترتكب الكنيسة الكاثوليكية بمباركة وقيادة مباشرة من بابواتها وكبار قساوستها، تلك الجرائم البشعة، باسم الدين الذي يحمل لقب السيد المسيح عليه السلام، الذي جاء مبشراً بالمحبة والعفو والتسامح حتى مع الأعداء.

وعليه فإن من حق أحفاد الذين اكتووا بنار هذه الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية، في بلاد الشام ومصر أثناء الحروب الصليبية، وفي إسبانيا على وجه الخصوص، وغيرها من البلدان، بالإضافة إلى أحفاد ضحايا الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانت على اختلاف مسميات كنائسهم، في قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية، واستراليا ونيوزيلندا وغيرها من الجزر، وقارة أفريقيا وآسيا، أن يحصلوا على اعتذار يتناسب مع جرائم التطهير العرقي الذي اقترفته أيدي بابوات وكرادلة وأساقفة هذه الكنيسة، وغيرها من الكنائس البروتستانتية، الملطخة بدماء أجدادهم.

كما أن من حقهم أن يتساءلوا عن مقولة : التسامح الديني أو الله محبة، التي مافتئ أولئك القساوسة والمنصّرون يرددونها على مسامعهم.

مُكرهٌ أخاك لابطل :

لو لم يقف الغربيون بوجه دينهم المسيحي المحرف، ورجاله الذين أذاقوهم صنوف الضيم والويل والقهر والاضطهاد، ووقفوا حجر عثرة أمام تقدمهم الحضاري، ويفصلوا هذا الدين الوثني المتخلف عن الدولة وسياساتها

(25) المصدر السابق صفحة 263 و264.

وأنظمتها، ويعزلوه داخل جدران الكنائس لا يتعداها ـ فيما يُعرف بفصل الدين عن الدولة ـ بعد أن دفعوا أنهاراً غزيرةً من دمائهم، ثمناً لعتقهم من تسلط دينهم المحرف ورجاله على مقدراتهم، لظلوا إلى اليوم، يعيشون في دياجير وظلمات العصور الوسطى المسيحية.

لذا فإن ما تراه اليوم، من تساهل أو غض نظر أو عدم مبالاة، من قبل رجال الدين المسيحي في الغرب، في خروج أتباعهم عن دينهم المحرف، إلى الإلحاد أو اعتناق أديان أخرى، فذلك كله راجع إلى سلب السلطات التنفيذية ـ التي كانوا يتمتعون بها ـ من أيديهم، وليس مردَّه إلى التسامح الديني، الذي يحاولون أن يتظاهروا به، ركوباً لموجة حقوق الإنسان... إلخ.

علاقة المسيحيين بدينهم :

نظراً لطبيعة الدين المسيحي الحالي، بعقائده وشعائره وطقوسه الوثنية المعقدة والغامضة، التي تجافي العقل والمنطق، فقد عمد رجال الدين المسيحي على مدار تاريخهم، على عدم تشجيع أتباعهم على طرح الأسئلة والاستفسارات عنها، وعن كتبهم المقدسة والأخطاء والتناقضات التي تحفل بها، واعتبروا أن مجرد الاستفسار عن تلك المواضيع، يعتبر دليلاً على عدم الإيمان بهذا الدين، الذي يجب الإيمان به من دون فهم أو إعمال للعقل.

لأن من يتفكر منهم بدينه وعقائده وشعائره وطقوسه الوثنية، سيثير عنده كثيراً من الأسئلة والاستفسارات، التي لن يجد إجابات أو إيضاحات منطقية وشافية لها، لا من قساوستهم ولا من غيرهم، وسيقوده ذلك بلا أدنى شك إلى الحيرة وعدم الثقة بدينه، فيزهد فيه ويعافه.

لذا يندهش المسلم، إذا علم أن الغالبية العظمى من النصارى ـ عربهم وعجمهم ـ لا يعرفون دينهم ولا تاريخه، ولا عن عقائدهم وشعائرهم وطقوسهم وكيف نشأت وتطورت، ولا عن أناجيلهم وكيف ومتى ألفت، باستثناء رجال

الدين والمنصرين المحترفين، والمتخصصين منهم بمقارنة الأديان. كما أن المسيحيين لا يقرؤون أناجيلهم من أولها إلى آخرها، إذ لا يبدو أنه من متطلبات دينهم، ومن يقرؤها منهم فإنه لا يتجاوز الأدعية الموجودة فيها، وقد يكون سبب ذلك على ما يبدو، احتكار الكنيسة لتلك الأناجيل في الماضي، إذ لم تكن تسمح بإطلاع عامة المسيحيين عليها، علماً أنها كانت مكتوبة باللغة اللاتينية، التي لم تكن معروفة لعامة المسيحيين، حتى تجرأ قسيس هولندي اسمه ديزيدروس أرازموس في سنة 1516 م، وقام بترجمتها من اللغة اللاتينية إلى اللغة اليونانية وطبعها، [26] وذلك بعد حوالي اثني عشر قرناً، من اعتماد تلك الأناجيل في مجمع نيقية في سنة 325 م.

كما أنهم لا يحفظون نصوص أناجيلهم غيبا في صدورهم، كما يحفظ المسلمون ــ عربهم وعجمهم ــ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فهذا ليس مطلوباً منهم، ولم نسمع عن أحدٍ من رجال دينهم أو غيرهم ــ في الماضي أو الحاضر ــ أنه قد حفظ غيباً ولو إنجيلاً واحداً، من الأناجيل الأربعة أو الرسائل الملحقة بها، فذلك أمر متعذر وغير متيسر لأحد على الإطلاق، ولذلك تجدهم يتعجبون وينبهرون، عندما يشير أحد المسلمين ــ المطلعين على أناجيلهم ــ إلى أحد الموضوعات المذكورة فيها، ويستشهد بها.

أقسام المسيحيين :

يمكننا أن نقسم المسيحيين فيما يتعلق بنظرتهم إلى دينهم وإيمانهم به ــ بصفة عامة ــ إلى أربع مجموعات كما يلي :

المجموعة الأولى :

تمثل غالبية المسيحيين ــ من الناس العاديين البسطاء ــ الذين تأثروا بالتربية والمفاهيم التي تلقوها في طفولتهم وشبابهم، في البيت أو المدرسة أو الكنيسة،

(26) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 237 من المبحث السادس.

وظلوا على التزامهم بما نشأوا عليه بعدما شبّوا عن الطوق، لا يشغلون أنفسهم بما تلقوه ونشأوا عليه، إما اضطراراً أو التزاماً.

المجموعة الثانية :

هي التي أخذت تفكر، وقادها تفكيرها ـ كما هو متوقع ـ إلى الشك بدينها وعقائده وشعائره وطقوسه، ولكنها تحت تأثير ووطأة الظروف المحيطة بها، ومشاغل وتكاليف الحياة، استمرت ظاهرياً على دينها، وإن كانت قد توقفت عن ممارسة عقائده وشعائره وطقوسه، أو تخلت عنه وغادرته بلا رجعه، ولكن بهدوء وصمت وسرية.

المجموعة الثالثة :

هي التي قادها بحثها وتفكيرها إلى الشك بدينها، فزهدت فيه وعافته مثل المجموعة الثانية، إلا أنها كانت لديها القدرة والشجاعة على الخروج عن صمتها، فأعلنت رأيها فيه بكل صراحة، وغادرته على رؤوس الأشهاد، إلى غيره من الأديان، ويكثر هذا الصنف بين المسيحيين في الغرب، ومنهم قساوسة شجعان، عرفوا الحق وتيقنوا منه، فأعلنوا رأيهم بكل صراحة ووضوح، متخطين حواجز الإلف والعادة والبيئة والمنافع الشخصية، أو أنها ألحدت وكفرت بجميع الأديان، ظناً منها أنها كلها على شاكلته.

المجموعة الرابعة :

تتألف هذه المجموعة من المكابرين من القساوسة والمنصرين والمستشرقين ومن لف لفهم، الذين عرفوا الحق معرفة يقينية، لا شك فيها ولا ريب، ولكنهم أصروا على ضلالهم واستمرأوه، فهم ضالون مضلون. وينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ سورة الجاثية آية 23.

وأفراد هذه المجموعة ـ على اختلاف مذاهبهم أو كنائسهم ـ هم الذين تولوا منذ قرون طويلة، صرف المسلمين عن دينهم أو تشكيكهم فيه، بشتى الوسائل غير الأخلاقية، لأن أهدافهم غير أخلاقية، وإن تظاهـروا بغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ سورة البقرة آية 109.

أهم العوامل التي ساهمت وساعدت في عملية تشويــه وتحريف رســالة الســيد المسيــح

في ضوء المعلومات والوقائع التي تناولناها في هذا الكتاب، يمكننا أن نرصد العوامل الرئيسية والمؤثرة، التي ساهمت وساعدت في عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ـ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بقصد أو من دون قصد ـ كما يلي:

1. إن فلسطين مهبط الوحي السماوي على السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كانت ضمن مستعمرات الإمبراطورية الرومانية، وكانت تُحكم حكماً مباشراً من قِبلهم.

2. كانت رسالة السيد المسيح عليه السلام، موجهة إلى قومه بني إسرائيل في فلسطين، الذين كانوا يمثلون أقلية فيها، وقد آمن به عدد قليل جداً منهم، والكثرة الكاثرة كذبته ورفضته، وكانت معادية له ولرسالته ولمن آمن به.

3. كان كبار أتباع السيد المسيح عليه السلام، من تلاميذه ـ حوارييه ـ وغيرهم، بسطاء وفقراء نفسياً ومادياً، وكانوا غير متعلمين ومستضعفين، وكانت مهن بعضهم متواضعة جداً، مثل صيادي سمك، وجابي ضرائب.

فلم يكن من بينهم أحد من الحاخامات، أو من علماء الشريعة أو الكهنة أو من المثقفين، أو من ذوي المال أو المكانة الاجتماعية والجاه، لكي يقودهم ويذود عنهم وعن الرسالة التي آمنوا بها، خصوصاً في وقت الشدائد والمحن، مثلما كان عند اليهود الذين لم يؤمنوا برسالة السيد المسيح. ويؤيد ذلك أن الذي خانه ودل أعداءه عليه كان أحد تلاميذه، وكذلك كان موقف بقية التلاميذ السلبي منه، عندما تم القبض عليه ـ حسب زعمهم ـ.[27]

4. أحدث غياب السيد المسيح عليه السلام، المفاجئ[28]، خللاً وهزة نفسية عنيفة وعميقة جداً في نفوس أتباعه، أفقدتهم توازنهم وزادتهم انكساراً وضعفاً على ضعف، أمام الهجمة الشرسة التي تعرضوا لها من قِبل قومهم اليهود، الذين لا بد أنهم قد انتشوا بالنصر الذي حققوه ـ بالتخلص من السيد المسيح بقتله على الصليب حسب زعمهم ـ فتفرغوا للقضاء على تلاميذه وأتباعه، مما أدى إلى تشتتهم وتفرقهم، وقد يكون ذلك أحد أسباب ضياع الإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى، على رسوله السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.[29]

5. الانقلاب المفاجئ لليهودي المحنك شاول، من عدوٍّ شديد العداوة لرسالة السيد المسيح وأتباعه، إلى رسول معين ـ حسب زعمه ـ من قبل السيد المسيح بُعيد رفعه، وتسمى بولس الرسول.[30] وخروجه بالنصرانية من بيئتها الطبيعية الضيقة ـ لبني إسرائيل في فلسطين ـ إلى رحاب الشعوب الوثنية في الإمبراطورية الرومانية، فكانت بذلك كالسفينة المصنوعة والمعدة للعمل والملاحة في البحيرات والأنهار، ثم أُخرجت للعمل والملاحة في أعالي

(27) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 65 وما بعدها من المبحث الثاني.

(28) برفع الله له قبل أن يصلوا إليه، أو بالقتل على الصليب كما يتوهمون

(29) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 82 من الثالث.

(30) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 83 وما بعدها من المبحث الثالث.

البحار، فلم تستطع تلك السفينة أن تصمد أمام العواصف والأنواء في خضم البحار والمحيطات.

وقد كان بعمله هذا يمثل المرحلة الأولى، من عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح.[31]

6. دور الإمبراطورية الرومانية المهم والعميق، في تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام ـ بعد رفعه ـ والذي تمثل في المرحلتين الثانية والثالثة من مراحل التشويه والتحريف، وهما مرحلتان متضادتان ومتناقضتان مع بعضهما أشد التناقض، ولكنهما يصبان في عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح عليه السلام، واللتان استمرتا ما يزيد عن ثلاثة قرون.[32]

7. دور المجامع الكنسية الذي تمثل في المرحلة الرابعة، من عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح، من خلال استكمال تأليف ووضع العقائد والشعائر والطقوس الوثنية للديانة المسيحية الحالية ـ التي بذر بذرتها الأولى ووضع أسسها، شاول (بولس الرسول) ـ وفرضها بالقوة على المسيحيين.[33]

8. دور الكنيسة الكاثوليكية في روما، بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في سنة 476م، وحلولها مكانها، واستبدادها بالأمر نحو عشرة قرون، فيما عُرِف بالعصور الوسطى المظلمة في أوروبا.[34]

---

(31) على النحو الذي سبق تفصيله في صفحة 93 وما بعدها من المبحث الثالث.

(32) على النحو الذي تم تفصيله في المبحث الرابع.

(33) على النحو الذي سبق تفصيله في صفحة 212 وما بعدها من المبحث السادس.

(34) على النحو الذي سبق تفصيله في صفحة 227 وما بعدها من المبحث السادس.

خاتمة المبحث

يتميز الدين المسيحي الحالي بأنه دين توليفي، مكون من بقايا أصله السماوي، مخلوطاً بعناصر الفلسفة اليونانية، وعقائد وشعائر وطقوس أديان وثنية رومانية وهندية وفارسية ومصرية، تمت إضافتها على فترات زمنية استغرقت ستة قرون، فتكون من ذلك الخليط دينٌ غير متجانس وبالغ الغموض والتعقيد.

هذا بالإضافة إلى أنه دين يصادم العقل والمنطق والفطرة السليمة، في عقائده وشرائعه وطقوسه وأسراره، ولا يفهمه لا قساوسته ولا أتباعهم من المسيحيين، فمن أراد أن يؤمن بهذا الدين، فيجب عليه أولاً أن يلغي عقله، اتباعاً لنصيحة قساوستهم ومنصّريهم، بأن الدين ـ يقصدون عقائد وشعائر دينهم ـ لا يُفهم بالعقل، لأنه فوق مستوى العقل وإدراكه.

لذا تراهم يحرصون على عدم السماح أو تشجيع أتباعهم بالتفكر في دينهم وعقائده وشعائره وطقوسه وأسراره، لأن من يتفكر فيها لا شك أنه سيزهد في هذا الدين ويعافه.

كما يتميز هذا الدين بأنه ذو تاريخ عنصري متعصب، فتك بمخالفيه من دون شفقة أو رحمة، وانتشر بحد السيف الروماني، ثم بالسيف البابوي، ثم مشى بركاب الاستعمار الأوروبي أينما سار.

فإذا رأيت التسامح الديني الذي يبديه القساوسة، في الآونة الأخيرة في الغرب، فذلك راجع إلى فصل الدين عن الدولة، وحجر الدين المسيحي داخل الكنائس.

ونظراً لكونه ديناً يتنافر مع العقل والمنطق، ويتضاد مع العلم والمعرفة أو الحث عليهما، فمن الطبيعي أن يكون له دور سلبي في تقدم الإنسان الأوروبي والغربي بصفة عامة، في جميع مجالات العلوم الإنسانية والتقنية والتحضر والرقي.

فالتقدم الحضاري الذي تشاهده في جميع مناحي الحياة الإنسانية في الغرب اليوم، من الاعتناء بنظافة الأجسام والهندام والمساكن ...إلخ، وتقدم العلاج ومحاربة الأمراض ...إلخ، والنظام الديموقراطي وحرية التعبير وإبداء الرأي، والتقدم التكنولوجي والصناعي الهائل ... إلخ، ليس للدين المسيحي أي دور إيجابي فيه، مهما كان صغيراً أو تافهاً على الإطلاق.

والعكس هو الصحيح، فلم تتقدم أوروبا والغرب عامةً، إلا بعد أن تم الحجر على هذا الدين ـ المعادي للعلم والمدنية والتقدم والرقي الحضاري ـ في داخل جدران الكنائس والكاتدرائيات، لا يغادرها أبداً، بعد أن تم دفع ثمن باهظ، تمثل بشلالات من دماء المسيحيين الأوروبيين، ممن تجرأوا واحتجوا على حجر الكنيسة على عقولهم.

أسئلة على ما ورد في المبحث السابع

1. هل الديانة المسيحية الحالية، ديانة توليفية ؟

إذا كان الجواب بالإيجاب، دلل على ما تقول.

2. لماذا لا يشجع القساوسة أتباعهم على التفكر بدينهم وعقائدهم وشعائرهم وطقوسهم، وطرح الأسئلة والاستفسارات عنها وعن كتبهم المقدسة ؟

3. هل للدين المسيحي الحالي، أي دور في نهضة وتقدم أوروبا والغرب عموماً، حضارياً على جميع الأصعدة ؟ علل إجابتك.

4. أ. لماذا وصفت القرون الوسطى ـ التي تحكمت فيها الكنيسة الكاثوليكية بمقادير الحياة في أوروبا ـ بقرون الظلام ؟

ب. ما المدة التي استغرقتها تلك القرون الوسطى المظلمة ؟

ج. هل تنطبق تلك القرون الوسطى المظلمة، على العالم العربي والإسلامي آنذاك ؟

5. أ. لماذا يعادي كثير من القساوسة والمنصِّرين الإسلام، ويحاولون إخراج المسلمين عن دينهم ؟

ب. ما الوسائل التي يلجأون إليها في هذا السبيل ؟

6. هل يتصف تاريخ الدين المسيحي بالتسامح ؟ اذكر ما يؤيد رأيك.

7. بم تعلل التسامح الديني، الذي يظهره القساوسة وكنائسهم في الغرب حالياً ؟

8. هل يعرف المسيحيون ـ بصفة عامة ـ تاريخ دينهم، وكتبهم المقدسة، وعقائدهم وطقوسهم، وكيف ومتى وضعت ؟

9. هل وُجد ـ في الماضي، أو يوجد في الحاضر ـ قسيس واحد، أو مسيحي عادي واحد، حفظ أو يحفظ سِفراً واحداً من أسفار العهد القديم، أو إنجيلاً واحداً من أناجيلهم الأربعة، أو الرسائل الملحقة بها، عن ظهر قلب ؟

10. كم مجموعة يمكن تقسيم المسيحيين إليها، حسب نظرتهم إلى دينهم وإيمانهم به ؟

11. ما أهم العوامل التي ساهمت وساعدت في عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح ؟

المبحث الثامن

كيف دخلت الديانتان اليهودية والمسيحية إلى شبه الجزيرة العربية

البحث عن ملجأ آمن

1. عندما بطش الرومان بالمسيحيين بدءاً من عام 67م، في عهد الإمبراطور الروماني نيرون، واستمر البطش والإرهاب لمدة قرنين ونصف[1]، فاضطر المسيحيون إلى الهرب من بطشهم، إلى المناطق التي لا سيطرة للرومان عليها، مثل العراق الذي كان تحت حكم الإمبراطورية الفارسية، واليمن التي آوتهم وأمنت روعهم.

فلما استقر المسيحيون في اليمن، أخذوا ينشرون دينهم بين اليمنيين، حتى تكونت منهم جالية مسيحية في منطقة نجران ـ في أقصى جنوب غرب المملكة العربية السعودية حالياً ـ .

2. في عهد الإمبراطور الروماني فسباسيان (69 ـ 79 م) ثار اليهود ضد الحكم الروماني في فلسطين، فتعرضوا للاضطهاد والقتل والتشريد، وتدمير هيكلهم في بيت المقدس، على يد القائد الروماني تيتوس ـ أو تيطس ـ في سنة 70 م.



الإمبراطور فسباسيان

ولما كان النصارى متمركزين في بيت المقدس آنذاك، فقد شملهم ذلك الاضطهاد والفتك والتشريد، إذ لم يكن بإمكان الرومان الوثنيين، التفريق بين اليهود المكذبين للسيد المسيح، من اليهود النصارى.

---

(1) على النحو الذي سبق ذكره في صفحة 132 وما بعدها من المبحث الرابع.

3. وتكرر الشيء نفسه في عهد الإمبراطور الروماني هادريان (117 ـ 138م) عندما ثار اليهود للمرة الثانية ضد الحكم الروماني في فلسطين، فتعرضوا مرة أخرى للبطش والاجتثاث لمدة ثلاث سنوات ـ من سنة 132 إلى سنة 135 م ـ حيث تم إعادة تدمير الهيكل في بيت المقدس، مما زاد في محنة النصارى، الذين لم يكن لهم ذنب في ذلك، إذ لم يكن بإمكان الرومان الوثنيين، التمييز بين اليهود المكذبين للسيد المسيح ورسالته، من اليهود النصارى.



الإمبراطور هادريان

فلم يجد اليهود ملجأً آمناً يفتح لهم ذراعيه ويؤمن خوفهم، سوى شبه الجزيرة العربية. فتوجهوا إلى الحجاز واستقروا في عدة أماكن فيه مثل : يثرب وخيبر، وفي حوالي القرن الرابع للميلاد، انتقل فريق منهم من الحجاز إلى اليمن، فآوتهم وبسطت عليهم حمايتها وأنقذتهم من ظلم الرومان الذي حاق بهم، ومع مرور الوقت تهوَّد بعض أهل اليمن، ويقال إن ذي نواس، آخر ملوك حمير قد تهود أيضاً.

4. في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس (378 ـ 395م) اعتنقت الإمبراطورية الرومانية رسمياً الديانة المسيحية، التي ساهمت في تحريفها[2]، فأخذت تفرض تلك الديانة على رعاياها من الوثنيين ومن المسيحيين الموحدين وغيرهم بالإكراه، وبطشت بمن عارضها، ففروا منها إلى المناطق المجاورة كشبه الجزيرة العربية، كما فعلوا في المرة الأولى.

(2) على النحو الذي سبق بيانه في صفحة 160 من المبحث الرابع.

وهكذا وفد إلى شبه الجزيرة العربية، على دفعات على مدى قرون، مجموعات من اليهود، والمسيحيين من طوائف ونحل مختلفة طلباً للأمن والأمان، هرباً من ظلم الرومان وبطشهم.

الأديرة والخلوات :

انتشرت أديرة وخلوات الرهبان والنساك المسيحيين في بادية الشام والعراق، عند ملتقى طرق القوافل التجارية، وكان لها دور محدود في تنصير بعض عرب الشام والعراق، وكانت تلك الأديرة، بالإضافة إلى كونها في الأساس مكاناً للانقطاع للعبادة والنُسُك، إلا أنها كانت بمثابة استراحة للقوافل والتجار، حيث ينوخون عندها طلباً للراحة والاستجمام بعد مشقة السفر وشرب خمورها، والاستماع إلى الأخبار من الرهبان.[3]

وقد ذكرها الشعراء في قصائدهم في عصري الجاهلية والإسلام، ومنها قصيدة هذا العاشق الذي سافرت حبيبته، وجاء إلى الدير ليسأل الراهب إن كانت قافلتها قد مرت به، والتي منها:

يا راهب الديرِ بالإنجيلِ خبرني ... عن البدور التي في حيكُمَ نَزلُوا
فَحَنَّ لي وَشَكَا وأنّ لي و بكى ... وقال لي يا فتى ضاقت بك الحِيَلُ
إن البدور التي جئتَ تطلبها ... بالأمس كانوا هنا واليوم قد رحلوا

ويبدو أن الأديرة كانت مدعومة من قبل السلطات الرومانية، لتكون عيوناً لها على ما يحدث في المنطقة.

دعم وفرض التنصير في بلاد الشام :

بدءاً من النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، أخذت الإمبراطورية الرومانية، تدعم وتفرض عملية تنصير القبائل والممالك العربية، الخاضعة

---

(3) انظر الفساد الأخلاقي بين الرهبان والراهبات. صفحة 234 من المبحث السادس.

لنفوذها في بلاد الشام وعلى أطرافها، كدولة الأنباط في جنوب الشام، ومملكة تدمر في شمال بادية الشام.

وقد انتشرت النسطورية ـ نسبة إلى بطريرك كنيسة القسطنطينية نسطور ـ بين الكلدانيين والسريان والآشوريين في شمال شرق سوريا، والعراق وفارس، الذين سُمّوا النسطوريين أو النساطرة. [4]

كما انتشر مذهب القس يعقوب البرادعي، بين المسيحيين في مصر والنوبة والحبشة ونجران شمال اليمن، والشام والعراق بين السريان والكلدانيين والآشوريين، الذين أُطلق عليهم اسم اليعقوبيين أو اليعاقبة.[5] هذا وكان ملـوك الغساسنة في جنوب الشام، على مذهب القس يعقوب البرادعي.

وفي العراق في حوالي منتصف القرن السادس للميلاد، انحدرت المسيحية جنوباً إلى مملكة الحيرة [6]، حيث تنصرت هند بنت الحارث بن عمرو، زوجة الملك المنذر الثالث بن امرئ القيس، الملقب بابن ماء السماء (514 ـ 554م)، أم الملك عمرو بن هند، على عقيدة البطريرك نسطور، وبنت كنسية ودير في الحيرة، سُمّي دير هند، كما تنصر بعدها ـ كما يقال ـ الملك النعمان الثالث بن المنذر بن المنذر، الملقب بأبي قابوس (583 ـ 602م).

ولما كان نفوذ مملكة الحيرة يمتد على طول الشواطئ الشرقية لشبه الجزيرة العربية، فمن الطبيعي أن تتسرب المسيحية إلى تلك المناطق.

دعم وفرض التنصير في اليمن :

وفي محاولة من الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، التي كانت تحتل بلاد الشام ومصر، لمد نفوذها إلى جنوب البحر الأحمر ومضيق

---

(4) على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في صفحة 218 من المبحث السادس.

(5) على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في صفحة 220 من المبحث السادس.

(6) تقع الحيرة في الجنوب الشرقي من مدينتي النجف والكوفة في العراق.

باب المندب، ومنه إلى بحر العرب والمحيط الهندي، فقد استغل الرومان وجود الجالية المسيحية في منطقة نجران، كما دعموا الحبشة المسيحية القريبة من اليمن، للتدخل في الشؤون الداخلية لليمن، ومن ثم بسط نفوذهم عليها، تحت ستار حماية تلك الجالية المسيحية ـ التي جاءت إلى اليمن هرباً من بطشهم ـ .

فكان من الطبيعي أن لا يرضى ملوك اليمن الحميريون ـ المتهودون ـ من ذلك التدخل في شؤون بلادهم، فناهضوا النصارى، ونشب صراع داخلي حاد بين أصحاب هاتين الديانتين في اليمن، اليهودية المؤيَّدة من الملوك الحميريين، والمسيحية المؤيَّدة من الرومان والأحباش، وكان آخر الملوك الحميريين، ذو نواس (515 ـ 525م) الذي يقال إنه اعتنق الديانة اليهودية، وكان شديد التعصب لها، فبطش بالمسيحيين في منطقة نجران في سنة 523م، فقد حفر أخاديد في الأرض وأضرم فيها النار، وعرض على المسيحيين الديانة اليهودية، ومن امتنع منهم ألقي به في النار، كما حرق أناجيلهم وهدم كنيستهم.[7]

غزو الأحباش لليمن :

وعلى إثر ذلك قام الأحباش في سنة 525م، بإيعاز وتشجيع من الإمبراطورية الرومانية الشرقية، بمهاجمة اليمن بقوة عسكرية تقدر بسبعين ألف مقاتل بقيادة أرياط، ودارت معارك رهيبة بين اليمنيين والأحباش، وقتل الملك ذو نواس في المعركة، وتمكن الأحباش من الانتصار واحتلال اليمن للمرة الثانية.[8]

---

(7) للمزيد عن هذا الموضوع، انظر الروم : للدكتور أسد رستم. الجزء الأول، صفحة 167 و168.

(8) سبق للأحباش أن احتلوا اليمن في المرة الأولى لمدة عشرين سنة، من سنة 350 حتى سنة 370م، وتولى قائد الجيش أرياط حكم اليمن، ثم حل محله مساعده أبرهة، المعروف باسم أبرهة الحبشي أو أبرهة الأشرم.

وقد عمل الأحباش بقيادة أبرهة الحبشي على نشر الديانة المسيحية في اليمن بشتى الوسائل، بدعم وتشجيع من الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

محاولة الأحباش تنصير أهل اليمن :

أثناء احتلال الأحباش لليمن للمرة الثانية، في الفترة من عام 525 إلى 575م، حاولوا بجد مدعومين من الإمبراطورية الرومانية الشرقية، في تنصير أهل اليمن، لتسهيل السيطرة على بلادهم وثرواتها، والاستفادة من مركزها التجاري المهم على خط التجارة العالمي إلى الشام، وتفرعاته إلى العراق ومصر، والذي يمر بمكة عاصمة شبه الجزيرة العربية الدينية والتجارية، والتي يسيطر أهلها على التجارة بين اليمن والشام، وجذب أنظار العرب إلى اليمن وترك مكة.

فقرر أبرهة أن يبني كنيسة عظيمة ـ كاتدرائية، سُميت القُلَيّسَ، تحريف للكلمة اليونانية Ekklessia ـ في مدينة صنعاء، لدعم عملية تنصير اليمنيين وغيرهم من العرب، ولتكون مركزاً دينياً يحجون إليه، بدلاً من بيت الله الحرام في مكة.

ولما أتم بناء الكنيسة، كتب إلى ملك الحبشة يخبره بذلك، فشاع الخبر بين العرب الذين غضبوا، وقرر رجل من أهل مكة، أن يبدي رأيه بمشروع أبرهة الحبشي على طريقته الخاصة، فسافر إلى مدينة صنعاء ودخل إلى الكنيسة وتغوط بها ثم اختفى.

غزو الأحباش لمكة :

وصلت رسالة الرجل المكي بكل وضوح إلى أبرهة، الذي غضب غضباً شديداً، من تلك الإهانة التي لحقت به وبمشروعه التنصيري الاستعماري، وعزم على الرد عليها بهدم بيت الله الحرام في مكة، والتخلص من الدور الديني والتجاري المهم الذي تقوم به مكة. فجهز جيشاً جراراً يتقدمه فيل، وسار به شمالاً باتجاه

مكة في عام 571 ـ في السنة نفسها التي وُلِدَ فيها رسول الله محمد ﷺ ـ وقد قطع عليه بعض العرب الطريق وحاربوه، ولكنه تمكن من الانتصار عليهم لكثرة عدد جيشه وعدته، وواصل أبرهة زحفه على رأس جيشه حتى وصل إلى مشارف مكة، وهناك صادر إبل أهلها، وكان من بينها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ـ جد الرسول محمد ﷺ ـ كبير أهل مكة ورئيسها، ولما تداول أهل مكة بالمصيبة التي ستحل بهم، تأكدوا أن لا طاقة لهم بذلك الجيش الجرار.

وفي هذه الأثناء، أرسل أبرهة الحبشي إلى عبد المطلب بن هاشم، يدعوه لمقابلته في معسكره، فجاء عبد المطلب مع بعض أبنائه، وقد حاول عبد المطلب أن يثني أبرهة عن عزمه في هدم الكعبة، بيت الله الحرام فلم ينجح، عندها طلب من أبرهة أن يرجع إليه إبله التي اغتصبها، فلما استغرب أبرهة من طلب عبد المطلب، أجابه عبد المطلب قائلاً : إنني رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه! فقال أبرهة ما كان ليمتنع مني، ورد على عبد المطلب إبله. فرجع عبد المطلب إلى أهل مكة وأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحصن برؤوس الجبال والشعاب، ثم توجه إلى الكعبة ومعه نفر من قريش، وأخذوا يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجيشه.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، ولكن مفاجأة غير سارة حدثت لجيش الغزاة، إذ ظل الفيل باركاً في مكانه ولم يقف، على الرغم من الضرب الشديد الذي تعرض له، فإذا وجهوه جهة اليمن قام يهرول، وإذا وجهوه جهة مكة برك ولم يتحرك.

القصف الجوي :

بعد ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى، طيراً جاءت من جهة البحر، تحمل أحجاراً صغيرةً بحجم حبة الحمص أو العدس، تقذفهم بها فتهلك من تصيب، ففر الجيش الغازي على أعقابه يريد اليمن، وقد أصيب قائد الحملة أبرهة، ومات عند وصوله إلى اليمن متأثراً بجراحه.

وقد ذكر القرآن الكريم قصة تلك الحملة العسكرية الفاشلة، والفناء الذي حل بها من جراء القصف الجوي الذي تعرضت له بواسطة الطير، في سورة الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾.

وبعد تلك الأحداث العجيبة التي لحقت بجيش أبرهة المعتدي، ازدادت مكانة مكة وهيبة أهلها بين القبائل العربية، وزاد تعظيمهم لبيت الله الحرام وأهله، وهذا عكس ما كان يريده الأحباش ومن ساندهم. (9)

ولما تم طرد الأحباش من اليمن في عام 575م، سافر عبد المطلب إلى اليمن لتهنئة القائد اليمني سيف بن ذي يزن، فاستقبله سيف بحفاوة وتكريم يليق بمقامه.

أثر الديانتين اليهودية والمسيحية في شبه الجزيرة العربية :

نلاحظ من كل ما سبق : أن الديانتين اليهودية والنصرانية المحرفتين، ظلتا ديانتين هامشيتين في المناطق التي دخلتا إليها في شبه الجزيرة العربية، ولم يكن لهما أي تأثير إطلاقاً، في حياة المجتمعات العربية المستقرة، ولا في حياة قبائل العرب الرُحَّل في زمن الجاهلية، لا من حيث التدين، أو الأعراف أو العادات أو التقاليد أو الأخلاق والقيم.

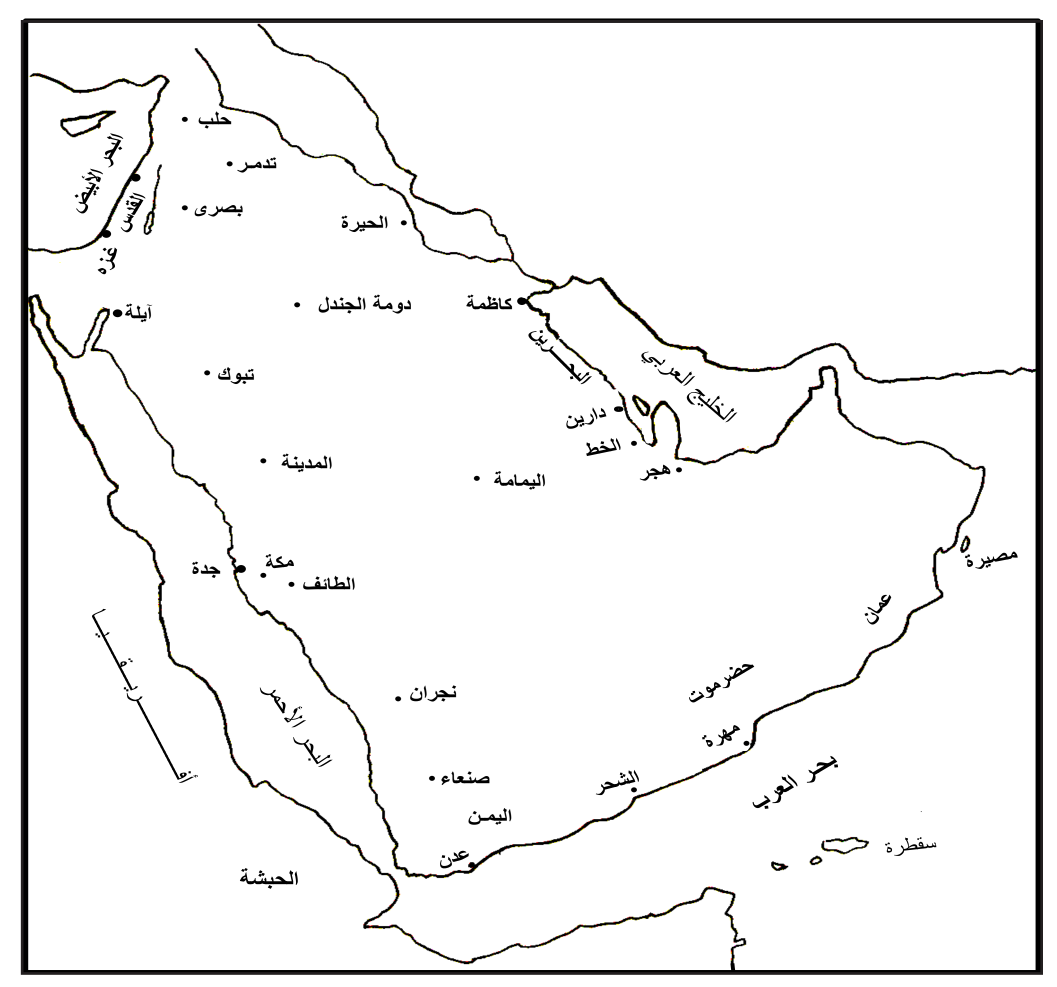
وظل عرب شبه الجزيرة العربية بمنأى عن هاتين الديانتين، وظلت الصفة الغالبة على العرب قبل الإسلام، هي الإيمان بالله خالق الكون وما فيه، وأن الأصنام والأنصاب التي كانوا يقدسونها أو يعبدونها، لم تكن تُقدّس ولا تُعبد لذاتها، إنما توهماً منهم أنها واسطة بينهم وبين الله.

---

(9) السيرة النبوية لابن هشام : ج 1، صفحة 43. وأخبار مكة: لأبي الوليد الأزرقي. ج 1، صفحة 137.

ويُلاحظ أن العربي في زمن الجاهلية، لم يسجد لبشر قط مهما علت منزلته، كما فعل غيره من أبناء الشعوب الأخرى، كما يُلاحظ أن مكة المكرمة كانت محط احترام وتقديس كل العرب في شبه الجزيرة العربية بلا استثناء، وكانت مكاناً تهفو إليه أنفسهم لوجود بيت الله الحرام فيه، وقد انسحب ذلك الاحترام والتقدير، على قبيلة قريش خادمة وحامية بيت الله الحرام وضيوفه.

كانت تلك حالة الديانتين اليهودية والمسيحية وأتباعهما، عند شروق فجر الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة، في مطلع القرن السابع الميلادي.



أهم المدن والمواقع في شبه الجزيرة العربية

النبوءات والبشارات عن النبي محمد ﷺ، في الكتب المقدسة لليهود والنصارى

النبوءات والبشارات التي تبشر بقدوم نبي مرسل من الله سبحانه وتعالى ـ محمد ﷺ ـ في العهدين القديم والجديد كثيرة، وكان اليهود يعتقدون أن هذا النبي سيكون منهم، ولا زالوا ينتظرون مجيئه حتى اليوم. أما القساوسة والـمُنَصّرون، فيزعمون أن تلك النبوءات والبشارات تعود إلى السيد المسيح، إما توهماً أو كيداً منهم، لإغلاق باب النبوة أمام النبي محمد ﷺ، وصرف أتباعهم عن تصديقه واتباع رسالته حين يبعث.

ومع التحريف والتشويه والتموية الواضح، الذي طرأ على تلك النبوءات والبشارات، في الأناجيل التي بيد النصارى اليوم، إلا أنها لا تنطبق إلا على النبي محمد ﷺ، تأكيداً لما جاء في القرآن الكريم ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ سورة الأعراف آية 157.

وسورة البقرة ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ آية 146.

هذا وترجع أهمية موضوع النبوءات والبشارات فيما يخص هذا البحث، لمحاجة اليهود والنصارى الذين يدعون أن محمداً ـ ﷺ ـ غير مذكور في كتبهم المقدسة.

النبوءات والبشارات في العهد القديم:[10]

1. **جاء في سفر التكوين** 18/17 :

"وقال إبراهيم لله، ليت إسماعيل يعيش أمامك". وجاء في الجملة 20 من السفر والإصحاح نفسه "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، واجعله أمه كبيرة".

وهذا يدل على أن النبي الذي سيأتي، لا بد أن يكون من ذرية إسماعيل عليه السلام.

2. **جاء في سفر التثنية** 18/18 و19 :

عن الله سبحانه وتعالى، يكلم موسى عليه السلام : "أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه".

لاحظ ما يلي :

أ. من وسط إخوتهم : وهذا عائد إلى إخوة بني إسرائيل. وإخوة بني إسرائيل هم، أبناء إسماعيل.

ب. مثلك : يعود إلى موسى عليه السلام، وهذا يعني أن النبي المنتظر سيكون مثل موسى. وموسى أوحي إليه بالشريعة، ومحمد صلى الله عليه وسلم، أوحي إليه بالقرآن ومثله معه أي السنة المطهرة، وبهما التشريع الكامل، ورسالته مهيمنة على الرسالات التي سبقتها وختمتها.

ج. موسى تزوج، ومحمد صلى الله عليه وسلم تزوج.

د. موسى كان له جيش يقوده، ومحمد كان له جيش يقوده.

وكل تلك الصفات لا تنطبق على السيد المسيح عليه السلام.

---

(10) النصوص مأخوذة من الكتاب المقدس، لدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

3. **جاء في سفر التثنية** 2/33 :

أن موسى ـ عليه السلام ـ قال : "جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم".

يذكر الأستاذ عباس محمود العقاد، عن أحد علماء المسلمين الهنود ، أنه راجع ذلك النص باللغة العبرية، وترجمة هكذا "أن الرب جاء من سيناء، ونهض من سعير لهم، وسطع من جبل فاران، وجاء مع عشرة آلاف قديس، وخرج من يمينه نار شريعة لهم".[11]

والمعروف أن فاران في مكة، ولم يحدث لنبي قبل محمد ﷺ، أن قاد جيشاً قوامه عشرة آلاف قديس ـ هم صحابته ـ عند فتح مكة.

4. **جاء في المزمور** 22/118 و23 :

"الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا". وجاء في الفقرة 26 من المزمور نفسه "مبارك الآتي باسم الرب".

5. **جاء في سفر التكوين** 10/49 :

عن يعقوب ـ عليه السلام ـ أنه قال : "لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب".

6. **جاء في سفر أشعيا** 1/42 ـ 4 :

"هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته.

---

(11) مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية: للأستاذ عباس محمود العقاد. صفحة 14. عن كتاب : محمد في الأسفار الدينية العالمية : تأليف مولانا عبد الحق فدرياتي.

قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته".

7. **جاء في سفر أشعيا** 11/29 و12 :

"الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم. أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة".

النبوءات والبشارات في العهد الجديد:

1. **جاء في إنجيل متى** 42/21 ـ 44 :

"قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه".

2. **جاء في إنجيل يوحنا** 31/5 و32 :

أن المسيح قال : "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً. الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق".

3. **جاء في إنجيل يوحنا** 39/5 و40 :

على لسان السيد المسيح "فتشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي".

4. **جاء في إنجيل يوحنا 15/14 ـ 17** :

أن المسيح قال : "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق".

5. **جاء في إنجيل يوحنا 26/14** :

أن المسيح قال : "وأما المعزي الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم".

6. **جاء في إنجيل يوحنا 7/16 ـ 8** :

أن المسيح قال : "لكنني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن انطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي".

7. **جاء في إنجيل يوحنا 12/16 ـ 14** :

أن المسيح قال : "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم".

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال : "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجُلٍ بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاويةٍ من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون : هلاَّ وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة، وأنا خاتمُ النبيين". رواه البخاري، ومسلم في الصحيح عن قُتيبة.

محاولة طمس اسم محمد ﷺ :

تعرضت الأناجيل الأربعة التي بيد النصارى إلى تحريفات كثيرة ــ كما سبق تفصيله ــ ومنها محاولة طمس وإخفاء اسم نبينا محمد ﷺ، حتى لا يتم التعرف عليه.

فبدلا من كتابة اسمه (أحمد)، كما ورد في القرآن الكريم على لسان السيد المسيح ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ سورة الصف آية 6.

قاموا بترجمة اسمه ــ علماً أن الأسماء لا تترجم ــ باللغة اليونانية القديمة إلى (بيريكلتوس) التي معناها "الذي له حمد كثير" وهذا يوافق أفعل التفضيل من اسم (حمد).[12]

ثم قاموا بإعادة ترجمة الاسم (بيريكلتوس) إلى (المعزي).

علماً أن كلمة بيريكلتوس أو بيريكليتوس، لها أربع معان هي: المحمد والمحمود، والماحي، والمعزي. وقد اختاروا المعزي من بين تلك المعاني الاربع، إمعاناً في إخفاء اسم محمد ﷺ.

(12) قصص الأنبياء: الشيخ عبد الوهاب النجار، حاشية صفحة 398.

أسئلة على ما ورد في المبحث الثامن

1. أين لجأ اليهود والمسيحيون هرباً من بطش الرومان بهم ؟

2. أين كانت مواقع أديرة وخلوات الرهبان والنساك ؟

3. ما هدف الرومان من دعم التنصير وفرضه في اليمن ؟

4. ماذا كان رد فعل الملك الحميري ذي نواس، على محاولات الرومان تنصير أهل اليمن ؟

5. لماذا غزا الأحباش اليمن ؟

6. ما هدف الأحباش من محاولة تنصير أهل اليمن ؟ ومن كان يدعمهم ؟

7. لماذا حاول الأحباش غزو مكة ؟

8. ماذا كانت نتيجة محاولة الأحباش غزو مكة ؟

9. ما أثر الديانتين اليهودية والمسيحية في شبه الجزيرة العربية ؟

10. هل توجد نبوءات أو بشارات عن بعثة النبي محمد ﷺ، في أسفار اليهود وأناجيل المسيحيين ؟

11. ما تفسير كل من اليهود والمسيحيين لتلك النبوءات أو البشارات ؟

المصادر والمراجع
والفهرس

1. **القرآن الكريم.**

2. **زبدة التفسير من فتح القدير.**

لمحمد سليمان عبد الله الأشقر. الطبعة الأولى 1406هـ، 1985م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

3. **الموسوعة القرآنية الميسرة.**

للدكتور وهبة الزحيلي وآخرون، دار الفكر بدمشق، ط3، 1425هـ.

4. **صفوة البيان لمعاني القرآن.**

للشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية سابقاً، وعضو جماعة كبار العلماء. الطبعة الثالثة، الكويت 1407هـ، 1987م. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت.

5. **السيرة النبوية.**

لابن هشام. ج 1. دار المعرفة، بيروت لبنان.

6. **الكتاب المقدس (كتب العهدين القديم والجديد).**

دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

7. **كتاب الحياة (العهد الجديد).**

نسخة دولية جديدة.

8. **إنجيل برنابا.**

ترجمة خليل سعادة. تحقيق سيف الله أحمد فاضل. ط2، 1403 هـ ــ 1983م. دار القلم ــ الكويت.

9. **ابن الإنسان (حياة نبي).**

إميل لود فنج. ترجمة عادل زعيتر، 1947، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

10. **أخبار مكة.**

لأبي الوليد الأزرقي. ج 1.

11. **أضواء على المسيحية.**

للشيخ متولي يوسف شلبي. ط1، 1968م، الدار الكويتية.

12. **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.**

للشيخ محمد عبده. الطبعة الثالثة 1988، دار الحداثة، بيروت لبنان.

13. **الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية.**

للدكتور إسحاق عبيد. طبعة 1972، دار المعارف بمصر.

14. **الإمبراطورية الرومانية.**

م. ب. تشارلز ورث. ترجمة رمزي عبده جرجس، ومراجعة الدكتور محمد صقر خفاجة. دار الفكر العربي بالقاهرة. The Roman Empire : by : M.P.Charles Worth 1961

15. **الإمبراطورية الرومانية ــ النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية ــ.**

للدكتور مصطفى العبادي. دار النهضة العربية، بيروت (لا يوجد تاريخ للطبع).

16. **البحث عن يسوع.**

للأستاذ كمال الصليبي. ط 1. 1999م.

17. **تاريخ ابن البطريق.**

لسعيد ابن البطريق، طبيب ومؤرخ مسيحي، ولد وعاش في الفسطاط بمصر (263 ـ 329هـ/877 ـ 940م). عُين بطريركاً على الإسكندرية، لديه دراية بالجدل وبمذاهب النصارى، وتاريخ رؤساء الكنيسة، وله عدة مؤلفات، أشهرها المعروف بتاريخ ابن البطريق.

18. **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام.**

للشيخ محمد الغزالي. ط 1. 1997م. دار نهضة مصر.

19. **تقرير علمي.**

للدكتور محمد عمارة، عضو مجمع البحوث الإسلامية (لا توجد معلومات إضافية).

20. **حضارة روما.**

دونالد. ر. ددلي. Donald. R. Dudly، ترجمة جميل يواقيم الذهبي، وفاروق فريد. دار نهضة مصر 1964.

21. **حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث.**

للأستاذ عباس محمود العقاد. دار الهلال (لا توجد معلومات أخرى).

22. **حياة الحقائق.**

للدكتور جوستاف لوبون (1841 ـ 1931)، طبيب ومؤرخ فرنسي. ترجمة عادل زعيتر، ط 1، 1949م. دار إحياء الكتب العربية.

23. **دائرة معارف القرن العشرين.**

للأستاذ محمد فريد وجدي. ط3، 1971.

24. **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية.**

الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف. ط5. 1427هـ ـ 2006م. دار أضواء السلف بالرياض.

25. **الرومان.**

ر. هـ. بارو. ترجمة عبد الرزاق يسري. دار نهضة مصر، 1968م.

The Romans : by: M.P. Charles Worth 1961.

26. **الروم وصِلاتهم بالعرب.**

للدكتور أسد رستم : الجزء الأول. ط 2. 1988م، المكتبة البولسية، بيروت لبنان.

27. **العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل.**

حسن الباش. الجزء الأول، ط1، 1421 هـ ــ2001م، دار قتيبة، بيروت.

28. **القديس لوقا.**

للدكتور جورج برد فورد كيرد. أستاذ دراسات العهد الجديد بجامعة مكجيل بكندا، ثم عميد لكلية اللاهوت المتحدة، وأستاذ بجامعة أوكسفورد، ورئيس للجمعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس. عن المسيح في مصادر العقائد المسيحية : لأحمد عبد الوهاب.

29. **قذائف الحق.**

الشيخ محمد الغزالي. المكتبة العصرية، بيروت (لا توجد معلومات أخرى).

30. **قصة الحضارة.**

ول ديورانت. الأجزاء 11 و14 و21. ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت 1988م.

31. **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام.**

الدكتور توفيق الطويل. ط2، 1412هـ ـ 1991م، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة.

32. **قصص الأنبياء.**

الشيخ عبد الوهاب النجار. ط 3. 1353هـ، 1934م.

33. **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.**

أبو الحسن على الندوي. 1410هـ ـ 1990م، مكتبة السنة بالقاهرة.

34. **محاضرات في النصرانية.**

للشيخ محمد أبو زهرة. ط3، 1427 هـ / 2006 م، دار الفكر العربي.

35. **المسيح في مصادر العقائد المسيحية.**

للأستاذ أحمد عبد الوهاب. ط 2، 1408هـ، 1988م، مكتبة وهبة بالقاهرة.

36. **المسيحية نشأتها وتطورها.**

للدكتور شارل جنيبر (1867 ـ 1939). أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس ـ سابقاً ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود. ط 4، دار المعارف بالقاهرة.

37. **المسيحية الحقة.**

للأستاذ علاء أبو بكر. ط 1. 1418هـ، 1997م، مكتبة وهبة بالقاهرة.

38. **مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية.**

للأستاذ عباس محمود العقاد. المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

39. **معالم تاريخ العصور الوسطى.**

لعبد الله المشوخي (لا توجد معلومات أخرى).

40. **مقارنة الأديان ــ المسيحية ــ.**

للدكتور أحمد شلبي. ط10، 2000م، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

41. **الموسوعة العربية الميسرة.**

المجلد الأول، دار الشعب، القاهرة 1987.

42. **الموسوعة العربية العالمية.**

ط1، 1996، الرياض.

43. **موسوعة ويكيبيديا.**

الجمهورية الرومانية.

44. **الميزان في مقارنة الأديان (حقائق ووثائق).**

المستشار محمد عزت الطهطاوي. ط1، 1413 هـ ، 1993م، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت.

45. **النصرانية من التوحيد إلى التثليث.**

محمد أحمد الحاج. ط1، 1413هـ ، 1992م، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت.

الفهرس التفصيلي

الموضوع	رقم الصفحة

المبحث الأول

الإمبراطورية الرومانية، نشأتها وعقائدها الوثنية وآلهتها

المبحث الثاني

قصة السيد المسيح عيسى ابن مريم ورسالته
كما جاءت في القرآن الكريم، والمصادر النصرانية

المبحث الثالث

المرحلة الأولى من عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح

المبحث الرابع

دور الإمبراطورية الرومانية في عملية تشويه وتحريف رسالة السيد المسيح، في المرحلتين الثانية والثالثة

المبحث الخامس

الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها (العهد الجديد)

المبحث السادس

دور المجامع الكنسية في عملية تشويه وتحريف رسالة وشخصية السيد المسيح (المرحلة الرابعة)

المبحث السابع

تأملات ختامية في الديانة المسيحية الحالية

المبحث الثامن

كيف دخلت الديانتان اليهودية والمسيحية إلى شبه الجزيرة العربية